أسبوعان

مع

علي ماهر

في السودان

محمد حسنين مخلوف

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى
واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى .

صدق الله العظيم

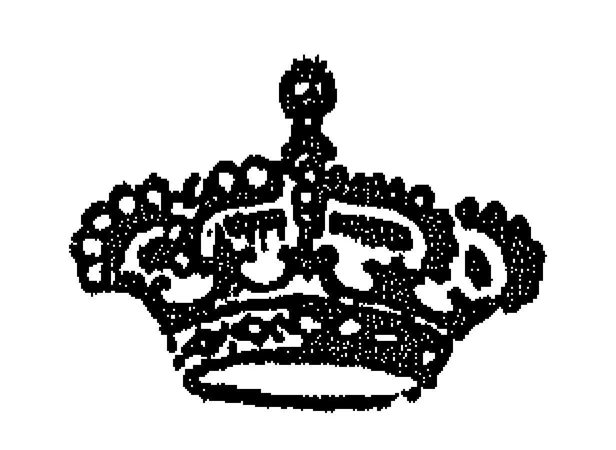
نطق ملكى كريم

صادر إلى

حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا
وهو بالسودان

"وإن هذه المظاهر الكريمة التى تلقونها حيثما حللتم ، وأينما اتجهتم ، لتقابل منى دائماً بمزيد الحب والرعاية ، لمن تظلهم سماء السودان ويسرنى أن تنشروا ذلك بينهم مقروناً بأعز أمانى للجميع وفقكم الله وسدد خطاكم"

فاروق



الإهداء

إلى مليك النيل وسيد الوادي

مولاي صاحب الجلالة .

لقد نال عند منابع النيل مصدر الخير والبركات شعب كريم تعلق آماله بعرش مصر ويفدي الفاروق العظيم بالروح والمال والبنين .

ولقد غمره يا مولاي فيض عطفكم ووافر جودكم فجبلتموه على الوفاء والرعاية وعلى الفداء حبا وطاعة وإن أعز أمانيه أن يحظى بطلعتكم الكريمة ويرى ذاتكم المفداة .

ويوم يسعد الزمان بتحقيق هذا الأمل ، تكتب صحيفة من تاريخ الوطن مشرقة مجيدة خالدة الجلال .

وقد حملوا أمانة هذا الرجاء رجل مصر الأبي وخادم التاج الوفي رسول العرش الأمين صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا في رحلته الموفقة - وهو رئيس مجلس الوزراء - إلى ربوع السودان العزيز .

فكانت أكرم المظاهر التي لمسها وأنبل المشاعر التي فاضت حوله هي عواطف الولاء القلبي الأكيد ، من شعب النيل السعيد للمليك المفدى والعرش الوطيد .

ولهذا التسجيل لأيام الرحلة المباركة يشرف قدره ويخلد ذكره أن يتسامى فيرفع إلى سدتكم العلية ، وفيه صورة الصدق وآية الحق غاية الطاقة وجهد المستطاع .

فأما الذي كان فدونه الوصف ودونه البيان .

وأرجو أن تتفضلوا يا مولاي بقبول أسمى فروض الولاء . من الخاضع الأمين

حلوان في ذي الحجة ١٣٥٩ يناير ١٩٤١

محمد حسنين مخلوف



حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

"فاروق الاول"



حضرة صاحب المقام الرفيع

على ماهر باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة ...

عند ما تفضل حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، فأتاح لى فرصة السفر إلى السودان ، يوم رحلته الموفقة إلى ربوعه العامرة ، تحققت لى أمنية كبيرة طالما نشدتها ، فشكرت لله فضله ، وحمدت لرفعة الرئيس عطفه .

وكنت خلال أيام الرحلة القصيرة ، أدوّن فى مذكراتى اليومية ، مانراه فى السودان وما نسمعه من أحاديث أهله ، وكنت كل يوم أزداد يقيناً بأن حقيقة السودان غير واضحة فى أذهاننا بمصر ، وأن واجب الوطنية يفرض علينا ضرورة الاتجاه إليه بعناية كاملة ، تكون من أوليات مظاهرها ، التعريف بالسودان ، ونشر ما رأيناه من مجالى الوفاء لمصر من أبنائه الأكرمين .

ولقد أدت الصحافة المصرية واجبها كاملا فنقلت إلى المصريين صورة صادقة عن الرحلة وأيامها ، وقد كانت فى رحلة السودان ، ممثلة فى عنصرين كريمين من عناصرها القوية المنتجة ، وهما مندوب الإهرام الغراء ، ومندوب البلاغ الأغر .

كما عنيت شركة مصر "للتمثيل والسينما" بتسجيل «شريط» كامل للرحلة

لم تتح له فرصة العرض على الناس حتى اليوم ـ وأرجو أن تتاح قريباً ـ فيرى الناس مارأيناه ، وينعمون بما استمتعنا به من مظاهر الأخوة الكريمة .

وكنت قد فرغت من إعداد مؤلف عن هذه الرحلة التاريخية الفريدة . ودفعت به إلى إحدى دور الطباعة ، ومضيت فى إنجازه ، ثم جدّت عقبات : بعضها شواغل العمل ، وبعضها مرض يعاودنى فيلزمنى الفراش ، وكانت أحداث السياسة تجرى متعاقبة ، فانصرفت عن إتمام الطبع حيناً . ولكنى لم أستطع مغالبة الحنين إلى أيام الرحلة وذكرياتها الحبيبة ، ولم أستطع قهر الشعور ، بثقل العبء على من يرى السودان ، ثم يهمل حقه ، ويجحد فضله . فحق السودان على مصر شامل لكل الصور والأوضاع ، وفضله على من يراه عظيم ، لأنه علمنا كيف تكون الأخوة ، وكيف يصبح الوفاء ، حقيقة تلمسها الأيدى ، وتراها العيون .

وعدت إلى نفسى أستجمع هذه الذكريات ، فتذوقت عذوبتها وجمالها ، وآثرت أن أشرك القراء فى هذه العذوبة وهذا الجمال .

ورأيتنى مطالباً بواجب وطنى ، ينبعث من صميم الفؤاد ، هو أن أنتهز فرصة ذكرى الرحلة ، وهى شهر فبراير ، فأساهم فى إحياء العمل القومى المجيد ، الذى قام به حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، يوم كان رئيساً للوزارة المصرية ، فاتسعت أمامه آفاق العمل ، وتشعبت من بين يديه سبل الإنتاج ، ولم يدخر وسعاً فى خدمة وطنه الكبير ، ومليكه العظيم ، فكانت رحلته إلى السودان ـ وستبقى أبداً ـ آية خالدة فى تاريخ الوطن ، وفتحاً مبيناً لأبواب الخير القومى بين مصر والسودان .

وقد أعاننى الله على أداء واجبى ، بإخراج هذه الرسالة ، فاذا كان

لى بعض الجهد فى القيام به ، فإنما أذكر بالشكر ، صاحب الفضل الأول فيه ، رجل الوطن الفذ ، والمصلح العامل الصامت ، حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" الذى مهد لى برحلته الموفقة سبيل هذا الكتاب .

وقد جعلته مشتملا على تقدمة عامة ، تناولت فيها الكلام على حالة مصر قبل الرحلة ، وبعدها . والتعريف بالسودان كما رأيناه ، وذكر الروابط القائمة بيننا وبينه ، ونتائج الرحلة فى التاريخ والسياسة والاجتماع ، وما إلى ذلك من فصول تتصل بالمناسبة التى نحن بصددها ، كل ذلك بإيجاز تستلزمه طبيعة الظرف ؛ ولست أزعم أنى جئت بشىء سوى الواجب .

أما كبار المؤلفين والكتاب الذين سبقونى بإصدار مؤلفاتهم القيمة ، ومصنفاتهم الجليلة ، عن السودان وتاريخه وأحواله ، فهؤلاء جميعاً قد أسدوا لمصر خيراً عميما بما ألفوا وما كتبوا ، وستبقى كتبهم ومؤلفاتهم حيث هى مراجع وموسوعات يلجأ إليها من يحب الاستزادة من المعارف والعلوم .

ولكنى أقدم هذه الرسالة ، والشفاعة لى أنى لم أقض فى السودان غير أسبوعين ، فليس لى أن أكتب غير ماشاهدته . وما أحسسته ، وهو ماأسجله اليوم .

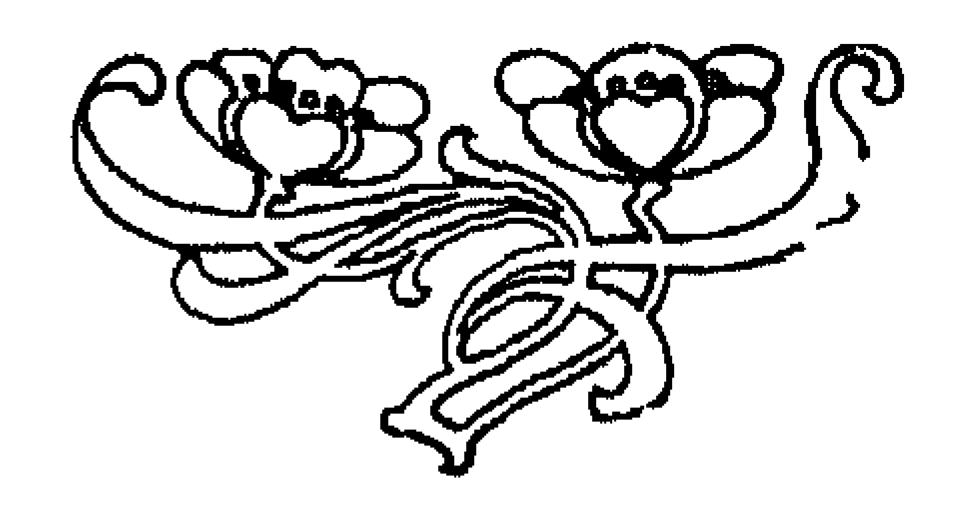
ثم جعلت القسم الثانى عن الرحلة وأيامها الخالدة فى التاريخ ، فجئت فيه بتفصيلات الوقائع التى جرت ، والمشاهد التى نعمنا بها ، وزودته بعدد كبير من الصور ، بعضها سجلته بنفسى ، والبعض الآخر تفضلت بإهدائه إلى " شركة مصر " للسينما " .

فإلى بنى وطنى أقدم هذا الإنتاج المتواضع ، كتذكار للعمل الوطنى الجليل الذى نجدده ، كلما استعدنا ذكريات الوطن .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟ .

محمد حسنين مخلوف

حلوان فى { الحجة سنة ١٣٥٩
يناير سنة ١٩٤١ }



مصر ...
قبـــل الرحـــلة

١٩٣٩

مصر أحوج ماتكون إلى الإنتاج المتصل الحلقات ، وإلى العمل المثمر ، فى ميادينها الفسيحة ، وجوانبها المتعددة ، وهى أشد ماتكون حاجة للكسب والفائدة فى هذا الظرف الدولى العصيب ، الذى تختنق فيه أنفاس الضعفاء ، وتتبدد حيوية الأمم ، مالم يكن لها فى مقاومتها الذاتية ، عاصم من الانحلال والفناء .

ولقد أوشكت مصر يوما أن تعصف بكيانها الوطنى ، أعاصير الفرقة والتنابذ ، إذ انصرفت النفوس إلى صراع عنيف متعدد المظاهر بين أصحاب الرأى ، فى وقت اضطرب فيه موج الحياة الدولية ، وتلبدت فى أجوائها سحب الأخطار القاتمة ، فكاد الصراع يودى بالسفينة وبمن فيها . . !! وأصبحنا نرى الخطر محدقا بالكيان الوطنى ، والشر يهدد البناء الضخم ، الذى رسخت المدنية قواعده على ضفاف النيل ، والفقر الشامل فى المال ، وفى الأخلاق ، يفتك بروابط التماسك فى الهيكل المشيد . ثم نرى القادة فى شغل عن ذلك كله ، بتناحرهم ، وفى غفلة عن الإحساس بالويل الداهم ، ولهوٍ عن اتقاء الصخور التى تعترض السفينة . . !! وتصايحت القلوب حول المتخاصمين ، اللاّهين ، تنذر بالخطر ، وتطالب بالحذر ، وكادت الصيحات

تذهب أدراج الرياح لولا عناية الله، تمثلت فى إرادة المليك الصالح، والراعى الأمين، فكانت من الفاروق العظيم، أمراً كريماً [١] بإلقاء مقاليد الحكم إلى يدى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا، ليجنب الأمة أخطار الساعة، ويثبت محور الميزان المختل، على قواعد العدل، وأصول الحكم الصحيح.

على ماهر باشا فى أفق السياسة المصرية

وهكذا كتب الله لمصر السلامة على يدى على ماهر باشا، كلما طافت بها المحن، وزلزلتها الخطوب، فقد رآه التاريخ المنصف، فى وزارة الأيام المائة [٢] عاصماً للوطنية المصرية من أشد الخطر، وأدق الظروف، كما تراه مصر اليوم، ظلا وارفا على النيل كله، يقيه الوهن والضعف، ونوراً هادياً، يبدد حالك الظلمات، فى ليل المحنة الطويل.

فهو فى رياسة الوزارة المصرية، ملاذ القومية، يجد عنده الجميع، العدل، والحق، والنصفة، فهو للوطن، وللمليك، وفى سبيلهما، يرضى الله بالبذل والتضحية، وهو يرى المصريين جميعاً إخوته الأبرار، ويريق على جوانب عهده فى الحكم قلبه وصحته، وفكره ونومه، وراحته، هبة لله، لا يبتغى عنها جزاءً ولا شكوراً، أو كما يقول رفعته: "لست أدرى كيف ينتظر المرء الشكر، والتكريم، لقيامه بخدمة أمته ؟!. وخدمة الأمة، فريضة محتومة، توجبها القدرة على الأداء، ولا يسقطها الضعف والعجز، لأن الضعيف العاجز، إذا فسح الطريق للنافع القوى، كان مساوياً للعامل المنتج فى خدمة المجموع".

(١) شكلت الوزارة العلوية الثانية فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩

(٢) شكلت الوزارة العلوية الاولى فى ٣ يناير سنة ١٩٣٦

ومن ثم ، كان وجود على ماهر باشا على رأس الوزارة المصرية ، متولياً مقاليد الحكم ، قابضاً على ناصية السياسة ، مسيراً لدفة السفينة ، فى الأيام العصيبة ، ضماناً قوياً للخير القومى ، وربحاً جزيلا ، للوطنية المصرية ، أفادت منه البلاد ، مايعوض عليها فداحة ماخسرت فى ماضيها القريب .

وكذلك كانت خطواته فى الحكم ، سفراً ميمونا ، إلى المجد المأمول ، إلى مجد الاستقلال الحق ، وإلى العمل المثمر الباقى ، لخير مصر وعزة الوطن .

على ماهر باشا هبة الزمان

يؤمن الذين يعرفون "على ماهر باشا" بحقيقة لايداخلها الشك ، هى أن هذا الرجل " هبة الزمان السخية النادرة " وأنه فخر أجيال متعاقبة ، لاجيل بعينه ، وأنه ثروة قومية ، ينميها الحرص عليها ، والاعتراف بجلالها ، وأنه محور السياسة المصرية ، فى عهدها الحديث ، وقطب الدائرة الوطنية ، فى محيطها الواسع ، وأنه مظهر النشاط الوطنى ، فى إنتاجه النافع ، وحركته الدائبة ، وسرعته الحازمة ، فى التفكير ، وفى التنفيذ .

يؤمن الذين يعرفون رفعته بهذه الحقيقة الضخمة ، ولذلك حباه المغفور له المليك العظيم ، فؤاد الأول ، بالعطف والثقة ، وجعلهما ميراثا كريماً لرفعته ، بين يدى شبله المحبوب "فاروق الأول" أعزه الله ، كما أحلته الأمة من قلبها ، مكانا علياً ، فهو فيها ، كما قال القائل : " الكنز المدخر ، والرجاء المنتظر ، والأمل الباسم ، فى فم الزمان ، كلما اكفهرّ وجه الحوادث والخطوب " .

لقد بلغ على ماهر باشا غاية ماتصبو إليه النفوس ، من مظاهر التقدير ،

وازدان صدره بأوسمة المجد والتكريم ، وطوقت جيده قلادة فؤاد الأول السامية ، وحمل أرفع لقب تمنحه الدولة ، للأفذاذ من رجالها ، هذا الرجل ، الذى يقنع من تغذية جسمه بما يقيم الأود ، لايعرف القناعة فى تغذية وطنه بالمجد والعزة والرفاهية ، وأنه ليجعل من دمه ، وصحته ، وراحته ، بعض الغذاء لهذا الوطن ، ويهب له من جهوده قوة .

رسالة وعمل

قلت : إن وجود على ماهر باشا على رأس الوزارة ، ضمان قوى للقومية ، وربح جزيل للوطنية المصرية ، وإن هذا ليبدو فى صور جليلة ، متعددة النفع ، فقد أعاد إلى ميزان التقدير عدالته وأصبحت المرجحات الأولى ، هى الكفاءة والإنتاج ، بعد أن كانت للقربى والاحتساب . ووطد دعائم الحرية على صورتها الطبيعية ، وقرر للفرد حقه فى الحياة والكرامة ، ورسخ دعائم الاستقلال الاقتصادى ، وحفظ الثروة العامة والخاصة فى مصر . وأدخل الطمأنينة على المستهلك والمنتج ، فى الأسواق العامة ، وخفف عن الفقير ، والعامل ، والفلاح ، أعباء كثيرة ، فاحتضن كل هؤلاء ، يتسع لهم قلبه الكبير عطفاً وبراً ، ومودة وخيراً ، وتقدم بالجيش المصرى خطوات واسعة شاملة . وأعطى الشئون الاجتماعية عناية عملية ، بإنشاء وزارة لها ، تختص بكل مايعود على البلاد بالنفع الدائم فى كل مرافقها المتشعبة ، وأعلن الأحكام العرفية ، وتولى منصب الحاكم العسكرى ، فكان لمصر من وراء ذلك خير درع يحميها كوارث الفتن ، ويذود عنها عوادى الاختلال والاضطراب ، وتحولت هذه الأحكام العرفية ، إلى خير ضمان ، للحريتين الشخصية والعامة .

وحمى الأخلاق ، برفع مستوى اللغة فى التخاطب ، فأضفى على صحافة البلاد صورة الاتزان والعفة ، فى المعارضة ، وفى التأييد على السواء .

كل أولئك ، نظمته تشريعات ناضجة سريعة ، اشتركت الأمة ممثلة فى مجلسيها الموقرين ، فى بحثها وإنجازها ، وكان صدر الحكومة رحباً إزاء المناقشة والتعقيب ، رحابة لم تشهد الحياة النيابية مثيلا لها فى أدوارها المتعددة ، التى تعاقبت على البلاد ، واستن رفعته سنة صالحة ، بإشراك ذوى الرأى من أعضاء المجلسين ، فى لجان تمثل النزعات المتعارضة ، والألوان المختلفة ، للأحزاب البرلمانية ، لتكون هذه اللجان ، مرجعاً للتشريعات ، والقوانين المعروضة ، وحضر جلسات هذه اللجان ، وفسح مجال المناقشة والتعقيب لأعضائها متقبلا الملاحظة والنقد ، موفقاً بين وجهات النظر ، لينتهى البحث إلى النتيجة التى ترضى الوطن ، وتحقق النفع ، دون عنت ولا سرف .

وفتح أبواب الوزارات أمام الطوائف المختلفة ، والنزعات المتعارضة ، يسمع للجميع ، ويسوى بين الجميع ، كل همه أن تشمل الطمأنينة ، والعدالة ، والمساواة ، الأمة أفراداً وجماعات ، فتذوقت مصر الأمان والعدل ، فى صورتيهما التى لم تنعم بهما إلا غراراً .

على ماهر باشا .. للاتحاد والإخاء

توج كل هذا الخير ، فضل آخر جزيل النفع ، عميم الفائدة ، هو الدعوة إلى الإخاء ، يبسط جناحيه على أبناء الوطن كله ، ويجتث من الصدور العداوة والبغضاء ، وينتظم المصريين جميعاً ، فاذا هم كتلة

العقد فى سلك واحد ، تحت الراية الواحدة ، والتاج الواحد ، والعرش الوارف الظليل .

لقيت دعوة الإخاء من النفوس ترحيباً ، ومن أبناء الوطن تأييداً ، وتردد صداها فى جوانب الريف ، والمدائن ، وفى زوايا الدور والأكواخ ، وفى الحقل والمعمل والمتجر ، فخرج الناس إلى حرية الوطنية المطهرة .

وكان أصدق دليل على استجابة البلاد لهذه الدعوة ، مارأيناه من حماسة الشعب فى تكريم صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" يوم زار الصعيد فى مطلع العام الماضى ، فتحققت للبلاد فى أيام الرحلة العشرة ، كبرى الأمانى ، إذ التقت الطوائف والطبقات على اختلافها وتنوعها ، والأسر والبيوتات على تنافرها وتنازعها ، فى ساحة واحدة ، وبإحساس واحد . فكانت الدعوات توجه إلى رفعة الرئيس ، من جميع الأشخاص مهما تكن مشاربهم السياسية ، ورأى الناس "على ماهر باشا" يستجيب لكل دعوة ، لأنه وهو يردد آية الوحدة ، يؤيدها بالعمل وبالإيجاب ، فاذا هى وجود محسوس ، بعد أن كانت فكرة فى النفوس ؛ نعم كانت زيارات الرئيس واجباً يؤدَّى للجميع ، وحقاً يوزع على الجميع ، لاتختص به أسرة دون أسرة ، ولا يستأثر به حزب بعينه ، إذ الكل عنده مصريون ، والكل بظل الفاروق يستظلون .

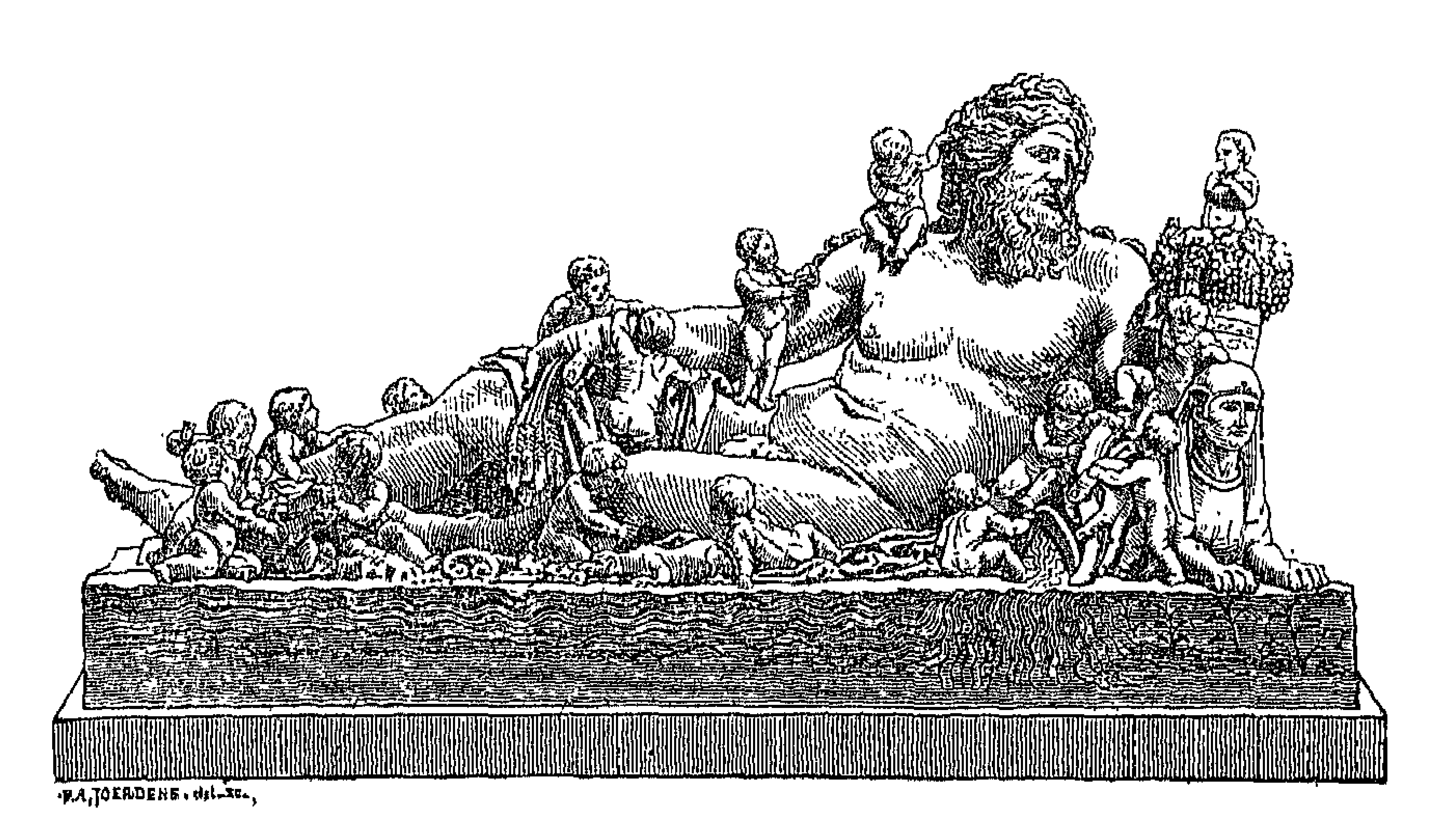
هكذا كانت رحلات الصعيد وزياراته ، وهكذا كانت كلمات رفعة الرئيس ودعواته ، خطوات فى سبيل الخير والبر ، ولفتات خيّرة إلى البائس والمحروم ، ودعوة إلى الإخاء فى الله ، وفى الوطن .

تحدث رفعة الرئيس يوما فى رحلته بالصعيد ، فقال : "لست أدرى فيم تختصم القاهرة !؟ فيرتد صدى الخصام إلى هذا الريف الوديع ، يفتك ببناء الأسر ، ويمزق وحدة القلوب ، ودواعى الفقر والبؤس تحتم علينا أن نكون يداً واحدة فى سبيل الإصلاح والبناء !" .

الدعوة فى صورتها الكبرى

وشاءت إرادة الله أن تكون دعوة رفعة الرئيس إلى الاتحاد ، شاملة عريضة ، تغمر السهل والجبل ، وتظل البوادى والحضر ، وتنفذ أصولها فى أعماق القلوب ، ويمتد ظلها فيشمل الوطن فى صورته الكبرى ، صورته الطبيعية ، التى رسمتها يد القدر مباركة طيبة ، فكانت "مصر والسودان" .

وإذا بالفكرة كلمعة النور فى سماء القاهرة ، تسرى أشعتها فى سموات الخرطوم وأم درمان ، كما تضىء فى الاسكندرية وطنطا وأسوان ، وإذا بالتقدير والتكريم والاعتراف بالجميل لصانع الجميل ـ فى مطار ألماظة عند التوديع ، وفى أسوان عند الرحيل ، وفى وادى حلفا والخرطوم عند اللقاء ، يتمثل مظهراً ولساناً وقلباً ، كل أولئك يشهد بالوحدة الدائمة الخالدة ، ويقوم برهاناً ناصعاً ، على أن النيل ، ذلك العملاق الجبار ، فى رقدته ببطن الوادى الأخضر النضير ، إنما يحتضن أبناء أسرة واحدة . وفروع أصل واحد ، يجمع بينهم ، الدم المشترك ، واللغة المتحدة ، والمشرع الواحد فى المعتقد والدين .



"النيل"

تركنا القاهرة ، يوم غادرناها تملأ آذاننا صيحات الهاتفين ، بحياة الفاروق المفدى مليك النيل ، وسيد الوادى ، وحياة "على ماهر باشا"، رجل "مصر والسودان"، لنسمع هذا الدعاء فى شوارع أسوان، وغادرنا أسوان مع أشعة الفجر الطالع ، لنسمعه فى وادى حلفا ؛ ونزلنا عطبرة، فاذا هو بعينه يزيدولا ينقص، واستقبلتنابه الخرطوم فى البكور والآصال .

ليت شعرى من وحّد القلوب والشعور والدعاء ؟ ! إنما يوحّدها الرباط المقدس بين أبناء الطينة والماء، والوثاق المحكم بين الإخوة الأشقاء، إنما هو الدم والدين، واللغة والغذاء ، بل قل إنما هو الديان القاهر فى الأرض وفى السماء، وما صنعه الله لايغيره البشر ، تلك حكمة الإيمان فى سماحته ، وروعة البرهان فى قوته ، بل هى سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مصر . ومصر دائماً

هى آماله التى لاتفارقه فى اليقظة ولا فى المنام ، مصر ، ومصر دائماً ، على صورة العظمة الشاملة لكل وجوه الحياة فيها ، لهذا يعيش "على ماهر باشا" ولهذا يعمل ويكد ويسهر ، ويجعل يومه وليله موصولى الأطراف ، فى التدبير والتنفيذ ، والسودان قرين مصر فى هذه الصورة النبيلة ، قسمة عادلة ، بين أبناء وطن واحد . هكذا يرى رفعة الرئيس ، وفى قلبه متسع للأمل الكبير .

عند ما تولى رفعته رئاسة الوزارة للمرة الثانية جعل أهداف سياسته موضحة على صورة قوية ، فى خطاب العرش أمام البرلمان ، فكان مما جاء فيه : " وإن من أكبر دواعى اغتباطى أن أرى التقدم مطرداً فى السودان . وإن حكومتى لم تألو جهداً فى توثيق الصلات ، لاسيما الثقافية ، والعمرانية ، مع أهله ، الذين تربطنا بهم روابط لاتنفصم عراها " . وتحدث رفعته فى بيانه الذى ألقاه بمجلسى البرلمان مساء الاثنين ١١ مارس سنة ١٩٤٠ وأذيع بالراديو فى جميع أنحاء العالم عن رحلته فى السودان فقال :
" إخوانى

يطيب لى ، أن أقف بينكم فى هذا المحيط ، الذى تتمثل فيه صورة الوطن الحى ، صورة مصر الخالدة . مصر مهد الحكمة والفن ، ومهبط الرسالة والوحى ، مصر التى تستشرف المستقبل بالروح الفتية ، والآمال البعيدة .

يطيب لى ، أن نجدد معاً ذكرى عظمة مصر فى عهد الفراعنة ، وفى عهد الأسرة العلوية ، إذ امتد نفوذها فى إفريقيا ، ونشرت راية العمران

على ضفاف النيل ، وفى واديه السعيد ، هذه هى الذكرى التى حفزتنى إلى انتهاز أول فرصة أتيحت لى ، لزيارة السودان ، الذى تربطنا به أواصر الحياة فى أكمل معانيها ، وقد أردت ألاّ يفوتنى واجب تقوية الصلات بين البلدين ، وأن أتعرف بنفسى أحوال البلاد الشقيقة ، وأنا أعلم ، حق العلم ، مايكنه حضرة صاحب الجلالة الملك ، نحوها من العطف والرعاية ".

وهكذا بدأت الفكرة عند رفعة الرئيس وانتهز لها الفرصة مقتطعاً من وقته الثمين ، ومن عمله المتصل ، أياماً قصاراً ، ليؤدى واجب الزيارة للوادى العزيز والشطر المكمل . فالرحلة ، إذن ، هى نتيجة المنطق السياسى ، الذى جاءت مقدماته فى خطاب العرش ، وسلسلة الحلقات المترابطة ، التى وضعها " على ماهر باشا " فى أسلوب حكمه وأهدافه .

كيف بدأت الرحلة..

حينما كان صاحب المعالى السير جورج ستيورت سايمز الحاكم العام للسودان فى القاهرة فى أواخر سنة ١٩٣٩ ، تمت الدعوة لزيارة السودان ، ولكن لم يحدد لها موعد مؤكد ، حتى كانت رحلة رفعة الرئيس إلى الصعيد فى أوائل يناير سنة ١٩٤٠ ، إذ وصل إلى رفعته وهو بأسيوط ، خطاب شخصى من الحاكم العام ، يكرر فيه الدعوة ويؤكدها ، ويدعو رفعة الرئيس ، لتحديد موعد البدء بها . ورد رفعة الرئيس على معالى الحاكم العام بخطاب رقيق ، وانتهى الأمر بجعل الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ١٧ فبراير سنة ١٩٤٠ ، موعداً لبدء الرحلة إلى القطر العزيز ، وأعد برنامج الرحلة فاطّلع عليه رفعة الرئيس ، وأقره .

صدى الخبر فى مصر

وكان لهذا النبا صدى عظيم ، فى الدوائر السياسية المصرية ، وفى الأوساط المختلفة ، فلم يكن للناس حديث سواه ، وأفردت الصحف المصرية فصولا للكلام عن الزيارة المنتظرة ، باهتمام عظيم ، ولم تبق صحيفة ذات أثر فى التوجيه العام ، إلا جعلت من خبر العزم على الزيارة ، مادة غزيرة للفصول الطوال ، عن السودان وتاريخه وعلاقاته ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمصر ، وانبرى الكتاب وذوو الأقلام يفتحون أبواب الدعوة إلى بحث الشئون المعلقة والمطالب المرجوة .

وإذا كانت قد اختلفت وجوه البحث ، وتشعبت نواحى التفكير ، فقد اجتمعت الكلمة على أن زيارة حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" رئيس الوزارة المصرية للسودان ، ذات أثر عميق فى تاريخ السياسة القومية ، وقدر الكتاب لهذه الرحلة نتائج وآثاراً ، ولكن ماوقع فعلا ، فاق كل تقدير ، وجاوز ماترامت إليه الآمال .

كان مما قيل ، إن السودان سيستقبل رفعة الرئيس بترحيب وحماسة ، ولكن الاستقبال نفسه كان فوق الترحيب ، وفوق الحماسة .

السودان يرحب

وأذيع هذا النبأ فى السودان ، فاستقبله إخواننا هناك ، بسرور عظيم وتأثر عميق ، واحتفلت الصحف والأندية والمجتمعات ، فى أنحاء السودان كله بهذا الخبر ، وبالاستعداد الرسمى الذى بذلته الحكومة السودانية ، قياما بواجب الأخوة والتراحم بين أبناء النيل ، وإكباراً للزائر الجليل .

وفى يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٠ ، اجتمع فى النادى المصرى بالخرطوم لفيف كبير من الموظفين المصريين ، وعلماء السودانيين وأعيانهم ، وتجارهم وشبابهم ، وكبار الرجال الرسميين الإنجليز ، وأعضاء الجاليات الأجنبية ، وفى مقدمة الجميع ، حضرة صاحب المعالى السير سايمز الحاكم العام ، للاحتفال بعيد الميلاد السعيد لحضرة صاحب الجلالة المليك المفدى "فاروق الأول" ، أعزه الله ، وقد ألقيت الخطب والقصائد المناسبة للمقام ، وألقى صاحب المعالى الحاكم العام خطابا ، فى هذه المناسبة السعيدة ضمنه خبر الزيارة المنتظرة ، والواجب نحوها فقال : " أود أن أعبر لكم ياحضرات رئيس وأعضاء النادى المصرى ، عن سرورى من هذه الفرصة الممتازة ، التى أتيحت لى بالاشتراك معكم فى احتفالات اليوم ، بهذا العيد السعيد ، وإنى على يقين من أن جميع الضيوف الآخرين ـ من غير المصريين ـ يشاركوننى هذا الشعور ، فاننا جميعاً نغتبط بالانضمام إليكم فى الدعاء لجلالة " الملك فاروق" ، بأن يعود هذا العيد عليه مراراً عديدة جداً ، بخير وسعادة ، إن اهتمام جلالته ، وحكومة جلالته ، بكل مايختص بخير السودان ، قد تجلى مرة أخرى فى أن صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" ، رئيس مجلس الوزراء ، قد تمكن من قبول الدعوة التى تشرفت بتوجيهها إليه لزيارة هذه البلاد ، وذلك على الرغم من الحرب فى أوروبا ومشاغله الأخرى الخطيرة ـ وسيصل رفعته وزميلاه الوزيران إلى الخرطوم كما تعلمون ، بلا شك ، فى يوم الأحد القادم ، ولا لزوم للقول بان استقبالا ودياً إلى آخر

درجة ينتظر هؤلاء الزائرين العظام ، سواء بالنظر إلى شخصياتهم ، أو إلى مناصبهم السامية " .

والصحف تكتب

وعنيت الصحف السودانية باستقبال خبر الزيارة ، فأفاضت صحف "النيل" و"ملتقى النهرين" و "السودان" فى نشر الفصول والمقالات ، عنها وعن آثارها ، وانبرى الشعراء والكتاب ، يتنافسون فى هذا المضمار ، فكان مما جاء بجريدة النيل الغراء ، القصيدة التالية ، للشاعر الفاضل محرر الجريدة ، تحت عنوان « إنا نحييك يامصر "

أسفينة الأمل الخصيب قد جئت للمرسى فطيبى
هذى هى الخرطوم قد لقيتك بالصدر الرحيب
ودعت عاصمة الشما ل وجئت عاصمة الجنوب

ooo○○ooo

أهـــلا بأول قطرة من وابل الأمل المطير
أهـــلا بأول نفحة عبقت كأنداء العبير
وإذا الأهلة أشرقت وبدا السنا فإلى الظهور

تحية الترحاب يامصر العزيزة ، ياعروس النيل ، وسلاما إليك من السودان الشقيق فى أكرم رسلك ، إلى أعلا وادى النيل ، تحية الود والوفاء ، تحية صدق الولاء ، فى أشخاص أعز بنيك .

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ويقول صاحب « مجلة مرآة السودان » فى مقال افتتاحى بجريدة النيل العدد ١٣٦٦ تحت عنوان « محرر المرآة . . . يحيي الرئيس » :

تتجمع يامولاى صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" ، أعطر وأزكى شجر هذا الوادى الخصيب ، النابتة فى البلاد من عهد القدم ، دون تهذيب أو تشذيب بعبيق أطيب الجنات ، وأريج أزهارها ، عند أجمل المغانى ـ ملتقى النهرين « الأبيض » و « الأزرق » وحين أشرق البدر ، وسطع ضياء هذا الكوكب ، الدرى الإلهى ، على الماء ، وكساه حلة ، نسجت من خيوطه نوراً ، أطل به الناظر على سفح جبل كررى الثابت ، الشامخ الصامت ، فاضت الضمائر بمسك الشكر ، تتجمع تلك كلها ، لتكون باقة استقبال معنوية ، يقدمها السودان ، ترحابا بمقدم شخصية ، سمت بعملها عن البيان ، وأصبحت بسيرتها ، موضع الدرس والتحليل ، والشكر والأمل ، ولئن كانت تلك الباقة مقدمة لرئيس وزراء مصر ، بصفته زائراً للسودان ، فقد زادها جلالا ، أنها قدمت لمقامكم الرفيع شخصياً »

بهذه الصورة من الشعور الأخوى الصادق ، والترحيب القلبى النبيل ، وبهذا الاهتمام ، قابل السودانيون الأعزاء ، خبر العزم على الزيارة ، حتى إذا تمت فعلا ، ووصل رفعة الرئيس إلى ربوع السودان العامرة ، لمس أثر هذا الاهتمام الكريم ، فى مظاهر الترحيب القلبى ، وكرم الضيافة ، ونبل العواطف ، وعلى صورة أروع ، ومظهر أبلغ ، وتحيات مباركات طيبات ، كان الاستقبال فى أيام الزيارة ، كلها .

وسترى ذلك مفصلا عند عرضها فى هذا الكتاب .

مصر ...
بعـــد الرحـــلة

١٩٤٠

تلبد أفق السياسة العالمية بسحب الحرب القائمة ، وتوالت الأحداث الجسيمة على العالم كله ، واتخذت مظاهر عديدة ، انتهت إلى إعلان إيطاليا الحرب على إنكلترا وفرنسا .

ومن هذا التاريخ (وهو ١١ يونيو سنة ١٩٤٠) بدأ اشتراك مصر الفعلى فى الموقف الدولى على نحو جديد .

فقد استقبلت مصر هذا الخبر ، باهتمام كبير ، لما له من الأثر المباشر فى مصالحها الحيوية الخطيرة . وعنى البرلمان والبلاد بأمر الموقف السياسى ، وتطلعت النفوس ترقب ماذا أعد "على ماهر" للأمر من عدة . . !

جلسة تاريخية فى البرلمان

وفى يوم ١٢ يونيوسنة ١٩٤٠ اجتمع مجلس النواب فى جلسة تاريخية ، لم يتخلف عن شهودها غير عدد قليل ، منعتهم أعذار قاهرة عن شهود الجلسة . وكان قد أعلن أن رفعة على ماهر باشا سيلقى بياناً عن سياسة الوزارة فى هذه الجلسة .

بدأت الجلسة بمناقشة حول السرية والعلنية ، وأعلن رفعة الرئيس استعداد الوزارة للإفضاء ببيانها فى الجلسة العلنية ، وبعد مناقشة فقهية

فى اقتراح تقدم به عشرون نائباً ، أخليت الشرفات والقاعة من الزائرين والصحفيين والموظفين . وأصبحت سرية . فألقى رفعة الرئيس بيانه ، ودارت المناقشات حوله . ثم انتهت الجلسة بالموافقة الإجماعية من المجلس على تأييد البيان والثقة بالوزارة فيما اتخذته من قرار ؛ وهكذا كان الحال أيضاً فى مجلس الشيوخ فى اليوم التالى .

البيان

وفى يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٤٠ دعا صاحب المقام الرفيع " على ماهر باشا " ممثلى الصحف العربية والافرنجية ومندوبى شركات الأنباء البرقية إلى مقابلته فى دار وزارة الخارجية ، حيث أفضى إليهم بهذا التصريح :

يتلخص بيان الحكومة فى البرلمان لتحديد موقف مصر من الحالة الناشئة عن دخول إيطاليا الحرب فيما يلى :

أولا : مصر تحترم التحالف وتحفظ العهد ، وتبذل فى أراضيها كل ماتطلبه الحليفة من معاونة وتسهيلات ؛

ثانياً : مصر لاتشترك فى الحرب إلا إذا اعتدت إيطاليا عليها بإحدى الطرق الثلاث الآتية :

(ا) إذا توغلت الجنود الإيطالية فى الأراضى المصرية مبتدئة ؛

(ب) إذا ضربت المدن المصرية بالقنابل ؛

(ج) إذا أرسلت غارات جوية على مواقع الجيش المصرى ؛

ثالثاً : وقد طلب البرلمان إلى الحكومة ـ إذا اقتضت الظروف ـ تغيير هذا الموقف بحسب ماتكشفه الحوادث ، وتدل عليه تطورات الحرب ، أن يعرض الأمر على البرلمان من جديد فوعدت الحكومة بذلك .

ثقة اجماعية

وهكذا أحرز رفعة على ماهر باشا ثقة إجماعية، وظفر بالتأييد الشامل وتهافتت الأمة بجميع طبقاتها، ومختلف هيئاتها، تشارك ممثليها هذه الثقة، وهذا التأييد، وتعرب عن صدق إيمانها بما وضعه هذا الرجل الموفق.

ولم نعرف فى تاريخ الوطنية المصرية، إجماعا على فكرة، أو وحدة فى رأى، مثلما رأيناه عند عرض سياسة على ماهر باشا على البرلمان، وعلى الرأى العام كله.

الله معنا

وفى يوم ١٥ يونيو سنة ١٩٤٠ اجتمع مجلس الوزراء؛ وعند منتصف الليل ارفض الاجتماع، وعلى أثر ذلك دعا رفعة الرئيس الصحفيين المصريين والأجانب إلى مقابلته وأفضى إليهم بالبيان الآتى:

" أعلنت الحرب منذ سبتمبر من العام الماضى فأبدت مصر من البرّ بالعهد، ومن اليقظة لتطورات الحياة الدولية، ومن الأخذ بأسباب الحكمة والحذر، ما جعل الحالة فى البلاد قارة مطمئنة، وجعل المصريين يستشرفون الحوادث واثقين أنها لن تداهمهم غافلين أو مقصرين؛

وقد بدا اليوم عامل جديد، فإن إيطاليا أعلنت الحرب على بريطانيا العظمى وفرنسا؛ وبين ظهرانينا عدد غير قليل من الإيطاليين. وستتخذ الحرب كل يوم صورة أدق، وتلقى على مصر تبعات أثقل مما اضطلعت به حتى الآن؛

ولا أشك فى أنه سيخفف مايستشعره كل قاطن فى هذه البلاد من

آثار الحرب أن يعلم أن مليك البلاد وحكومتها - يؤيدها ويشد أزرها البرلمان - ساهران على مصالحها وأمنها وسلامتها ، لايباليان راحة ، ولا يدخران جهداً ، ولا يبخلان بأى بذل فى هذا السبيل ؛ ولن يمكن الحكومة من القيام بواجبها خير من أن ترى هذا الشعب العزيز ثابتاً مطمئناً ، لايخالجه ذعر أو اضطراب . ولا يزعزعه ضعف أو تخاذل ؛ وقد عرفته جلداً على الحوادث ، صبوراً رزيناً حكيماً ؛ وهى موقنة بأنه سيظل كما عرفته . إن هذه الأمة الخالدة التى عركتها حوادث الزمان ، وصهرتها مكابدة أحوال الدول ، وظفرت آخر الأمر بحريتها واستقلالها ، ستخرج من هذا الامتحان الجديد أشد ماتكون استكمالا لأسبابها ؛

على أنى مع هذا اليقين أجد من الواجب علىّ ، نظراً لشدة الخطورة التى تنتاب العالم فى هذه الآونة ، بأن أهيب بكل مصرى ، وبكل أجنبى يسكن هذه البلاد أن يلزم جانب الهدوء والحكمة ، وأن يمضى كل فى عمله ، ولا يستمع لدعاة الفتنة والتفريق ، وأن يثق بأن الحكومة لا تنى عن ضرب العابثين على أيديهم . "والله معنا" .

استقالة

جدّت بعد ذلك ظروف وأحداث ، وسرت فى البلاد أقاويل وإشاعات ، وتبلبل الرأى العام ، وكثر الهمس والتخمين ، ثم انجلى الأمر عن استقالة تقدم بها رفعة على ماهر باشا إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى .

استشارة تاريخية

وفى يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٤٠ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك

فأصدر أمره الكريم بدعوة جميع رؤساء الأحزاب السياسية فى مصر ، ورؤساء الوزارات السابقين للاجتماع فى قصر عابدين العامر على مائدة واحدة للتشاور فى الموقف ، وبحث وجوه التصرف فيه ، بما تمليه الوطنية الصادقة ،فسجل المجتمعون فى وثيقة رسمية تأييدهم لسياسة على ماهر ورضائهم عنها . وحمدت البلاد للظروف العصيبة ما أنتجته من خير عميم بهذه الوحدة المنشودة .

ثم اقترحوا فى ذات الوقت على المليك . قبول استقالة الوزارة ، فكان هذا مصدراً للحيرة والذهول فى الرأى العام .

ولكن الذى كان ، والذى حدث ، لم يغير شيئاً من روعة النجاح الوطنى ، الذى ظفرت به سياسة على ماهر باشا .

أما الحكم على هذا الاقتراح فهو متروك بلا نزاع للتاريخ المنصف ، الذى يقول كلمته الفاصلة ، يوم يكشف الستار عن أسرار السياسة العليا ، ودقائق الموقف ، وظروفه وملابساته . وهو مالم يحن الوقت للكشف عنه .

قبول الاستقالة

قبلت الاستقالة فى يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٠ ، وتفضل جلالة الملك بإصدار أمره إلى رفعة على ماهر باشا وزملائه الوزراء بأن يظلوا فى مناصبهم يباشرون شئون العمل ، حتى يتم تأليف وزارة جديدة .

فى انتظار على ماهر باشا

وفى مساء يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٤٠ عرف أن رفعة الرئيس سيلقى

بيانا أمام مجلس الشيوخ ، وبعد أن فتحت الجلسة بالإجراءات العادية ، ودارت بعض مناقشات فى المسائل المدرجة بجدول الأعمال لم يكن رفعة على ماهر باشا حاضراً فننقل ماسجل فى المضبطة عن هذا فيما يلى :

الرئيس — أرجو أن لاينصرف حضرات الزملاء حتى يحضر حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ويلقى بيانه . فهل توافقون حضراتكم على رفع الجلسة الآن للاستراحة ؟ (موافقة)

(رفعت الجلسة عند الساعة السادسة والنصف مساء)

وصوله الى مجلس الشيوخ

وأعيدت عند الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين مساءً .

وعند دخول حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا قاعة الجلسة قوبل من حضرات أعضاء اليمين بتصفيق حاد ، فحياهم رفعته ، وجلس فى مقاعد الوزراء ، وحضر من الوزراء حضرات أصحاب المعالى محمد على علوبة باشا وزير الدولة للشئون البرلمانية ، محمود غالب باشا وزير المواصلات ، سابا حبشى بك وزير التجارة والصناعة ، عبدالرحمن عزام بك وزير الشئون الاجتماعية ، مصطفى محمود الشوربجى بك وزير العدل ، عبد القوى أحمد بك وزير الأشغال العمومية ، محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع الوطنى ، محمود توفيق الحفناوى بك وزير الزراعة .

إلقاء البيان

الرئيس — ليتفضل رفعة على ماهر باشا بإلقاء كلمته .

فوقف رفعته وألقى البيان التالى :

إخوانى الشيوخ المحترمين :

قدمت بالأمس لجلالة مولانا الملك استقالة الوزارة ، فتفضل جلالته بقبولها ، وقد منعتنى اعتبارات كثيرة من أن أحيط مجلسكم الموقر علماً بما جرى فى حينه ، وتمنعنى الآن اعتبارات أخرى من شرح الحوادث والوقائع ؛ وقد كنت أريد الليلة أن أقتصر على شكر حضراتكم فرادى ، وفى هيئة المجلس الموقر على المعاونة التى لقيتها الحكومة من هذا المجلس ، سواء أكانت فى شكل تأييد أم انتقاد ، فقد كنا نستفيد من النقد الحر الذى يقصد به الخير العام ، كما كنا نستفيد من التشجيع الذى يقوينا فى خدمة البلاد والصبر على الصعاب .

كنت أود أن أقتصر على هذا الشكر الخالص لشيوخ الأمة وممثليها ، ولكننى وجدت واجباً على لمجلسكم وللبلاد ألا أدع سبيلا لبعض الإشاعات والأقاويل التى تسىء إلى الحقيقة كل الإساءة .

لقد عرضت على حضراتكم سياسة الحكومة بالنسبة للحرب التى وقعت بين حليفتنا وإيطاليا ، وكانت هذه السياسة مستمدة من روح الشعب ورغباته ، فوافقتم عليها بالإجماع ، وكان لابد لى قبل اتخاذ أى قرار خطير أن ألجأ إلى حكمة شيوخ الأمة ، كما كان لابد لى ، وقد أرادنا حلفاؤنا على الاشتراك فى الحرب ، أن أقدر المصلحة العليا للبلاد

وأن أحترم دستورها ، وأتقدم إليكم بالرأى ، وخصوصاً بعد أن أعلنت إيطاليا أنها لاتريد أن تجر مصر وغيرها من الدول التى ذكرتها إلى الحرب ، فلو أننى وافقت ممثل الحليفة على طلبه اشتراك مصر فى الحرب من غير أن أرجع إلى البرلمان لكنت معتدياً على دستور البلاد .

(تصفيق حاد من جميع الصفوف)

فضلا عن أن السياسة التى أوحتها التجارب والحوادث كانت تحتم علىّ تجنيب البلاد ويلات الحرب ، سواء أكان ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر ، فلما صدر قرار البرلمان بتأييد سياسة الحكومة قضى هذا القرار على طلب اشتراك مصر فى الحرب ، وأعقب ذلك ماقرأتموه فى الصحف من بعض البيانات التى تصرح بأن بريطانيا لاتريد من هذه الحكومة ولا من أية حكومة مصرية أخرى إعلان الحرب .

وقد وضعت الحكومة نصب عينيها المصلحة العليا للبلاد ، متوخية إجابة طلبات الحليفة ، مادامت هذه الطلبات لاتجر مصر إلى حالة تخالف السياسة التى أقررتموها ، ولكنها رأت فى بعض هذه الطلبات أنها تؤدى بذاتها أو بمجموعها إلى حالة الحرب المقرر تفاديها ، فنشأ الخلاف .

وفى الوثائق الرسمية المودعة فى محفوظات رياسة مجلس الوزراء ووزارة الخارجية ، الكثير من هذه المطالب .

ويتلخص جوهر الخلاف الحالى فى التعارض بين مصلحة الدولتين ، فكل منا يعمل بما يمليه عليه الولاء والإخلاص لوطنه .

وأخيراً فوجئت البلاد بطلب تغيير الحكومة باعتبار أنها لاتعبر عن رأى الشعب ، ولا عن شعور المصريين ، ولا تصدر عن مصلحة

مصر ، ولا تعمل بروح المعاهدة ، وترتب على ذلك أن التجأ ممثل الحليفة ، مع شديد الأسف ، إلى الوسائل العتيقة التى كانت تعرفها هذه البلاد قبل إمضاء المعاهدة .

جمع جلالة الملك رؤساء الوزارات السابقين ، ورئيسى الشيوخ والنواب الحاليين ، ورؤسائهما السابقين ، ورؤساء الأحزاب المصرية ؛ وأتيحت لى الفرصة لعرض تفاصيل الحوادث التى وقعت فى الأسابيع الأخيرة ، فكان رأيهم أن عمل الحليفة تدخل فى شئون مصر يمس استقلالها ، ورأوا لاعتبارات شتى أن تقبل استقالة الوزارة التى كانت من مبدإ الأمر تحت تصرف جلالة الملك ، فرجوت جلالته أن يقبلها ، وقد تفضل بقبولها ؛

وإذا كانت الحكومة البريطانية الحليفة قد عدلت عن المطالبة باشتراك مصر فى الحرب ، أو تعدل عما من شأنه أن يجعل هذه الحرب أمراً واقعاً ، فإنها لاشك تيسر مهمة من يتولى الحكم بعدى ، وترضى الشعور العام المصرى .

حضرات الشيوخ المحترمين :

ليس تجنيب مصر الحرب ، أمراً قد أوحاه الخوف ، أو أملاه الجزع ، أو الاطمئنان إلى نوايا الدول الأخرى . كلا . . بل الحقيقة الواضحة هى أنه ليس على هذه البلاد المستقلة أى التزام لحليفتها أكثر مما ورد فى المعاهدة .

(تصفيق حاد من جميع الصفوف)

فمصر وحدها ـ حكومة وبرلمانا ـ هى التى تقدر مصلحتها ، وقد قالت كلمتها فى هذا الشأن بعد إمعان وتفكير طويلين ؛

فلا يظنن أحد أن المصريين يرغبون عن التضحية والفداء دفاعا عن حريتهم واستقلالهم ، والتاريخ حافل باستبسالهم فى الدفاع عن الوطن .

(تصفيق حاد من جميع الصفوف)

حضرات الشيوخ المحترمين :

لقد فتحت هذه الوزارة بتخليها عن الحكم الطريق إلى مصريين آخرين ، وإننى لاأشك فى أن الوطنية الصادقة التى تنطوى عليها ضلوع الساسة المصريين ، ستظهر جلية فى هذه الساعة ، ومهما تعاقبنا فى الحكم فستكون الغاية مصر : كرامتها ، واستقلالها ، وسلامتها .

حضرات الشيوخ المحترمين :

إن واجب الوفاء يقضى بأن نؤدى لحليفتنا المعونة التى التزمنا بها بارتياح وإخلاص ، ومصلحة مصر هى فى أن يسود الهدوء البلاد ، وأن تعتصم بالسكينة ، وأن تثق بمستقبلها ، فان هذه البلاد من فجر نهضتها وهى تسير فى طريقها مجتازة كل عقبة فى سبيلها ، مطمئنة مؤمنة بمصيرها .

(تصفيق حاد من جميع الصفوف)

حضرة الشيخ المحترم وهيب دوس بك — أطلب الكلمة .

الرئيس — فى مثل الظروف الحاضرة يحسن أن لايكون البيان محل مناقشة .

حضرة الشيخ المحترم عبدالحميد إسماعيل أباظة بك — أريد أن أوجه كلمة شكر لرفعة على ماهر باشا على بيانه القيم الذى أدلى به الآن ، وعلى موقفه المشرف .

الرئيس — يمكن لحضرة الشيخ المحترم أن يشكر . ولكن لا أسمح أن يكون البيان محل مناقشة ، فهذا يتنافى مع التقاليد الدستورية .

وهل توافقون حضراتكم على رفع الجلسة الآن على أن يترك للرئاسة تحديد موعد الجلسة المقبلة . (موافقة) .

(رفعت الجلسة الساعة السابعة والدقيقة الأربعين مساء)

(مضبطة الجلسة الرابعة والأربعين لمجلس الشيوخ يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٩٤٠) .

نص الاستقالة

وفى يوم ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٠ أعلنت صورة كتاب الاستقالة والأمر الملكى بقبولها ونصهما :

مولاى

يمر العالم بفترة من أحرج فترات التاريخ البشرى ، وبلادنا العزيزة القديمة التى عاصرت أقدم المدنيات وشهدت أعظم الحوادث ، تمر اليوم بامتحان عديم النظير ، ومما يقوى إيمانها فيما تطمح إليه وجود ملك طموح على رأس نهضتها يخفق قلبه بآمالها .

وقد استمدت الوزارة سياستها فى الأيام العصيبة التى مرت بها منذ قيام الحرب من روح الشعب ورغباته ، فأيدها البرلمان واطمأنت إليها الأمة . وكان من أقصى أمانينا أن نمضى فى هذه السياسة حتى نؤدى واجب الوطن ، وتجتاز البلاد هذه الأيام فى أمن وسلام ، ولكن أصبح الاستمرار فى الحكم متعذراً لأسباب قاهرة خارجة عن إرادتنا ، وإرادة الشعب المصرى .

لهذا أرانى مضطراً إلى رفع استقالتى إلى مقامكم السامى ، وأنا قوى

الأمل فى أن البلاد فى ظلال رعايتكم ، ستخرج من هذه المحنة مرفوعة الرأس عزيزة الجانب .

ولا يسعنى فى هذا الموقف إلا أن أقدم أنا وزملائى أخلص الشكر وأصدق عبارات الولاء لذاتكم الكريمة على ماتفضلتم فحبوتمونا به من عظيم العطف والتأييد مدة اضطلاعنا بأعباء الحكم .

وإنا لنضرع جميعاً إلى الله العادل القادر أن يحفظكم للوطن ملاذه وذخره ، ويبقيكم مصدر مجده وفخره ، ويجعل التوفيق مكللا لجميع أعمالكم .

ولا زلت يامولاى لجلالتكم المخلص الأمين .

القاهرة فى { ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٥٩ / ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٠ }　　　على ماهر

أمر ملكى

بقبول استقالة رفعة على ماهر باشا

عزيزى على ماهر باشا

لقد كان من أشد بواعث الأسف لدينا ماحدا بكم إلى رفع استقالتكم إلينا . ولا شك أن البلاد ستحفظ لكم بالذكر الحميد على مر الزمان ، تلك الهمم العالية والوطنية الصادقة التى سستم بها أمورها ، فى حرص على طمأنينتها وسلامتها واستقلالها . فلكم مناخير الثناء وجميل التقدير .

وقد أصدرنا أمرنا هذا الى مقامكم الرفيع لتبلغوا اشكرنا إلى حضرات الوزراء زملائكم الذين عاونوكم فى مهمتكم ، فأديتم بذلك للبلاد أجلّ الخدم .

فاروق

صدر بقصر عابدين فى { ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٩ / ٢٧ يونيه سنة ١٩٤٠ }

للتاريخ

ما بين ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ و ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٠ تولى صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئاسة الوزارة للمرة الثانية ، وفيما يلى تلخيص لأهم الحوادث والأعمال التى وقعت فى هذا التاريخ نقلا عن جريدة الأهرام الغراء فى يوم الاثنين ٢٤ يونيو سنة ١٩٤٠ :

عرفت وزارة على ماهر باشا الأولى بوزارة « المائة يوم » وهى مدة بقائها فى الحكم .

أما الوزارة الماهرية الثانية فقد سلخت عشرة شهور و ٧ أيام ، وقد وقع فى عهد كلتا الوزارتين حوادث جسام وأحداث خطيرة ، أبدى فيها رئيس الوزارة تارة كياسة سياسية ولباقة إدارية ، وتارة صلابة وجرأة فى الرأى .

ففى عهد وزارته الأولى توصل إلى تأليف « الجبهة الوطنية » وتمت المناداة بأمير الصعيد ، ولى عهد المملكة ، الأمير فاروق ، ملكا ، بعد وفاة والده العظيم المغفور له الملك فؤاد الأول .

وفى عهد وزارته الثانية نشبت الحرب الحالية بين الحلفاء وألمانيا ، ثم بينهم وبين إيطاليا ، فكان العهد سلسلة غير منقطعة من الحوادث الخطيرة التى نشأت عن الحرب وموقف مصر منها .

وأعلنت الأحكام العرفية بعد تأليف الوزارة بأسبوعين . والجميع معترفون أن هذه الأحكام كانت ناعمة الملمس ، لينة الأثر ، ظلت الحياة النيابية فيها قائمة ، ولم يقدم الحاكم العسكرى على تشريع أو تدبير إلا بعد الرجوع إلى البرلمان أو استشارة لجانه .

وفيما يلى عرض أهم الحوادث التى وقعت على عهد الوزارة الماهرية الثانية :

فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ تألفت الوزارة برياسة رفعة على ماهر باشا ، وقد احتفظ لنفسه مع الرياسة بوزارة الداخلية والخارجية . وأنشأ فيها وزارة للشئون الاجتماعية، وعين وزيرين للشئون البرلمانية ، وعهد بقيادة الجيش المرابط إلى عبد الرحمن عزام بك .

ولم يحدث أى تعديل فى الوزارة منذ تأليفها عدا ما كان من نقل الشاذلى باشا إلى وزارة الأوقاف فى ٢٠ ديسمبر ، وحلول عزام بك محله ، وانتداب الأستاذ عبد الهادى أخيراً للإشراف على شئون التموين .

ولم يمض على الوزارة سوى أسبوعين حتى أعلنت الحرب باجتياح ألمانيا لبولندا .

وفى ٢ سبتمبر أعلنت الأحكام العرفية ، وعين على ماهر باشا حاكما عسكريا عاما ، ثم عين مصريون حكاما عسكريين فى بعض المناطق ، وأنشئت إدارة للرقابة على الصحف والمكاتبات والمخاطبات والسينما والإذاعة ، وأصدر الحاكم العسكرى أوامر عديدة ، تنفيذاً لقانون الأحكام العرفية .

وفى ٤ سبتمبر صدر قانون بتسعير المواد الغذائية والوقود ، وتألفت لجان فى المحافظات والمديريات لتنفيذه . وقررت الحكومة المصرية قطع العلاقات السياسية بين مصر وألمانيا .

وفى ١٢ سبتمبر صحب على ماهر باشا صاحب الجلالة الملك فى رحلته إلى مرسى مطروح .

وفى ١٥ سبتمبر أصدر الحاكم العسكرى قراراً بمنع التعامل التجارى والمالى مع رعايا ألمانيا .

وفى ٢٠ سبتمبر عين رفعته عضواً بمجلس الشيوخ .

وعلى أثر استقالة طلعت حرب باشا من مجلس إدارة بنك مصر وشركاته ، اتخذت الحكومة التدابير اللازمة لمعاونة البنك على المضى فى مهمته القومية .

وفى ٢٤ سبتمبر استصدرت الوزارة مرسوما ملكياً بدعوة البرلمان إلى اجتماع غير عادى فى ٢ أكتوبر بعد أن استشار رفعته زعماء الأحزاب البرلمانية والمستقلين .

وفى ٨ أكتوبر قرر مجلس النواب أن تقوم الحكومة بمفاوضة الحكومة البريطانية فى شراء «كل ماتحت يد مصر من القطن» .

وفى ١١ أكتوبر أقرت أغلبية مجلس النواب مرسوم الأحكام العرفية ضد ١٣ صوتا ، وفى ١٧ أكتوبر قرر مجلس الشيوخ استمرار الأحكام العرفية بأغلبية ٦٨ صوتاً ضد ٥٩ .

وفى ٨ نوفمبر صدر مشروع مرسوم بقانون إنشاء نقابة للصحافة .

وفى ١٨ نوفمبر افتتح البرلمان دور انعقاده العادى الخامس عشر ، وتلا رئيس الوزارة خطاب العرش ، وقد تضمن سياسة الوزارة فى الشئون الداخلية والخارجية .

وقام ماهر باشا وبصحبته صالح حرب باشا ، وعبد القوى أحمد بك برحلة إلى السودان فى ١٧ فبراير سنة ١٩٤٠ .

وفى ٣٠ أبريل تناقش مجلس الشيوخ فى الاستجواب المقدم عن مذكرة الوفد والهيئة الوفدية التى قدمها رفعة النحاس باشا إلى السفير البريطانى ، وأدلى رفعة ماهر باشا بوجهة نظر الحكومة .

وفى ١٤ مايو قررت أغلبية مجلس النواب إعلان الثقة بالوزارة بعد المناقشة فى الاستجواب الخاص بمذكرة الوفد المشار إليها .

وفى ١٤ مايو أيضاً احتفلت الحكومة بإزاحة الستار عن تمثال مصطفى كامل باشا بحضور جلالة الملك وألقى رفعة ماهر باشا خطاباً رائعاً .

وفى ١٥ مايو انتهى مجلس الشيوخ من المناقشة فى الاستجواب الخاص بمذكرة الوفد ، وألقيت كلمات طيبة فى الاتحاد .

وصدر فى ٤ يونية مشروع قانون البنك المركزى للدولة ، وعرض على البرلمان .

وتألفت فرق للمتطوعين للبوليس الخاص ومجالس للأعيان ، وألفت لجان لتقدير التعويضات .

وفى ١٠ يونيه أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا وفرنسا ، وألقى موسولينى خطابا أشار فيه إلى دول البلقان ومصر قائلا إنه لن يعتدى عليها إذا حافظت على حيادها .

وفى ١١ يونيه أفضى رفعة ماهر باشا ببيان للصحف عن موقف مصر بعد دخول إيطاليا الحرب .

وفى ١٢ يونيو عقد كل من مجلس الشيوخ ومجلس النواب جلسة سرية لسماع بيان رفعة ماهر باشا عن سياسة الحكومة التى حددت موقف مصر بأنه موقف دفاعى ، مع قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا ، واعتقال

الأجانب الخطرين على الأمن . وقد وافق المجلسان على سياسة الحكومة ، ثم أيد البرلمان ، سياسة رفعة ماهر باشا .

وفى ١٧ يونيو عين زكى الأبراشى باشا حارساً عاما على أموال الإيطاليين.

ومنذ دخول إيطاليا الحرب ، جرت مباحثات ومقابلات خطيرة فى القاهرة ولندن ، وقد اقترن ذلك بالإشاعات عن موقف الوزارة وتفكيرها فى الاستقالة .

وفى مساء يوم ٢٢ يونيو ، عقد فى قصر عابدين تحت رياسة صاحب الجلالة الملك ، اجتماع تاريخى من رؤساء الوزارات السابقة والمجالس النيابية السابقة والحالية وزعماء الأحزاب للمشاورة فى الحالة السياسية .

وقد كان للحرب بطبيعة الحال أكبر أثر فى أعمال الوزارة ، فصرفت معظم همها إلى شئون الدفاع ، وتوفير المال اللازم لها ، وإلى تحديد مركز مصر تجاه المسائل العديدة التى نشأت . دون أن تهمل المشروعات التى ترمى إلى تحسين حالة العامل والفلاح . "

وأخيراً ...

وأخيراً صدر مرسوم ملكى بتشكيل وزارة يتولى رئاستها المغفور له صاحب الدولة حسن صبرى باشا ، وجرت الأمور فى مصر بعد ذلك على نحوٍ لامحل لبسطه والكلام فيه ، فلذلك مناسبته وظروفه ؛ ولكنى بصدد وقائع لامناص من تسجيلها عند ماتناولت شأنا عاما ، يتصل بصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، وقد سجلتها موجزة أيضاً ، لأنه لاسبيل إلى تحليلها والقطع برأى فيها ، مادامت طبيعة المناسبة التى أؤلف لها محدودة قاصرة على رحلته إلى السودان ، غير أنى ، وقد سجلت ماسبق

الرحلة من ظروف وحوادث ، لم يكن بد من تسجيل ما أعقبها أيضاً من ظروف وحوادث ، فكل ذلك مترابط متماسك ، لاسبيل إلى تجزئته أو تناسيه .

لقد تولى رفعته رئاسة الوزارة المصرية مرتين ، فسجل له التاريخ فى عهديه ، أشرف ما يكتب لسياسى فى صحيفته ، وقدم هو لأمته خير ماتطيقه النفس العالية ، وقصارى مايملك بذله زعيم ، وقائد ، وبطل .



السودان بين الحقيقة والخيال

الإنصاف

آفة الشرق كله ، هم أولئك الكتاب الذين يقذفنا بهم الغرب ، ثم يعودون إلى أوطانهم ، فيقبضون الثمن لما يدخلونه على أقوامهم ، من التسلية ، بعرض الصور المشوهة ، والأوضاع المقلوبة ، والمساوىء والعيوب ، فيقولون للناس هناك :

هذا هو الشرق ، هذه هى مصر ، هذا هو السودان .

هذه هى الآفة التى شقينا بها طويلا ، ولا نزال نشقى بها ، وهى التى شقى بها السودان . . لا من الغربيين وحدهم . . . بل من بعض الشرقيين أيضاً . . ومعذرة إن طويت الحديث . . .

ماذا لو أن فى السودان غرائب . ؟ ! ومتى سلم شعب من الشذاذ العابثين ؟ ! فى أوربا . . فى أرقى عواصمها . . فى أجمل مغانيها ، شذوذ الخزى . . وعار الفضائح . . ومع ذلك يعود الشرقى إلى وطنه ليتخذ من مدائن الغرب آلهة جمال تعبد . . ومعابد تتقدس وتذكر بالخشوع والرهبة والإجلال . .

هذا الفارق بين حال وحال . . . وبين قول وقول . . . هو موطن الداء والعلة فينا . . فلا أقول متى نعالجه . ؟! ولكنى أقول يجب أن نقضى عليه . . . يجب أن نجعل الناس يسمعون كلمة الإنصاف ، ويشهدون صورة العدل ، وأن يتجنب الكتاب مزالق الأقلام عند ما يكتبون عن بلادهم فلا يكون رائدهم ، إرضاء شهوات الفضوليين . . . والبحث عن قراء الفراغ ، وعباد اللهو ، وطلاب التسلية . .

يجب أن يكون رائدنا الإنصاف .. بهذا ألزمت نفسى فى كتابى عن رحلة الزعيم ، وسألزم نفسى به كلما عرضت مناسبة للسودان . . فلقد أصبحت على ثقة بأمر لا مرية فيه . هو أن السودان . . كنز أخلاق فاضلة ، ومظهر عزة شرقية عربية ، وأنه مفخرة أبناء النيل جميعاً .

ليس فى هذا مبالغة . . فاذا شاء من أراد . . فليذهب إلى السودان . . وليذهب إليه وملء قلبه الإيمان بأنه يمشى فى وطنه ، ويرتحل إلى بلاده . وليفتح عينيه ليرى بهما المحامد والحسنات ، قبل أن يفتش عن العيوب والسوآت . .

فلو كانت بالسودان أشياء منها . . فليفتش عن المسئول عنها . . . فسيجد المسئول شيئاً آخر . . . ليس هو السودان على أى حال . . .

تاريخ السودان

فى تاريخ السودان كما فى تاريخ كل أمة ، مؤلفات عديدة ، أسهبت فى البحث والتحليل ، وإرجاع الفروع إلى أصولها ، والقبائل إلى منابتها وأجناسها ، وعلى قدر الإسراف فى هذه البحوث ، تذهب الفائدة العاجلة ،

التى ينشدها القارىء ، فى هذا العصر ، الذى طغت السرعة على كل شيء فيه ، وأصبح الغذاء عناصر مركزة تعطى الجسد مايحتاج إليه من التغذية .

النتائج القريبة الملموسة ، هى التى توضع بين يدى الناس ، أما المقدمات ـ الطويلة ـ فليس من الإنصاف أن نحشدها فى صفحات مثل هذا الكتاب إلا بمقدار يتناسب مع الحاجة ومقتضى الحال .

هذا المصدوع الذى تتشقق رأسه من الألم؟ ودواءه فى مركزة صغيرة يبتلعها فتعطيه الشفاء .! ماحاجته إلى شرح مستفيض عن كيفية التركيب وأسماء العناصر ونسب التكوين فى الدواء الذى يشفيه !؟

نحن فى مصر نخالط بين "سودانى" و "زنجى" ونتعثر بين "نوبى" و"بربرى" ونمزج بين هؤلاء وهؤلاء .

هو مرض عارض . . . علاجه سهل المنال ، قريب المأخذ ، يتلخص فى كلمات قلائل تنتهى بها كل هذه البحوث العلمية الجليلة ، التى يعقدها المؤلفون ، فتطغى عليهم لذة المعارف الغزيرة ، والدراسات العميقة ، ويعمدون إلى علاج الأمر بإسهاب ، فيلتوى القصد ، وتطول الطريق .. وتتشتت الأذهان بين تلافيف البحوث ، ثم لاتعود بشيء منها .

ولقد كرهت أن يتكلف قرائى مشقة هذا العناء ، وآثرت أن أنتهى بهم إلى النتيجة وحدها ، دون سرف ولا إخلال .

السودان الحى !

ويجمل بنا أن نقصر الحديث هنا على السودان الحى ، أى على الصورة القائمة الآن فيه ، والتى ترجع إلى تاريخ الفتح الإسلامى ، فمن هذا الدور

يبدأ عهد جديد لبلاد النيل كلها بقدر مشترك بين مصر والسودان جميعاً ، وكما كانت مصر قبل ذلك خليطاً من أديان وجنسيات كذلك كان السودان ، حتى كانت رسالة الفتح الإسلامى ونزوح القبائل العربية إلى وادى النيل ، ففرضت عليه طابعها ولغتها وحضارتها وتأقلمت بالطابع المميز لحضارة النيل ، الذى يرث وينمى ويصبغ كل شىء بصبغة واضحة المعالم ، هى ميراث شامل لكل مايفد عليه من مدنيات الفاتحين ، يضاف إلى مااستقل به هو من مدنية وحضارة .

واليوم إذ تتكلم عن مصر الفرعونية إنما تجدها فى الحفريات والقبور ونقوش الحجارة والمعابد ، وتفتش عنها لتصل مابينها وبين مصر الحاضرة فتتكلف لذلك مشقة التخريج والاستنتاج .

ومثل ذلك تلاقيه إذا تحدثت عن السودانى القديم !.

فمن هم السودانيون الآن ؟

قال صاحب دائرة معارف القرن العشرين فى الجزء الخامس ص٣١٧ مايأتى : " السودان اسم علم يطلق على الأراضى الشاسعة من إفريقيا ، المحصورة بين الصحراء وخليج غينيا ، وحوض نهر الكونغو ، وهو ثلاثة أقسام : " السودان الشرقى " و " السودان الأوسط " و " السودان الغربى " والسودان الشرقى هو السودان المصرى ، وهو يمتد من جنوب مصر إلى منابع النيل عند خط الاستواء ، ومن النيل إلى البحر الأحمر ، ماعدا الحبشة ، ومن النيل إلى وادى من السودان الأوسط غرباً .

كان هذا الإقليم تابعاً لمصر لغاية سنة ١٨٨٤ ميلادية ، ثم هبت به ثورة بسبب ظلم حكامه فيه . فأخلته سنة ١٨٨٥ ميلادية ، ثم افتتحته ثانياً

سنة ١٨٩٨ ميلادية ، وصار مشتركا بين إنكلترا ومصر ؛

السودان قطر شديد الحرارة نهاراً ، رطب ليلا ، وفى جنوبه تهطل الأمطار معظم السنة ، فتجعل هواءه رطباً ، وسقوط الأمطار يبدأ من شهر مايو إلى شهر سبتمبر ، وتقدر مساحته بنحو مليونين ونصف مليون من الكيلومترات المربعة يسكنها نحو عشرة ملايين من الأنفس ، ولغة أهل السودان غالباً العربية ، لأن أصلهم من العرب ، ويتكلم البرابرة فى شمال وجنوب حلفا بلغة خاصة ، ويتكلم الزنوج الذين ليسوا بعرب بلغات مختلفة ، وهم مسلمون ، وعلى مذهب مالك" اهـ .

ونقف عند العبارة الخاصة بغالبية سكان السودان ، وهى نتيجة البحوث العلمية الدقيقة ، فنرى أنهم شعب عربى أصيل ، أو هو عربى امتزج بالقبائل الأخرى ، يتكلم اللغة العربية ويدين بالإسلام .

" (١) يمتاز باللون الأسمر ، والقوام الفارع ، والأنف الأزلف الجميل والملامح العربية التى عدلها مناخ الإقليم بعض التعديل ، ولعلنا نحسن تصوير السودان حقيقة ومعنى ، حين نحسن تصويره فى شكله المنظور ، فان التفاهم بالوجوه ، خليق أن يسبق التفاهم بالعقول " .

هذا هو شعب السودان كما يجب أن نفهمه ، وهذا هو السودانى كما يجب أن نعرفه ، ولاشيء بعد ذلك سوى بحوث العلم ، وتعمق المؤلفين . . ونحن فى غنى عن كل ذلك إذا وعينا هذا وأدركناه .

---

(١) من مقال للكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد فى جريدة الدستور الغراء فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠ .

ومن هم البرابرة ؟

وردت لفظة البرابرة أيضاً فى سياق عبارة الدائرة تبعاً للعرف الشائع الذى يرد التسمية بهذا إلى اللون الأسود ، ولكن الذى يجب أن نثبته هو أن البرابرة أقوام آخرون !

كلنا يذكر تلك الثورة العنيفة التى قامت حول هذه الكلمة ، ويذكر بالخير شيخ العروبة المغفور له أحمد زكى باشا ومقالاته الطلية فى جريدة الأهرام الغراء ـ حول" بربر ـ وبرابرة" وندع فكاهة المتفكهين بهذه الألفاظ ، ثم نعود إلى معجم البلدان الجزء الثانى صحيفة ١٠٤ فنقرأ فيه تحت عنوان :

" البربر" هو اسم يشمل قبائل كثيرة فى جبال المغرب ، أولها برقة ، ثم إلى آخر المغرب والبحر المحيط ، وفى الجنوب إلى بلاد السودان ، وهم أمم وقبائل لاتحصى ، ينسب كل موضع إلى القبيلة التى تنزله ، ويقال لمجموع بلادهم : بلاد البربر ، وقد اختلف على أصل نسبهم ، فأكثر البربر تزعم أن أصلهم من العرب ، وهو بهتان منهم وكذب .. وأما أبو المنذر ، فقال : « البربر من ولد فاران بن عمليق ، وقال الشرقى : هو عمليق بن بلعم ابن عامر بن أشليخ بن لاوز بن سام بن نوح ... والأكثر والأشهر فى نسبهم أنهم بقية قوم جالوت ، لما قتله طالوت ، هربوا إلى المغرب فتحصنوا فى جبالها ، وقاتلوا أهل بلادها ، ثم صالحوهم على شىء يأخذونه من أهل البلاد ، وأقاموا هم فى الجبال الحصينة " اه .

فالنسبة إليهم بربرى ، والظن فى الناس أنهم السود ، أو الزنوج ، أو

غيرهم ، ولكن الواقع أن أكثر هؤلاء المنتسبين إلى هذه القبائل يمتازون بلون أبيض ، وبأس شديد ، وقوة بدنية ، وكرم فى الضيافة ؛ ولهم لغة مكتوبة ، وأدب مدون ؛ ولهم علوم وتواليف ، فوق إتقانهم للغة العربية ؛ وليس من يجهل "الأجرومية" فى قواعد اللغة العربية ... فهذه مؤلفها ابن آجروم أحد علماء البربر بالمغرب .

وفى السودان بلدة « بربر » ولعلها منسوبة إلى تلك القبائل المغربية التى هاجرت إلى السودان قديماً ، ثم اندثرت بالامتزاج والتوالد ، وانتهت إلى العربية السودانية ، التى قدمنا ذكرها . فهؤلاء المهاجرون القدماء ، أو البربر المغاربة غير من يراد تسميتهم بلفظة بربرى (عرفا) من أهالى السودان .

أما الزنوج

أما الزنوج فهم القبائل البدوية التى تقيم فى أواسط إفريقيا وجنوبها وكذلك فى أمريكا الجنوبية أو الشمالية ، وهؤلاء سود الوجوه ، فطس الأنوف ، غلاظ الشفاه ، خشنوا الشعر ، طوال السيقان ، وهم غارقون فى الهمجية ، وفيهم العراة ، وفيهم من هو أقرب إلى الإنسان الأول ولهم لغتهم البدائية المنطوقة لا المكتوبة ، وأكثرهم الغالب من الوثنيين الذين يعبدون مختلف الآلهة ، وبعضهم اعتنق المسيحية على يد المستعمرين الغربيين فى إفريقيا ، وبعضهم اعتنق الإسلام من اختلاطهم بقبائل العرب السودانيين ، ومن هؤلاء الزنوج قبائل الشيلوك ، الذين يقطنون المناطق الجنوبية فى السودان ، وقد رأيناهم فى رحلتنا عرايا ، مجردين عن كل مايستر الجسد نساء ورجالا ؛ ولهم لغتهم الزنجية التى يعرفها بعض ضباط

الإنكليز الذين يقيمون فى هذه المناطق ، وتعينهم الحكومة فى وظائف كبيرة على الرغم من صغر أعمارهم ، لأنهم يعرفون هذه اللغة ، وكان الضابط الذى رافقنا فى رحلتنا بالملاكال يحدثهم بلغتهم ، ونحن لانفهم منها شيئاً .

بينى وبين ضابط انكليزى

وقد كان هذا الضابط يعرف اللغة العربية أيضاً ، لأن من شرائط التوظف فى حكومة السودان أن يتقن الإنكليزى اللغة العربية ، وتعطى له فرصة سنتين ، ثم يؤدى امتحانا فيها ، فاذا أخفق ردوه إلى بلاده ، أو عينوه فى وظيفة أخرى ببلد آخر .

قلت لمحدثى ، وقد صحبنى لشراء جلد ثعبان ، أو نمر من السوق ، فى مدينة ملاكال ... " متى تعلمت لغة الشيلوك ؟" قال " فى أثناء وجودى بالخدمة هنا ... " سألته " وهل وجدت صعوبة كبيرة فى ذلك ؟!"

قال " بعض الشيء ... فهى لغة سماعية ، ولكنها محدودة لاتتعدى المنظور أمام العين فى مثل هذه القفار الشاسعة " .

سألت محدثى لماذا يترك هؤلاء الناس عراة هكذا دون أن يستروا شيئاً من جسدهم ؟!. قال " إن اللبس يضر أجسادهم ، وقد يفضى بهم إلى مرض مميت ! إلا إذا عوّدوه قبل السادسة من عمرهم .."

قلت : ولماذا لم يعوّدوا فى هذه السن ؟ !

قال : " أظن أن الأفضل بقاؤهم على حالهم حتى لانمس تقاليدهم الموروثة ... واستطرد فقال : من أهم ماتعنى به سياستنا الإنكليزية أن تترك الحرية المطلقة للشعوب فى معتقداتها وعاداتها .."

وانقطع حديثنا فى هذا ، لأن الأهالى أكثروا من التزاحم حولنا ، يتنافسون فى عرض بضائعهم ، ودعوتنا لدخول متاجرهم ، وقضينا وقتاً طيباً فى هذه الجولة ، مما سأفصله عند عرض أيام الرحلة .

عودة الى الموضوع

وأعود إلى موضوعنا الأصلى . فنرى مما سبق أن السودانى هو غير البربرى ، وهو غير الزنجى أيضاً ؛ وتبقى بعد ذلك لفظة « العبد »

فمن هم العبيد ؟

هذه التسمية معروفة يحددها المعنى اللغوى للكلمة ، فالعبد هو غير الحر ، أو هو الرقيق ، يباع ويشرى ، وقد قضى على هذه التجارة المرذولة التى كانت وحشية مؤلمة وقعت فيها الإنسانية فى كل أنحاء المعمورة [١] ، وأنتجت ثورة عنيفة وحربا أهلية فى أمريكا ، وكان لمصر وللمغفور له إسماعيل باشا خديوى مصر فضل عظيم فى القضاء عليها . وهؤلاء العبيد كانوا يختطفون من أهلهم سرقة واغتيالا ، ويباعون ويشرون فى أسواق النخاسة ، وكان التجار الذين يزاولونها يسمون « بالجلابة » وقد بقيت هذه التسمية تلازم العرب فى السودان ، فتسمع الزنجى الوثنى يقول للمبشر المسيحى إذا منعه من أن يتزوج بأخرى " لماذا تمنعنى . ؟! إن لدى بقراً كثيراً ، وفى القبيلة نساء كثيرات .. " فاذا قال له " الدين المسيحى يمنعك من ذلك " قال " إذن دين « الجلابة » خير لى .. " يعنى الدين الإسلامى

(١) الرق بهذه الصورة التى شاعت فى العالم لا يعرفه الاسلام بل يحرمه وفى هذا الموضوع بحوث جليلة أيسرها للقارئ كتاب الرق فى الاسلام لمؤلفه المغفور له أحمد شفيق باشا .

الذى يسمع به من السودانيين التجار حينما يفدون على الجنوب فى تجارتهم ولقضاء مصالحهم .. فالتسمية بهذه اللفظة إذن لا يجوز أن نقع فيها عند ما نعنى السودانيين .

النوبى

بقيت بعد ذلك كلمة النوبى ، ونرجع إلى معجم البلدان ، فنرى فيه « نوْبَـة » ... والنوب جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها...والنوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر ، وهم نصارى أهل شدة فى العيش ، أول بلادهم بعد أسوان ، وقد مدحهم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « من لم يكن له أخ ، فليتخذ أخا من النوبة » . والنوبة نصارى يعاقبة لا يطأون النساء فى الحيض ، ويغتسلون من الجنابة ويتختنون .. " اه .

وقد دخل الإسلام بعد ذلك إلى هذه البلاد ، فأصبح هو دينها ، ولهم فى تاريخنا الحربى خير فضل ، وأكبر أثر ، وطالما كانت جنود مصر الظافرة ، وجيوشها الموفقة مؤلفة فى كثرتها الغالبة من أبناء هذا الإقليم ، الذين يمتازون بالأمانة المطلقة ، والغَـيرة الشديدة على العِـرض وبالمروءات المتعددة المظاهر .

فالنوبيون هم أهل القبائل المقيمة على ضفاف النيل من جنوب أسوان إلى دنقلة ...

أما كلمة نوبة من التاريخ القديم فأصلها " نب " أى الذهب ، وكانت النوبة تسمى بلاد الذهب لوفرة هذا المعدن فيها ، وكان الفراعنة يجعلونه فى نقوشهم ومقابرهم بكثرة مدهشة ، والنوبيون إلى اليوم يتكلمون لغة خاصة

بهم هى مزيج من الديموطيقية والقبطية ، ولها حروف غير معروفة فيهما ، وهم الآن سلالة عربية أو "تركانية" نسبة إلى عنصر المماليك أو الأتراك أو الجراكسة الذين عمروا هذه البلاد حكاماً فى العهود التاريخية القريبة ، وكانوا يعرفون "بالكشاف" وإنما بقيت هذه القبائل محتفظة بلغتها ولهجتها الموروثة لانقطاع أسباب الاتصال الاجتماعى بينهم وبين مصر أو السودان فى بلادهم نفسها ، نظراً لوعورة مسالكها وشدة جدبها وإمحالها ، أما أهلها فإنهم ينتشرون فى وادى النيل شمالا وجنوباً ، فلا تكاد تخلو منهم مدينة أو قرية فى أى ناحية من نواحى مصر والسودان .

ومما يلاحظ أنه عند الفتح العربى الذى امتد إلى أسوان كانت مقاومة النوبيين للعرب شديدة فنازلوهم عند أسوان فى موقعة عنيفة ذهبت فيها نفوس الكثيرين من الفاتحين ، ودفنوا بمقبرة أسوان : ومن هنا نفهم سر القداسة التى تحمل أهالى الدر أو أسوان على أن يبروا بقسم "جبانة أسوان ."

وقف الفتح الإسلامى عند هذه الحدود ، ولكن رسالة الإسلام تسربت إلى النوبة فغزتها وفتحتها سلاماً ، بعد أن عجزت عن ذلك حرباً ، وأصبحت كلها بلاداً إسلامية . ومن ثم اتصلت حلقة العروبة بين أجزاء وادى النيل كله .

وفى هذه البحوث مراجع غنية ومؤلفات قيمة ، فللمستزيد أن يطلب بغيته فيها ، أما الآن فلا يعنينا أكثر من أن نأخذ نتيجتها القائمة ، ونعرف كيف نحسن التفرقة بين لفظ سودانى ونوبى ، وبين غيرهما من الأسماء .

اعتراف

عند ما أخذنا فى الاستعداد للسفر ذهب كل منا يستجمع معلوماته من الجغرافيا ومن التاريخ عن السودان ، ويستنجد بما يقع إليه من المؤلفات والمراجع حتى تكون فى ذهنه صورة واضحة لهذه البلاد ، هكذا فعلت ، وخرجت من القراءة بفكرة قربت إلى مخيلتى حالتها ، ولكنها بعد المشاهدة العينية ، أصبحت صورة ناقصة تافهة ، لاتدانى الحقيقة الواقعة ، ولا تنصف الوجود القائم .

ولكنى أطمئن القارىء الكريم ، فليس السودان فى حاجة إلى هذا العلم الفياض الذى تفيض به الكتب والمؤلفات عن تاريخه وأحواله ، إنه ليس فى حاجة إلى مكتبة ضخمة تتركز فى موسوعة أو مؤلف .!؟ إنه أيسر من هذا بكثير ..! لا يكلفك أكثر من أن تعرف الطريق إليه .!!

وحين تراه يستبد بك الأسف على أنك تضيع وقتاً فى القراءة والبحث ، والتحليل والتنقيب .!!

ليس المصرى غريباً

أول ماتعجب له هو انعدام إحساسك بالغربة . . ! فوق ماتلمسه من تشابه قوى بينه وبين بلاد مصر . . فالريف هو بعينه ريفنا المألوف ، والمدائن الحديثة فيه أشبه بمثيلاتها ، كالمعادى وحلوان ومصر الجديدة والاسماعيلية ، واللغة هى اللغة ، والزى الذى تراه فى شوارع الخرطوم وأم درمان وعطبرة وبورسودان هو الزى الذى ألفته عيناك فى بلاد الصعيد وفى عواصم القطر ، البذلة والجبة والقفطان والجلباب والطواقى ،

والشقة أو الملس . . . كل هذا الخليط الذى تعرفه فى مصر هو الذى تراه فى السودان مع فوارق تافهة لا تقدم ولا تؤخر ..!

وكأنى بك إذ تذهب فترى صدق ما أقوله ، يدور برأسك سؤال حائر "هو فيم إذن هذا الغموض المخيم علينا فى أمر السودان ؟!"

مثل هذا السؤال يلح عليك ويلاحقك كلما شاهدت وتنقلت وأقمت . . فلا تعرف له جواباً . !

لما نزلت بنا الطائرات فى وادى حلفا كان بين المستقبلين عدد كبير من الأعيان والتجار والشبان ، وقفنا بينهم ساعتين نتحدث ونسمر . كأنما نحن أصدقاء العمر ، وعدنا نفتش فى خيالنا عن صور العجائب التى ارتسمت فى أذهاننا والتى تملأ أدمغة الكثيرين فى مصر .. الودع . . والريش والتمائم والجراد والعسل الذى يؤكل هناك ..!!

حسرة

لم نجد شيئاً من هذا فصدمتنا الحسرة . . . الحسرة على أننا جهلنا طويلا ، وقصرنا كثيراً . وظلمنا أنفسنا فى ماضينا بهذا الجهل ، وهذا التقصير ..

ولم نكن فى عطبرة أو فى الخرطوم أو أم درمان أو سنار أو كوستى بأقل حسرة ، بل كنا فى كل مرحلة نزداد شعوراً بالأسف الممض العميق .

والنصيحة لمن يعنيه شأن السودان أن لا يجعل همه فى بحث الأنساب والقبائل ، فالوقت فى هذا ضياع مابعده ضياع . . . فليس فى السودان وأمره وليس فى أهله وأحوالهم مايقتضيك عناء الدراسة والبحث ... أو يكلفك مشقة الاطلاع والتعمق ... الأمر أهون من هذا وأيسر ، إذهب بنفسك ولا تدع لمؤثرات الوهم والخيال سبيلا إلى نفسك ، فأنت

حينما تنزل بالسودان تجد أهلا وإخوانا وأحباباً ، يروعك أنهم يعرفونك ويعرفون عن قريتك التى ولدت بها والحى الذى تقطنه أكثر مما يعرف جيرانك الأقربون !!.

يعرفون كل شيء

لقد حيرتنى هـذه الظاهرة وأنا جالس مع أحد رفاقنا بالرحلة فى إحدى المقاهى بالخرطوم ، كان الذين يجلسون بجوارنا يتحدثون عنا ويتحدثون عن رفاقنا فى الرحلة ، كأنهم عاشرونا ، وخالطونا ، فهذا محرر بالأهرام ، وله مجلة خاصة ، وذاك كان صحفياً فى البلاغ ، وهو الآن موظف بالبرلمان ، والآخر هو رئيس تحرير البلاغ ، وهو حاصل على ليسانس الحقوق سنة كذا ..!!

ودخلنا النوادى فى عطبرة وفى أم درمان ، فما هى إلا دقائق حتى كنا مرغمين على أن نندمج فى الوسط المحيط بنا ، ثم أرهقنا الاستقصاء حينما شغلنا بمعرفة المصريين من السودانيين . فليس بينهما فارق ملموس .

ماذا تصنع الأوهام

لقد هممت كثيراً بأن أصارح الرفاق بشكوكى العجيبة .. " هل هـذا هو السـودان ؟ " وجاءنى جواب الواقع :

" نعم ! إنه هو ، لافارق بينه وبين مصر إلا فيما عقدته الأوهام ؟! . "

ومع ذلك فترانا نفعل كما فعل بنو إسرائيل ، يرسل الله لنا الأمر هيناً ، فنأبى إلا أن نقيم فى وجوهنا العقبات !!.

الحق والواجب ..

نحن - أو أكثريتنا - مقصرون فى حق السودان علينا ، ملومون فى جهلنا به ، وفى عدم الإلمام بحالته ؛ ويتضح هذا كله عند ماتقع العين على هذه الربوع العامرة الزاهرة ، ويزيد الأسف عند مانرى إخواننا فى السودان يعرفون عن مصر وشئونها ورجالها وأحداثها .. ماذا أقول .؟! أكثر مما يعلم بعض الناس فى مصر نفسها .

هذه حقيقة لمسناها فى أنفسنا .. وفى السودانيين الأعزاء ، فكنا نطرق حياءً ، ونغضى خجلا ، ونعاهد النفس على تعويض النقص ، وأداء الحق والواجب ...

ومن ثم كان اتجاهى لوضع هذا الكتاب عن الرحلة الميمونة للتعريف بالسودان ، كما رأيناه فى هذه الأيام القصيرة ، راجياً أن يكون منه بعض الشفاعة ، وأن يلازمه التوفيق الذى شمل الرحلة كلها ، وأن يعيننى الله تعالى برعايته ، فهو المسئول جل شأنه أن يوفق وأن يعين .

واجبنا .. وواجبهم

قلت : إننا مقصرون فى حق السودان ، وسجلت هذا الاعتراف ، فسقط عنا بعض الوزر . وقلت : إن واجبنا أن نعنى به وبشئونه أضعافاً وأضعافاً ، ولكن إلى جوار ذلك يجب أن يسمع إخواننا فى السودان الكلمة صريحة فى شأنهم أيضاً .

فهم مقصرون فى حق أنفسهم ، ملومون فى إهمالهم شأن السودان ، مخطئون فى عدم التعريف به .. إن هذه النهضة الكريمة التى لمسناها فى

شباب السودان ، وهذا الشعور الدافق فى صدورهم يجعل الأمر جسيما ، والمسئولية ضخمة ، والواجب محتوما لا فكاك منه . . يفد علينا من شبابهم كثيرون ، ومن أعيانهم وعلمائهم وعظمائهم وتجارهم من يقيمون هنا ، ومن صاهرناهم وصاهرونا ؛ كما يسافر إلى مختلف بقاع الأرض العدد الكبير منهم ، فأين جهدهم فى التعريف بهذه الربوع الجميلة ، وهذه المزايا الجليلة التى تتوافر فى السودان ، وتجعل منه أروع مشتى وأجمل مصيف؟!.

أخشى أن أقول : إن للجاهلين بالسودان عذرهم بعد هذا التقصير . . ولكن ما اعتذاركم يا أبناء العمومة والخئولة من شباب الشمال ، فى عطبرة ، وواد مدنى ، وبور سودان ، وسنار ، والخرطوم ، وأم درمان . ؟! ما اعتذاركم أمام أنفسكم ، وأمام الحق والإنصاف فى إهمال الدعوة لهذا الوطن العزيز ، ولأهله الأكرمين . ؟! ما اعتذاركم عن عدم الكتابة فى الصحف العربية والأوربية ، واشتراك شبابكم فى المحاضرات والمناظرات لبسط الحال وشرح الآمال . . ؟!

قد تقولون . . وتقولون . . ولكن أبواب الفكر واسعة ، ورحاب الدعوة فسيحة ، ولا يعوزكم الذكاء ، فهو فيكم لماع .

واجبكم إذن كواجبنا ، وقد دعونا أنفسنا لأداء ما علينا ، فهيا إلى العمل ، لتوفوا ما أنتم به مدينون . . .

ماذا نريد . . .

لسنا نريد مؤلفات ضخمة تقوم على التحقيق العلمى المحض ، ولكنا نريد صوراً لماعة ، نريد ألواناً سريعة خاطفة ؛ نريد أمثالا قصيرة واضحة تقرب إلى الأذهان حقيقة الشعور ، وحقيقة الحال ؛ نريد شعراً ونثراً

وقصصاً ينتزع من صميم الواقع ، ومن صميم الحياة ؛ فالمادة غزيرة ، والأقلام مرهفة ، والعبقرية كامنة ، والحس موفور ، فيكم وفى حياتكم وفى أخلاقكم ، خير ملهم للكاتبين والمؤلفين ، يصورون لنا ألوان العيش ، ويوضحون أسلوب التفكير ، وينشرون محامد الصفات الموروثة . ويقولون للناس : إن هذه الثروة الضخمة من طمى النيل على جوانب الوادى فى أرض الجزيرة ، وعلى ضفاف الروافد فى الجنوب ، ستتحول بفضل العزيمة ، وبقوة الحزم إلى جنات زاهرة ، تفيض بخير ماتنتجه الأرض من ثمار وبقول وتوابل وفواكه .

ويقولون للناس ماهوالفرق بين الشمال والجنوب ؟ وما هو الفرق بين القبائل المختلفة ؟ ومن هم الشيلوك ، كيف يعيشون عرايا مجردين ، وكيف يصنعون لطعامهم وبم يقتاتون . ؟ !

سمعت كثيرين من إخواننا الأعزاء فى السودان يعتبرون نشر صورة للشيلوك معرة تلحق السودانيين ..؟ ! وهذا الوهم الخاطىء يجب أن يعالج ، وعلاجه فى أن يعرف الناس فى كل أرجاء الدنيا أن هذه القبائل الزنجية تعيش فى بداوة الإنسانية ، وأنها لم تطعم غذاء المدنية ، وأن دين الله لم ينتشر ظله المنير فى آفاق حلاتهم (قراهم) ولم يصل إليهم سمعاً ولا تلقيناً .. وأن هذه الخلائق المظلومة ليست على حساب السودان ، ولكنها لحساب الهمجية المحتومة على المجاهل المغلقة حيث لا يؤدى العلم ولا العرفان ولا المدنية ، الواجب الأول ، الواجب الإنسانى المقرر ، نحو البشرية فى صورها المتعددة ، رقياً وانحطاطاً ، طرداً وعكساً .

وأن صورة السودان الحقيقى إنما تتمثل فى نسل العروبة من أبناء

العم شركائنا فى الدم والدين واللغة . وفيمن صاهروهم وامتزجوا بهم من القبائل الأخرى .

أنتم المسئولون ، ونحن معكم ـ بقدرٍ مّا ـ عن هذه الصورة المشوهة المطبوعة فى المخيلات عن السودان .

أنتم المسئولون ، ونحن معكم ، عن عدم التعريف بالفوارق بين القبائل والأجناس التى تعمر السودان وتعيش فيه .

هذا الرجل الذى تلقاه وبيده رسم للعراة من الشيلوك إذا سألته صورة من هذه ؟ ! قال فى بساطة : « سودانيين سودانيين » ويمضى يحدثك فى شأن آخر ، كأنه لم يرتكب خطأ جسيما هذا الرجل أو المؤلف أو الكاتب أو الصحفى . . غير ملوم ولا مسئول ، ولكنما اللوم والمسئولية عليكم وعلينا ، لأنكم لاتتكلمون ، ولأننا لانعرف . ؟ !

حقيقة السودان المشرفة

هذه الملايين من إخواننا فى السودان تلبس وتأكل وتسكن وتعيش ، كما نلبس ونأكل ونسكن ونعيش ، هنا فى مصر ، وفى الأسكندرية ، وفى طنطا ، وفى جرجا ، وفى أسوان ، ولكن الفلاح السودانى يفوق الفلاح المصرى نظافة وأناقة فى مظهره وفى داره .

بيت الفلاح السودانى وحده ، خير مرآة تنعكس عليها حقيقة هذه البلاد العزيزة ، وهو وحده أقوى حجة تسقط دعوى المرجفين قصداً أو جهالة . فهذا الرجل الفقير من السودانيين يغتسل ويتوضأ ويؤدى شعائر الدين ويعمل وينام فى ملبس أبيض ناصع ، تفوح منه رائحة العود

والصندل ، ومنزله البسيط المجرد عن زخارف الرفاهية ، نظيف جميل ، و"قلة الماء" عنده تغرى الريان بالشرب منها . ! ! أى مادة للقول وللحديث وللمحاضرة وللتأليف أغزر من هذا وأمتع . ؟ !

وقصر الغنى فى السودان ، ورفاهية العيش فيه ، أليست قصور العباسيين والفاطميين خالدة فى ألف ليلة وليلة . . ؟ ! هناك فى الخرطوم وأم درمان صورتها الحية ، تعقد الصلة بين هذه العروبة المتصلة من بطون التاريخ الإسلامى إلى عصرنا الحديث . . ؟ ! إلى أجيال قادمة متعاقبة بإذن الله . . . فيم إغفال هذا ، وهو مظهر الكرامة والعزة ؟ !

هذه الطمأنينة الشاملة فى المعاملات بين التجار وبين الناس . . هذه الوداعة فى الحديث والبشاشة فى اللقاء ، والكرم فى الضيافة . . . هذه الأقاصيص عن أمانة النفوس بين أبناء السودان يترك الرجل منهم ماله وديعة عند الآخر ، بلا صك ولا شاهد ، ويموت فإذا بالمؤتمن يذهب بالوديعة إلى الورثة ، يؤديها كاملة لا تنقص ، إن لم يزد فيها فضل الحاجة إن كان بالوارثين عوز . . . هذه الكنوز الثمينة من قوة الخلق هى غاية الروعة فى خيال الروائيين ، إذ يكتبون اليوم عن أحلام الإنسانية الفاضلة فى هذا العصر المادى الأصم ، فكيف تكتم ؟ وكيف تبقى مغمورة لا يعرفها العالم كله ، فيعرف بعض الشيء عن السودان . ؟ !

المسئولية والواجب

لهذا تعتبر مسئولية الإهمال فى الدعوة مضاعفة ، ويصبح الواجب مضاعفاً أيضاً ؛ ومن ثم يكون العبء هيناً علينا وعلى إخواننا السودانيين ،

فلا يكلفنا الأمر أكثر من بسط هذه الحقائق مجردة ، ففيها قوة التدليل وعمق الحجة والبرهان .

إن الفارق بين السودان عند القارىء ، وبينه عند المشاهد ، أكبر من الفارق بيننا وبين أولئك الذين لم يروا جهاز الراديو ، وهو اختراع حديث غريب على أذهانهم ؟ ! أما السودان فليس ابتكاراً من بدائع العلم البشرى ، وإنتاجاً من عبقريات الفكر البشرى ؟ إنما هو جزء الوطن المكمل ، وشطره الثانى ، وكل لا يتجزأ مادام شريان الحياة لنا وله واحداً لا يتغير .. وهو " النيل " ..

مؤتمر الخريجين

تحدثت عما لمسناه من نهضة شباب السودان ، وأحب أن أسجل أن عبء المسئولية فى الدعاوة للسودان واقع أول الأمر على هؤلاء الشباب ، وتتركز صورته فى مؤتمر الخريجين . فما هو هذا المؤتمر ؟

يطلق هذا الاسم على جماعة الخريجين فى المعاهد العلمية بأقسامها المختلفة وهم خلاصة الشباب المثقف ، المهيأ لشغل الوظائف فى السودان ، وهو يضم الكثرة الغالبة من المتعلمين ، وله نشاط فكرى يجعله مقياساً للعواطف بين هذه الفئة الناهضة من شباب السودان .

وله أغراض مرسومة ومناهج مقررة . وتعنى به جميع الطوائف السودانية ، وتحتفل به ، وتوليه الصحف فى السودان الاهتمام الجدير بأغراضه ومراميه وآثاره ، والذى يعنينى من أغراضه وغاياته هو موقفه من مصر وشعوره حيالها ، وقد وضح هذا فى الخطاب القيم الذى

ألقاه الرئيس الدورى للمؤتمر أمام رفعة الرئيس فى حفلة الشاى بنادى أم درمان ونصه :

صاحب المقام الرفيع
صاحبي المعالى
سادتى — إخوانى

فى هذا اليوم التاريخى العظيم ، وفى هذه الساعة السعيدة ، يسرى فى نفوس السودانيين جميعاً . شعور فياض بالغبطة والبشر ، يكل عن تصويره القلم ، ويعجز عن إيضاحه البيان، لتشريفكم هذا الحفل المتواضع فى مبناه ، الخطير فى معناه .

فرصة نادرة هذه التى أتاحتها الأقدار ، ليجتمع الأخ بأخيه الشقيق إلى شقيقه ، وليظهر السودانى ، عن قرب لأخيه المصرى ، بهذه المناسبة ، تلك العواطف النبيلة ، التى ترتكز على أربع دعائم ثابتة على مر الأيام ، راسخة على تقلب الحوادث : الدين ، واللغة ، والدم ، والنيل ؛

إن السودانى الذى تربطه بمصر أواصر المودة والإخاء ، لتأخذه نشوة الفرح إذ يرى مصر الشقيقة ماثلة فى أشخاصكم بأروع مظاهرها ، وأنبل مقاصدها ، وأكرم رسلها ؛ مصر التى نفخت فى الشرق من روح نهضتها الفتية ، فأضحى يترسم خطاها ويهتدى بنورها ؛ مصر التى تعمل لاستعادة مجدها ، فتضرب بذلك أحسن الأمثال للشعوب الفتية فى متابعة الجهاد ، لتنمية العزة القومية ، ومسايرة الحضارة والمدنية ـ مصر التى قامت، ولا تزال تقوم بكل هذه النهضات ، إنما كنتم أنتم وإخوانكم بمصر من قادة الرأى وزعماء النهضة أبر أبنائها ، وأقوى سواعدها ؛

فباسم السودانيين عموماً نرحب بمقدمكم الميمون ، ترحيباً صادراً من أعماق القلوب ، لاتشوبه شائبة ، ولا يمازجه رياء . ونكرم فى أشخاصكم العظيمة الأمة المصرية الشقيقة ، والحكومة المصرية الرشيدة .

يا صاحب المقام الرفيع

لا ريب أنكم ترغبون الوقوف على حالة السودان ، وتعرّف أحوال أهاليه ، فمن الخير المشترك أن تعلم شيئاً إجمالياً عن هذا المؤتمر الناشىء ، والأغراض التى يرمى إليها ، والأسباب التى أوحت بفكرته ، والمناسبات التى أبرزته إلى عالم الظهور ؛

كان السودانى قبل ربع قرن تقريباً يعيش عيش القانع بما يكتنفه من أسباب الحياة ، ثم أخذت الفئة المستنيرة من أبناء البلاد ، تشعر بما حولها من نقص فى نواحى الحياة المختلفة ، مما لا يتمشى مع تطور الأفكار ، وطموح السودانى ورغبته فى رفعة بلاده وأمته ، فأخذ الكثيرون يشعرون بأن أداء هذه الواجبات الوطنية ، يتوقف على توحيد الكلمة ، واتحاد الآراء ، واتجاه الجميع نحو أهداف معينة ؛ واتفق فى هذا الأثناء أن أبرمت معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا ، وتضمنت تلك المعاهدة اتفاق الحكومتين على العمل لرفاهية السودانيين ، فكان فى النص على هذه الرفاهية ، حافز قوى ذفع بتلك الآراء المختمرة فى الأذهان إلى الخارج ، وإذا بالفئة المثقفة تنفخ فى ـق الوطنية ، داعية أفرادها إلى التكاتف والتضامن والعمل لمصلحة السودان ، فتكوّن هذا المؤتمر الذى مضى على عمره عامان فقط ، استطاع فيهما أن يكوّن نفسه ، وأن يكسب تأييد الشعب ، وأن يثير اهتمام الحكومة ؛

إن هذا المؤتمر يعمل لمصلحة السودان عامة ، مستلهماً وحى ضميره من رغبات بلاده ، غير متأثر بأى مؤثر خارجى ، فهو يدرس كل ماله علاقة بوطنه ، فيعالج مايستطيع علاجه بنفسه ، ويضع إصبع الجهات المسئولة على مواطن الداء فيما لايستطيع القيام به ؛

إن هذا المؤتمر يسعى لإكمال الناقص ، وإصلاح الفاسد ، وتقويم المعوج ، فهو يحاول القضاء على هذه النعرة القبلية ، وتمسك كل قبيلة بوحدتها منفصلة عن باقى القبائل ، مما سيؤدى إلى تمزيق جسم الأمة ، وهدم كيانها ؛ فالمؤتمر يعمل جاهداً لجعل لفظة سودانى سلاحا للقضاء على هذه الفرقة القبلية ، وأداة لرفع الحواجز بين أجزاء القطر الواحد ؛

إن هذا المؤتمر يحاول أن يقضى على إدلاء الأفراد بآراء خاصة ، قد يؤدى العمل بمقتضاها إلى الإضرار بمصالح البلاد . فهو يعمل جاهداً لتكوين رأى عام ، يعبر عن مطالب الأمة ، ورغبات البلاد ؛

إن هذا المؤتمر يرى الجهل متفشياً فى الحواضر والبوادى ، فهو يعمل جاهداً لأن ينتشر التعليم ، ويظل رواقه أكبر عدد ممكن من الشبان المتعطشين للمعارف ، علماً منه أن لاوسيلة للحياة الصحيحة لأمة تتخبط فى الجهالة تخبط العشواء فى الليل البهيم ؛

إن هذا المؤتمر يعلم أن هذه الوديان الخصيبة ، وهذه السهول الممرعة ، وهذه الأمطار الغزيرة ، وهذا النيل الذى نباهى به العالم ، ونتيه به على الخافقين ، كل ذلك كاف لجعل هذا السودان قطراً زراعياً عظيما ، لولا فقر باسط ذراعيه ، وجهل منيخ بكلكله ، فالمؤتمر يعمل جاهداً لإيجاد علاج لهذا الأمر ، ولتوجيه العلاج توجيهاً يتناسب مع ظروفه وأحواله ؛

إن هذا المؤتمر يرى الأجنبي من تاجر وصانع ، قابضاً على موارد الثروة وأسباب الرزق ، ولا يستطيع الوطني منافسته أو العمل إلى جنبه لأسباب عديدة ، فهو يعمل جاهداً لتخفيف هذه الوطأة ، وإفساح ذلك المجال . تلك ياصاحب الرفعة بعض الأغراض التي يعمل المؤتمر على تحقيقها ـ ونحن لاندعي أننا نحاول تحقيق المثل العليا ، ولكننا نؤكد أننا سائرون إلى الأمام بخطى ثابتة ، وإن كانت في الوقت الحاضر قصيرة ؛ متعاونين في ذلك مع الحكومة القائمة ، وعلى رأسها صاحب المعالي السير جورج استيوارت سايمز ، الذي عرفنا في عهده معنى الحرية ، وتمتعنا في أيام حكمه بكثير من العدالة والأمن والطمأنينة .

ياصاحب المقام الرفيع

لانظن أن هناك من يعرف السودان حق المعرفة مثل أبنائه المتعلمين ، فهم يحسون بأحاسيس أهاليه ، ويشعرون بآلامهم وأفراحهم ، وهم يعرفون اتجاهات أفكارهم ، ونزعات نفوسهم ، فالمؤتمر يأمل من الحكومة المشتركة أن تفسح له المجال ، وأن تساعده في تحقيق أغراضه ، ليسود حسن التفاهم بين الحاكم والمحكوم ، وليساهم الخريجون مساهمة فعالة في نهضة بلادهم حتى يكون هناك تناسب في الحياة بين شطري هذا الوادي الخصيب .

ياصاحب المقام الرفيع

إننا نعلم أن رفعتكم قد عُرفتم في حياتكم السياسية بالحزم ومضاء العزيمة وبعد النظر وسرعة الخاطر وصفاء التفكير وحسن التقدير ، ونعلم أن تاريخكم الحافل بجلائل الأعمال ، وشخصيتكم الممتازة لم تكن موضع

إعجاب فحسب ، بل كانت فخراً لجميع الشرق ؛ ونحن نرجو أن نجنى ثمار هذه الصفات العالية فى هذه الزيارة الميمونة ، وأن نجعل منها أنموذجا ننسج على منواله ، ومثلا عالياً نحتذيه ؛

ياصاحب المقام الرفيع

أرجو أن تسمحو لنا بالتعبير عن شكر جميع السودانيين ، شكراً مقروناً بالإعجاب والإكبار للحكومة المصرية فى شخصكم العظيم ، لهذه المبرات الكريمة بالأموال التى تفضلتم فتبرعتم بها لمعاهد العلم ، ودوائر الفقراء ، فقد ترك هذا الصنيع فى نفوس الجميع أثراً حميداً . وتقديراً عظيما .

يا صاحب المقام الرفيع

إن إخلاصنا لمصر وحبنا لها وثقتنا بها أمر مفروغ منه ، وعروة لاانفصام لها ، وسوف تقوى هذه العواطف على مر الأيام ، وتوالى الدهور . فاذا عدتم إلى أسفل الوادى فاحملوا عنا أطيب الأمانى ، وأقوى الآمال إلى مصر وساكنيها ، وعلى رأس الجميع جلالة المليك المحبوب " فاروق الأول " رعاه الله .

◎◎◎

ثم أعقبه بعض الفضلاء أعضاء المؤتمر . فألقوا خطباً ، وقصائد ، تضمنت المعنى الذى يقول به المؤتمر فى علاقاته بمصر ، وفى علاقات مصر بالسودان .

وكان أبلغ من هذه الخطب والقصائد ماصنعه المؤتمر بعرضه العضوية الفخرية للنادى على حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" وصاحبى المعالى " محمد صالح حرب باشا ـ وعبد القوى أحمد بك " .

ومبادرة رفعة الرئيس وزميليه إلى قبولها مع الامتنان والشكر ، وسط عاصفة من الحماسة الطاغية ، وهتافات مدوية تشق عنان السماء بحياة جلالة الملك . وختمت الحفلة بالسلام الملكى المصرى فسمعه الحاضرون وقوفا ، ثم انصرفوا منتشين حماسة وحبوراً .

◎◎◎

من هذا يدرك القارىء والباحث صورة الشعور المتبادل ، والإحساس المتصل بين المصريين والسودانيين ؛ ومن هذا يقوم البرهان على أن العلاقات بيننا إنما هى علاقات دعامتها الأخوة والتراحم والوحدة والمشاركة . وينتفى الوهم القائم فى بعض الأذهان ، والتشكيك الظالم فى حقيقة الشعور المصرى نحو السودان ، وإذا كان شباب المؤتمر يتعجبون لريبة المرتابين وشكوك الظانين فى غاياته ومراميه نحو مصر ؛ ويدعون إلى ثقة بعضنا بالبعض ، فلنا أن نستعير عباراتهم كلها عند توضيح شعور المصريين وأغراضهم نحو السودان ، وتبقى بعد ذلك ، وقبلة صلتنا الروحية والمادية والسياسية ، لا يداخلها فتور ، ولا يعتورها وهن ولا انحلال .

من هذا تأخذ حفلة الخريجين طابعاً مميزاً ، وأهمية خاصة جعلت فى كل حركة فيها معنى دقيقاً ، يرمز إلى الحماس الذى استقبلت به زيارة حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" والولاء الصادق للعرش المصرى المفدى ، الذى أبرزته هذه المناسبة السعيدة .

كلمة الى . . . شباب النيل

ومن كل هذا ، ومما هو واقع فعلا ، يتبين أن براهين الوحدة بين مصر والسودان على قوتها وتنوعها ، تتقرر بصور أقوى ، عند مانرى

أغراض مؤتمر الخريجين فى الخرطوم وأهداف سياسة مصر العليا ، وإحساس الرأى العام فى القاهرة نحو الشطرين واحدةً ، لا بتدبير سابق ، بل بمحض المصادفة السعيدة .

وهنا يجب أن نقول كلمة إنصاف لهؤلاء الأشبال العاملين ، كلمة أرجو أن يتدبرها شباب النيل ، وأن تكون نبراساً لنا نهتدى به فى حياتنا اليومية ، وفراغنا الطويل الممل ؛

فهذه النوادى العديدة التى تنتشر فى مدائن السودان ، تضم الأعضاء من الشبان الذين تبدو عليهم جدية التصرف ، وعزة الشمم ، وكرامة الرجولة . فهم يأخذون فى مجتمعاتهم مظاهر الرصانة والاتزان ، ويطبعون حركاتهم وأحاديثهم بميسم الاعتداد بالنفس والثقة بها ، فى أدب مترفع عن مذلة الخنوع .

إن كثرة هؤلاء الأشبال منصرفة إلى المسائل العامة التى تشغل أذهانهم ، وتستغرق تفكيرهم ، وتضفى عليهم رزانة المسئولين ، وفى هذا يتنافسون بعنف ، هو مقياس إيمانهم بما يعتقدونه ، ولقد يكون الإسراف فى هذا التنافس مضيعة لوقت هم فى حاجة إلى كسبه ، وخير لهم أن يقصِدوا فيه .

فالسودان فى حاجة إلى العمل السريع المنتج ، والجهد الإجماعى الصالح ؛ ولئن شابَ تصرف الخريجين بعض هذا ، فأملنا كبير فى عدولهم عنه ، وانصرافهم متحابين متضامنين إلى الخير العام ، تاركين ظهرياً كل مايعوق ، وما لا نفع فيه ، ولا كسب منه للوطن العزيز .

ومع هذا ، فلا ريب فى أن مظهر حياتهم الاجتماعية أسمى بكثير من مظاهر غيرهم من بعض الشبان فى بلاد أخرى .

كل فرد منهم تراه كأنما يحمل على كتفيه أعباء المسئولية عن وطنه ومستقبله . لذلك تسمعه يحدثك ، وهو يستشعر فى نفسه كرامة المجموع ، فان أحسنت معه ، فكأنما تصنع ذلك للسودان . وإن أسأت ، فكأنما هذه الإساءة إلى السودان .

ومصر بعد ذلك مسئولة عن الحسنة والسيئة ، تصدر عنك قصداً أو عفواً . ولهذا لا يغفرون جهل كاتب أو مصور ، يخطىء ، فيجرى قلمه بوصف السودانى على صورة الزنجى : أفطس الأنف ، غليظ الشفتين ... أو يرسلها دعابة سمجة ، فيقول عن السودانى "بربريا" .

أمثال هذه الأمور قد تحدث ، فلا نلقى إليها بالنا ، لأننا لا نرمى من ورائها إلى إساءة متعمدة ، أو تحقير مقصود .

ومع ذلك تراها فى قرارة نفوس إخواننا السودانيين كامنة دفينة ، يكلفك القضاء عليها جهداً كبيراً .

ولقد يرجع هذا إلى الإحساس الدقيق ، والعاطفة المرهفة التى يتميز بها السودانى ، كما يرجع إلى تقصيرنا فى تعرف أمر السودان على صورته الحقيقية .

وعلاج أمرنا سهل المنال ، ميسور بما دعوت إليه أول الأمر ، من وجوب عنايتنا بشأن الشطر الثانى على النحو الذى يتفق مع منطق الوطنية الصحيح .

وعند ذلك ينتفى كثير من موجبات العتب ، ويسقط أقوى دعامات اللوم ، وما أيسر أن نفعل ذلك وأن نحققه .

نظام المؤتمر

يقضى النظام المتبع فى المؤتمر أن تدعى أعضاءه جميعاً ، وهم ألوف

كثيرة فى اليوم الثانى من عيد الأضحى المبارك ، بمدينة أم درمان ، لتكون منهم جمعية عمومية . تتولى انتخاب الهيئة الرئيسية للمؤتمر ، وهى تتألف من ٦٠ عضواً ، وتقوم هذه الهيئة بدورها بانتخاب هيئة تنفيذية تقوم على شئون المؤتمر ، طوال العام ، وعددها ١٥ عضواً . وقد كانوا فى وقت زيارتنا للسودان هم حضرات المحترمين (مع حفظ الألقاب) :

نصر الحاج على ، إسماعيل الأزهرى ، حماد توفيق . على البربر ، على الأمين ، عبد الماجد أحمد ، أحمد السيد الفيل ، خضر أحمد ، ميرغنى حمزة ، إبراهيم أحمد ، إبراهيم يوسف ، محمد صالح شنقيطى ، عوض ساتى ، معنى محمد حسن ، عبد الله ميرغنى .

ويجمع من كل عضو مبلغ ٣٠ قرشاً سنوياً قيمة اشتراكه فى المؤتمر ومن مجموع المبالغ تتألف ميزانية المؤتمر التى ينفق منها على المشروعات الاجتماعية التى يقوم عليها المؤتمر ، كنشر التعليم الأولى ، والتعليم الليلى ؛ ويتطوع أعضاء المؤتمر للتدريس الليلى فى كل قرية وبلدة ، ويدعون لنشر الثقافة فى البلاد ، ويطمعون فى اتساع نطاق نشاطهم ، وشموله لكثير من النواحى الاجتماعية والصحية ، وهم جادون فى هذا . والله يوفقهم ويسدد خطاهم .

همسة

وهنا يجب أن نقول ـ ليتقرر فى الأذهان ما نقوله ـ أن مصر حكومة وشعباً لا ترى فى علاقتها بالسودان أكثر مما تراه الطبيعة نفسها ، ولا أكثر مما هو قائم فعلا ؛ وهو أن المصرى والسودانى إخوان شقيقان ،

لاسيد ولا مسود ، ولا حاكم ولا محكوم ؛ فالوطن واحد ، والنشأة واحدة ، والأمل واحد ، والألم واحد ، يظلنا جميعاً وصف مشترك ، هو أننا أبناء النيل .

فاذا شاء الوهم الخاطىء أن يدخل بين الشقيقين، بدعوى السيادة والحكم والرغبة فى الاستئثار ، فانما يرد هذه الدعاوى ويسقطها الواقعُ الملموس ، من تصرف رفعة الزعيم ووزارته فى الرحلة ، وقبل الرحلة ، وبعدها .

فليس فينا من لايحب أن يرى فى السودان أمة جديرة بالرفاهية والتقدم ، وشعباً قوياً ناهضاً ، ينشد الكمال والمجد ، وتشمله الثقافة والنضوج . فعند ذلك ، وفى سبيل الوصول إليه لن تكون بيننا غير صلات الأخوة ، وروابط الوحدة والمشاركة الدائمة المستمرة .

وليس فينا من يأبى على السودانى مشاركة أخيه المصرى فى الإنتاج ، وفى العمل ، وهذه مصالح التجار والأعيان من كبار السودانيين ، ورؤوس أموالهم فى مصر قائمة نامية ، تطرد زيادتها فى ظلال العطف والإعجاب من كل مصرى ؛

وهؤلاء شباب السودان من ضباط الجيش المصرى يلاقون من مصر ، عرشاً وشعباً ، التكريم والعناية ، فيمنحون أوسمة المجد ، ونياشين التقدير بين مظاهر الحب والإعزاز من الجميع ؛

وأولئك إخوتنا الأعزاء فى الجامعتين : الأزهرية ، والمصرية ، ومعاهد التعليم المصرية يحسون الترحيب الصادق ، والعناية الأخوية الشاملة ، وينهلون من موارد العلم ، ومن الثقافة المصرية مايعاونهم على

تأدية رسالة الوحدة والإخاء بين أبناء النيل .

فهذه الأهداف التي يرمى إليها المؤتمر لاتتعارض جملة ولا تفصيلا مع الهدف الذى ترمى إليه الوطنية المصرية عامة ، والسياسة المصرية خاصة ، من اجتماع الكلمة المصرية السودانية ، وقيام الوحدة بينهما ، واستمرارها ونمائها .

العتب الجميل

لقد أسمعنا السودانيون ، إخواننا الأشقاء ، عتباً رقيقاً على هذه القطيعة الطويلة ، أو هذا الإهمال ، كما يسمونه ، فقال لى أديب منهم : " لسنا ندرى كيف يصبر إخواننا المصريون على هذه الجفوة .! فلا نراهم هنا فى بلادنا التى هى وطنهم ، حتى نؤدى واجبنا القلبي نحو مصر ، الشقيقة الكبرى ، إن وجود الزائرين المصريين بالسودان ، يعتبر عيداً تحتفل به القلوب هنا على اختلاف الطبقات ، ويسرى حديثه فى كل ناد وبيت ، يسعد به الأطفال والشبان والرجال ، بله النساء اللواتى لايفارقن دورهن ، ولكنهن يعرفن أن بالسودان زائراً مصرياً فيفرحن كما تفرح الأخوات الشقيقات "

أجل ، تتوق المرأة السودانية إلى زيارات من المرأة المصرية ، حتى ترى أختها السودانية ، ويتبادلن أحاديث المودة ، ويوثقن روابط الوحدة ، وإذا كان للرجل فضل العمل ، فللمرأة نصيبها الأوفر ، فى الاستمرار والدوام والنماء .

أسمعونا عتبهم ففرحنا به ، لأن العتاب هو صورة لحرص فى المودة ، وظاهرة الرغبة الأكيدة فى الوفاء الأكيد .

الروابط القائمة بين مصر والسودان

يخطىء الذين يفهمون الصلات القائمة بيننا على أساس العاطفة وحدها؟! لأن الذى لاشك فيه أنها صلات تكاتفت عليها الحقائق الجليلة، فى صورها المتعددة وألوانها المتباينة ....

فالطبيعة "أولا": ربطت مصر بالسودان، بشريان الحياة لهما، ومصدر الوجود والبقاء فيهما، وهو "النيل".

ثانياً: لم تقم بينهما فواصل محددة، تجعل من السهل الوقوف عند نقطة معينة لتقول، هنا تنتهى مصر، وهنا يبدأ السودان.

ثالثاً: جعلت من الشطرين إقليما زراعياً، ذا تربة خصبة، فأصبح السودان كمصر، بلداً فيه الزراعة - إلى اليوم - عماد الثروة الأول.

رابعاً: مزجت بين أهالى البلدين بدم مشترك، ولغة واحدة، وتقليد متحد، ولون متقارب أيضاً، فالسودانى بمعناه الدقيق، لايفترق لوناً عن الصعيدى، فى جرجا وقنا وأسوان، بل انه يشبهه حتى بعمامته الكبيرة وثيابه الفضفاضة البيضاء.

خامساً: شاكلت بين أجوائه فى أغلب مناطقهما، فشمال السودان لايفترق كثيراً عن جنوب مصر، وشرقيه وغربيه لاخلاف بينه وبين الشرق والغرب على جانبي النيل فى مصر.

هذه بعض آيات الطبيعة، التى لاحيلة لأحد فى خلقها أو فى دفعها.

والتاريخ

أولاً : وقف المؤرخون بين رأيين فى أصل سكان البلدين ، بعضهم يرى المصريين سودانيين نزحوا إلى الشمال . وآخرون يقولون عن السودانيين مصريين هاجروا للجنوب ، ويذهب كل فريق يدعم رأيه بأسانيده وأدلته ، لكن أحدث الأبحاث العلمية دلت على أن منبت سكان وادى النيل هو هضبة العوينات ، وإذن فالأصل فى الشعبين واحد .

ثانياً : يتحدث التاريخ عن غزوات وحروب متبادلة بين أبناء النيل : مرة غزا المصريون السودان ، وأخرى دخل السودانيون مصر محاربين ، وفى كلا الحالين أيضاً ترتبت نفس النتيجة التى نقول بها ، وقالت بها الطبيعة قبلنا .

ثالثاً : يذكر التاريخ أن آلهة متعددة عبدت فى عهد الفراعنة بمصر نفسها ، فكان للوجه القبلى آلهة ، وللبحرى آلهة ، فكان طبيعياً للسودان آلهة أيضاً ، وطالما تنازعت الآلهة السلطة والغلبة فى تلك العصور الفرعونية . ولكن الذى يجب أن نثبته هو مانقرأه فى ثنايا التاريخ عند ماكان هذا الغزو يتم . . . فقد ذكر المؤرخون عن الحروب التى تمت فى عهد سنوسرت الثالث أنه على الرغم من اختلاف آلهة المصريين والسودانيين ، فإن الاحترام كان متبادلا بين العبادات ، وثبت من الآثار التى وجدت فى كبوشية بقرب الخرطوم أن السودانيين عبدوا آمون ورع مما يؤكد هذه المشاركة الكامنة فى الدم والموروثة فى النفوس .

ونطوى صفحات التاريخ سراعا ، مجتازين عهوده المتوالية ، من

الفراعنة ، إلى الهكسوس ، إلى البطالسة ، إلى الإغريق ، فالرومان ، فالفرس ، فالعرب ، والترك ممن توالوا على مصر والسودان معاً ، فليس مكان التاريخ للسودان هذا الكتاب الخاص عن الرحلة الموفقة التى قام بها رفعة الرئيس فى هذا العصر الميمون ؛ وأدع هذا كله محيلا القارىء المستزيد على المصادر العديدة التى تروى الغلة ، وتشبع النفس .

السودان فى تاريخنا السياسى

أطوى كل هذه الصحائف الطويلة ، التى تحوى تاريخ ٧٥ قرناً ماضية ، لأقف عند اتفاقيتى ١٨٩٩ التى انتهت إليها رابطة مصر بالسودان سياسياً ، على أثر أحداث معروفة ، ومشاركة حربية بين مصر وإنكلترا ، فى قمع الثورة المهدية بالسودان .

فعند هذه المرحلة من التاريخ ، يبدأ عهد جديد فى صلة الشطرين المتلازمين ، أقامته السياسة ، وأملته طبيعة التفاوت بين قوتين .

وبصرف النظر عن شرعية هذه الاتفاقية يوم عقدها ، أو عدم شرعيتها ، أسرد على القارىء الصورة التى قررت بها علاقة مصر بالسودان :

تمت هذه الاتفاقية فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بين اللورد كرومر المعتمد البريطانى بمصر ، وبين بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية فى ذلك الحين ، وقد اشتملت على ما يأتى :

١ — بيان الأراضى التى يطلق عليها لفظ « السودان » .

٢ — استخدام العلمين البريطانى والمصرى معاً فى جميع أنحاء السودان ، مع استثناء مدينة سواكن ، حيث لا يرفع فيها غير العلم المصرى (ثم عدل عن هذا الاستثناء باتفاق جديد فى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩) .

٣ — عهد بالرئاسة العليا العسكرية والمدنية لموظف يطلق عليه « حاكم السودان العام » يعين ويعزل بمقتضى (أمر عال) بناء على طلب الحكومة البريطانية أو موافقتها .

٤ — منح هذا الحاكم العام حق سن القوانين واللوائح ونسخهما بمنشور ، يبلغه إلى وكيل قنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة ، وإلى رئيس مجلس الوزراء المصرى .

٥ — إبعاد السودان عن سريان القوانين والقرارات المصرية عليه ، إلا مايصدر منها بمنشور من الحاكم العام .

٦ — عدم قيام امتيازات خاصة لرعايا أية دولة أو دول بالسودان فيما يعطيه الحاكم للأجانب من حرية المتاجرة أو السكنى أو تملك العقارات فى السودان .

٧ — نظمت المادة السادسة الأحوال التى يعفى فيها السودان من الرسوم الجمركية أو التى يجب عليه دفعها .

٨ — نصت المادة العاشرة من هذه الاتفاقية على اعتبار السودان بأجمعه ـ ماعدا مدينة سواكن ـ تحت الأحكام العرفية إلى أن تلغى بمنشور من الحاكم العام ؛

كما قصرت هذه المادة حق تعيين القناصل ووكلائهم ، أو الإذن بالإقامة على الحكومة البريطانية وحدها .

وفيما يتعلق بمدينة سواكن أيضاً ألغى هذا الاستثناء بمقتضى الاتفاق سالف الذكر .

◎◎◎

تقررت صورة العلاقات السياسية بين مصر والسودان بهذه الاتفاقية على رغم المعارضة العنيفة التى قامت بها مصر فى شأنها ، وظلت هذه الاتفاقية موضع السخط والاستياء من المصريين جميعاً ، ولم تعترف السياسة المصرية فى أدوارها المختلفة بشرعيتها ، لأسباب عديدة : أهمها ماقيل فيها من وجه البطلان القانونى عند عقدها [1] (إذ كانت مصر وقتئذ تحت سيادة العلم التركى ، بمقتضى فرمان الباب العالى الذى ولى بمقتضاه " محمد على باشا الكبير " حاكما على مصر ، ثم عدل فى عهد المغفور له ساكن الجنان " إسماعيل باشا " ومع ذلك بقى فيه النص على أن مصر " لا يمكن أن تعقد معاهدات دولية " وقد أقرت الأوضاع السياسية هذا النص ، ومع ذلك فقد نسيت إنكلترا هذا البند من نصوص الفرمان ، وعقدت اتفاقها مع مصر بشأن السودان) .

ظلت هذه الاتفاقية غير شرعية فى نظر الوطنية المصرية حتى جاءت المعاهدة المصرية الإنكليزية فى سنة ١٩٣٦ ، فنصت المادة الحادية عشرة منها على ما يأتى:

١ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين .

ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين .

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لإرادتهما فى السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين .

---

(١) كتاب المعاهدة للاستاذ غنام

وبذلك أصبح لهذه الاتفاقية ولملحقها فى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ وجود شرعى ، بعد أن ظلت طوال ٤٧ سنة ماضية باطلة من وجهة النظر الوطنية المصرية .

ومهما التمس من أعذار أو انتحل من مبررات لهذا الموقف ، فإن الذى يبقى هو أنها أصبحت آخر الأمر شرعية صحيحة .

ولست القائل بهذا الرأى وحدى ، فقد أدلى به قبلى الوطنى المنصف الأستاذ محمود سليمان غنام المحامى والنائب الوفدى ، الذى لم يمنعه أى اعتبار عن الجهر بقوله هذا فى كتابه النفيس عن المعاهدة المصرية الإنكليزية فى سنة ١٩٣٦ ، وهو المرجع الذى استندت إليه فى تحرير هذا الفصل عن السودان فى تاريخنا السياسى .

هكذا انتهت المعاهدة بين مصر وإنكلترا فى سنة ١٩٣٦ بشأن السودان ، وهكذا تقررت صورة العلاقات بيننا ؛ ولست بصدد البحث فى هذا ، فمكانه بحث آخر ومناسبة أخرى ، ولكنى لم أجد بدا من إثبات جوهر اتفاقيتى سنة ١٨٩٩ ، لأن كل حديث فى شأن السودان ومصر إنما يرجع إليهما ، ويقف عندهما ، إلى أن تحين فرصة للتعديل وللإنصاف .

السودان .. فى نظر الوطنية المصرية

لقد وقفت مسألة السودان فى تاريخنا السياسى ، عقبة كأداء أمام المفوضين المصريين والإنجليز ، كلما أتيحت فرصة لبحث المشكلة المصرية كلها . وقد انتهى الأمر أخيراً إلى الوضع الذى جاءت به المعاهدة فى سنة ١٩٣٦ ، والذى لم يقطع بحل نهائى للموقف ، بل تركه معلقاً « مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات خاصة بشأنه فى المستقبل » .

والأمر كما تراه السياسة ، وكما تراه لغة المعاهدات . . منفصل عما تراه الوطنية فى مصر وفى السودان ، بل عما قررته الطبيعة التاريخية ، والملابسات الجنسية واللغوية ، والدينية . بين هذين الشطرين المتلازمين جواراً ومصلحة وروحاً وحضارة .

فالوطنية المصرية ، كما هى خالصة للعقيدة والإيمان ، منتزعة من صميم الشعور القلبى ، والإحساس الشعبى ، فى بلاد النيل ، هذه الوطنية ترى النيل وحدة لاتنفصم . وكلاً لايتجزأ ، ووجوداً قائماً على أساس ثابت من مصلحة وحياة للشطرين ، كليهما على السواء .

لهذا تكون العناية بشأن السودان من مصر ، إنما هى استجابة للنداء الوجدانى ، المنبعث من ضمائر المصريين والسودانيين جميعاً ؛ وتكون اتباعاً لوحى الشعور القومى الصادق ، بل تكون فوق ذلك ضرورة لاسبيل إلى تجاهلها فى صدد العلاقة بين شعب واحد ، تؤلف بينه روابط قوية ، بعضها يرتد إلى ألوف السنين ، وبعضها يعود إلى عصور غير بعيدة ، وبعضها تقيمه الطبيعة نفسها من غير حيلة للإنسان فى خلقها أو فى دفعها .

هذه العناية بشأن السودان ، قد اتخذت صوراً متعددة فى تاريخنا القريب . وظلت تتفاوت شدة ووهناً ، تبعاً لظروف السياسة ، وعواملها المختلفة .

أما مصر . فى مجموعها السليم . وفى ضميرها اليقظ ، فهى هى بعينها لاتتبدل ولاتتغير ، الشقيقة الكبرى للأخ العزيز ، والراعية المسئولة عن الأخوة الأشقاء ، فلا السياسة ولا لغة المعاهدات ، ولا أحداث الزمان ، مجتمعة أو متفرقة ، تستطيع العبث بهذا الشعور القوى .

الرابطة الاجتماعية

إلى جوار هذه الحقائق الجليلة القوية ، يقوم معنى آخر ، هو ما أحسسناه فى أحاديث إخواننا السودانيين ، وعواطفهم ، هذا المعنى هو إدراكهم أهمية الوحدة الاجتماعية ، بين البلدين ، فتقاليدنا ، وعاداتنا ، ولغتنا ودينا ، كل أولئك ينتج أول الأمر وآخره صلة روحية ، لاسبيل إلى تجاهلها أو تجاهل آثارها .

قال لى كبير من أفاضل العظماء فى السودان : "إننى سافرت إلى مصر كثيراً . وتنقلت فى مختلف المدائن والقرى ، فكان إحساسى الغربة منعدما .. لم أشعر أنى فارقت السودان ، ولم يداخلنى من الشعور ، مايداخل الغريب النازح .

فالريف المصرى بتقاليده ونظامه ، هو بعينه ريفنا السودانى ... وجدت فى البلدة التى كنت بها بمصر ، جمعاً كبيراً فى ساحة « دوار » عظيم ، وسألت فعلمت أنه اجتماع لأرباب طريق صوفى ، فدخلت « الدوار » وقضيت السهرة معهم ، فكان أول مالمسته هذا التشابه بين الحالين ، فى مصر وفى السودان !"

ومن هذه الصورة ومن صور أخرى عديدة ، ازداد يقينى بأن أبناء النيل لا تنفصم عرى الوحدة بينهم ، مالم يعصف بتقاليدهم المشتركة عاصف الفناء .. وهو ما أعجز الحوادث وأعيا الزمان !..

الولاء للمليك المحبوب

هو الرابطة الكبرى

على أن هناك رابطة قوية لها الصدارة اليوم هي التي بين العرش المصرى المفدى ، و بين أبناء النيل جميعاً . هذه الرابطة الخالدة التي تتمثل حباً ورعاية ، تفيض دلائلهما من القلب الملكى العظيم ، كما تتمثل ولاء وفداء ، يقيم آيتهما شعب النيل الكريم ، فأينما كنت فى السودان ، وحيثما اتجهت فى ربوعه ، وممن سمعت من أهله ، تلمس حب مصر . والاعتزاز بعرش مصر .

فقد كان أروع ما لمسناه فى زيارتنا السودان ، هذا الولاء الصادق ، للتاج المصرى ، وللعرش المصرى ، وللمليك المحبوب ، "فاروق الأول" أعز الله سلطانه ، وأيد صولجانه ، ورعاه بعين العناية ، وحباه بالعمر المديد ، والعيش الرغيد .

والفاروق ميمون الطالع على مصر ، فهو وليد النهضة المباركة ، فى فجرها المنير ، وهو ربيب العزة القومية ، فى جهادها المتصل ، فى كنف المليك خالد الذكر فؤاد الأول طيب الله ثراه ، وهو صاحب العرش فى ظل الاستقلال والحرية . فمولده ، وشبابه ، ومستقبله ، كل أولئك ، قرين مجد مصر وعزها فى الخالدين .

مصر تفدى فاروقها ، بالعين والمهجة والمال والبنين ، ولكن السودان يزيد فى هذه المعانى ، فيجعل من اسم الفاروق ، غذاءه اليومى ، يقتات معه المنى والآمل ؛

"فاروج" فى كل عين . وفى كل قلب ؛ وملء السمع والبصر ، تلقى الرجل ، الوقور ، المهذب ، فيحدثك عنه ، وعينه تلمع بالحب وبالوفاء ؛ وتلقى الشاب المثقف فيحدثك عنه ، حديث التقدير ، والتعظيم والولاء ؛ وتلقى رجل الشارع ، فى سذاجته الطاهرة فيهز يديك ، مرحباً ، ويسألك فى بساطة النفس الرضية ، أن تبلغ تحياته وسلامه « للفاروج!! » ويهز يديك ، مرة أخرى ، وهو يقول « بالله يامبروك . ! كيفنه فاروج . ؟ كيفنها فريال . . ؟ » ويطيب لك أن تتبسط فى إشباع نهمه ، وإرواء غلته ، ويستمع إلى إجابتك ، وهو ينتفض سروراً ، كلما طمأنته على صحة الفاروق الغالية ، وشبابه النضير .

والسودانى شديد الحساسية ، ملتهب الشعور ، لايعرف كيف يكتم العاطفة فى صدره ، إن عينيه مرآة نفسه ، فما فى أعماقه مبسوط على أساريره لايخفى ، وإن جهد فى الإخفاء ، ومثل هذا الشعور ، الذى يتكلم به رجل الشارع إنما هو عميق الدلالة ، على المعنى الجليل المؤثر ، الذى لمسناه فى السودان ، نحو المليك المحبوب وعرشه المفدى ، وتاجه المصون ...

◎◎◎

قلت : إنك تلقى الرجل ، والشاب ، ورجل الشارع ، فتلمس الفارق بين العقلية والتفكير ، ولكنك تلمس الاتحاد ، بين الشعور والإحساس ، عند مايكون المليك موضوع الحديث . . ونسيت أن أذكر لك ، الطفل . الطفل الذى تراه فى شوارع أم درمان ، أو الخرطوم ، أو العطبرة . . . أو ماذا أقول ؟ ! فى الملاكال .. ! هناك فى الجنوب الأقصى ، على مسيرة أيام طويلة من الخرطوم ... ؟ !

هذا الطفل أيضاً ، يلهب فى قلبك أروع العواطف ، حين تحدثه ، فتراه يحب الفاروق ، ويعتز بالفاروق . !

كان رفعة الرئيس وصاحباه ، يطوفون بصف من طلاب المدرسة الإسلامية بالملاكال ، وانتهزت الفرصة ، فاقتربت من طالب صغير ، لا يجاوز التاسعة من عمره قلت له : ما إسمك ياشاطر ؟

قال : حامد حسن . .

قلت : سودانى . . ؟

قال : نعم عربى .

قلت : مسلم . ؟

قال : الحمد لله . !

قلت : من مليكك . ؟

فانتفخت أوداجه ، وتطاول فى وقفته ، وأطلقها من قلبه لفظة واحدة ، تحمل حروفها ونبراتها ، أبلغ معانى الاعتزاز ، والفخر ؛ أجابنى وهو الطفل الصغير ، فى فتوة فيلق من جند ، قائلا : « فاروج »

وربتّ على كتفيه ، وتركته لإخوانه ، يدورون به ، معجبين لأنه أحسن التعبير عن شواعرهم جميعاً .

هذا الولاء العظيم ، الذى تلمسه فى السودان ، نحو التاج المصرى ، إنما هو مظهر الحب ، والاعتزاز بمصر كلها .

فمجد الفاروق ، وطيد الدعائم فى قلوب شعبه ، على ضفاف النيل كله وعزة العرش المفدى ، وارفة الظلال على مصر والسودان ، ينعم الناس فيهما بحبه ، وبالولاء له ، فيجزيهم ، صاحب التاج المصون ، بالرعاية السامية

وبالعطف الكريم ، وتشملهم عنايته الملكية فى شئونهم وأحوالهم ، ونهوضهم ورفاهيتهم ؛ ومن ثم كانت رحلة رفعة الرئيس . مظهراً لهذه العواطف القوية ، التى يجيش بها صدر المليك ، وتشرق من نور قلبه العطوف ، لقد لقى رجل العرش الأمين "على ماهر باشا" فى زيارته للسودان ، كل مظاهر الإجلال والتأييد ، تقترن ، واسم الفاروق العظيم . فكانت الرحلة فى جوهرها وفى مظهرها ، آية الإخلاص والوفاء وبرهان التعلق والفداء ، وكانت مبرات الرئيس ، التى غمرت معاهد التعليم ، ودور الرفق والعلاج ، تسرى فى الناس جميعاً ، تهز قلوبهم بصدق الولاء ، وتنطق ألسنتهم بخالص الدعاء ، ولاء ودعاء ، لمصر ، وللمليك .

وكما كانت آيات هذا كله ، تتجدد وتتوالى ، فى الغدو وفى الرواح كانت علائم التوفيق الإلـٰهى مشرقة فى تخصيص الجوائز الملكية ، للنابهين والنابهات من طلاب العلم فى معاهد السودان ، تحمل اسم الفاروق المعظم تشريفاً ، واسم الملكة المفداة تكريماً . تشريفاً وتكريماً يلقاهما العلم والدين فى ربوع القطر العزيز . فهنيئاً للنيل ، فاروقه المفدى وهنيئاً للفاروق ، شعبه العظيم ، فى وفائه الكريم وولائه المقيم .

هجرة الانتقال

بين الحق والواجب

مهما يكن من شأن المعاهدة المصرية وما ترتب عليها من نتائج ! فالذى يعنينى الآن أن أجلو ناحية من النواحى التى يمكن اعتبارها واجباً تؤديه مصر نحو السودان ، وحقاً للسودان على مصر ، هذه الناحية ، هى التعاون المحتوم على كل ذى قدرة وموهبة وكفاءة من المصريين . فالسودانى فى حاجة إلى أخيه المصرى ، حاجة شاملة لكل المرافق والشئون . وإذا شاء النص فى المعاهدة أن تكون تسميته « الهجرة » فالحق أنها تسمية غير دقيقة ولا مؤدية للغرض منها ، ذلك أن « الهجرة » بمعناها اللغوى ، الارتحال فى طلب الرزق ، أو الفرار من ظلم إلى أمن ، أو من جدب إلى خصب ، وهى كذلك بمعناها العرفى ، وفى كلا الحالين لا تتفق والمرمى الوطنى ، حين يعنى اتجاه المصريين إلى السودان ، واضطلاعهم بأعباء المسئولية فى معاونة إخوانهم السودانيين ، وفتح باب الاتصال بين أبناء النيل ، أو العودة إلى طبيعة الأشياء ، فاذا كان لابد من وصف مختصر لهذا المعنى ، فأولى أن يكون هو « السَّفر » أو « الانتقال » فان هذه الآفاق الفسيحة المترامية من أراضى الزراعة فى السودان تحتاج للعمارة ، والفلاح المصرى أجدر بأداء هذا الواجب ، وميادين التجارة فى السودان متعددة واسعة ، ورأس المال المصرى أولى أن يدعم الاقتصاد السودانى من هذه السبيل . ومدارج التعليم فى السودان ، وفى الجنوب ـ على الأخص ـ ناقصة بطيئة ، والثقافة المصرية أوفر قوة ، وأغزر نفعاً فى هذه الناحية .

والشئون الصحية فى السودان تستلزم السهر والعناية ، والطبيب المصرى أعرف بالنافع لإخوانه ، وأقدر على إبلاغ رسالة الطب إليه .

ودور القضاء حافلة بالقضايا من مختلف الأنواع ، والمحامى المصرى أقرب إلى عقلية المتقاضين ، وأولى بمباشرة شئونهم .

وإذن فمجموع هذه النواحى يندرج تحت هذا الوصف الذى أسموه « الهجرة » وأسميه الواجب الأول ، والحق الأول ، فى العلاقات بين مصر والسودان .

هذه الزيارات العارضة التي يقوم بها بعض شباب الجامعة أو التجار المصريون والتى توجتها زيارة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ذات أثر فعال فى إذكاء العواطف ، وتنمية الشعور ، وهى فرص ثمينة للإعراب عن عواطف الإخوة المتبادلة ، والمودة العميقة الراسخة فى النفوس ، ولكن الإقامة المستمرة ، والإنتاج المستمر ، والتقارب المستمر ، يصون هذه العواطف ويقويها ، ويزيد فيها نماء وحرارة .

لذلك يجب أن تتجه النفوس فى مصر إلى بحث وجوه النفع التى يمكن أن يقوم بها مصرى للسودان ، وصور الإنتاج التى يستطيع أن يضع كفاءته ومواهبه وعزمه فى سبيلها ، وعند ذلك تتسع آفاق العمل وتتفتح ميادين الخير ، ونتبادل ، وأشقاؤنا فى السودان ، المعاونة فى سبيل المجد المرموق ، والمستقبل السعيد المنشود ، لرفاهية القطرين ، وخيرهما على السواء .

هذا هو السبيل العملى ، لا يمكن لغيره أن يفصل فى المصير .

◎◎◎

السفر الى السودان

إذن فلا بد من البحث فى هذا الأمر كما تناولته المعاهدة ، وكما يراه المشاهد المنصف فى الحقيقة الواقعة .

" (١) لم يكن ميسوراً للمصرى بعد سنة ١٩٢٤ أن يسافر إلى السودان إلا بعد إجراءات دقيقة طويلة ، وضمانات متعددة ، وتحريات شاملة ، تنتهى آخر الأمر بالتعويق أو المنع ، ولكن الفقرة الرابعة من المادة الحادية عشر فى المعاهدة نصت « على أن الهجرة المصرية إلى السودان تكون خالية من كل قيد ، إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام " .

وقد أصبح الباب مفتوحا بهذا النص أمام المصريين ، ولكن بعض الباحثين يرى القيد الأخير فى حاجة إلى تحديد صريح ، يقصره على المعنى المفهوم منه بداهة ، وهو منع المبادىء البلشفية أو المخالفة لنظام الحكم المقرر فى مصر وإنجلترا ، خشية التوسع فى تطبيقه والتذرع به للمنع فى غير مبرر على أن هناك نظرة أخرى فى هذا القيد الذى لايفهم وجوده مع قصر النص على « الهجرة المصرية » أى مهاجرة المصريين . لأن المصرى إذا كان خطراً على الأمن العام فقد رسم القانون المصرى حدود هذا الخطر ومظاهره ، واستن له العقوبات والزواجر .

وما دام الرجل ممتعاً بأهليته القانونية للإقامة الحرة فى مصر ، فهو مستحق لهذا التمتع أيضاً فى السودان سفراً وإقامة . ولا محل لهذا القيد مع ماهو ثابت من أنه ليس بمصر دعاة للبلشفية أو غيرها من المبادىء المخالفة للنظام العام .

---

(١) كتاب المعاهدة للاستاذ غنام

وأولى أن يكون هذا القيد فى وجه دولة أخرى ورعايا آخرين ، ممن يباح فى بلادهم اعتناق المذاهب الشيوعية ، أو المخالفة للنظام العام . لهذا يجمل أن يلغى هذا القيد إلغاءً ، أو أن ينص فيه على مايزيل اللبس والغموض حتى يتحقق الغرض من النص المشار إليه ويصبح وجوده عملياً نافعاً .

ترتب على هذا أن عرض بعض الباحثين للكلام عن الفائدة المرجوة من وراء « الهجرة » فتناول بحثها حضرات رجال النقابة الزراعية التى زارت السودان فى سنة ١٩٣٤ ، ورفعت تقريرها إلى الجمعية الزراعية عن هذه الرحلة ضمنته رأيها فى الهجرة وما يعتريها من عقبات . فجاء فيه :

" إن الذى يسترعى الباحث الاقتصاذى هو مايقوم فى وجه التعمير من عقبات ، أخصها قلة اليد العاملة ، وضعف الإنتاج المادى والفكرى فى ستة أشهر من السنة ، يشل فيها القيظ المحرق والهبوب والسموم والتقلبات الجوية العنيفة كل حركة ؛ ومن تلك العقبات الحاجة إلى المال ، فهى بادية بشكل واضح ، وقد كان للأزمة العالمية تأثير كبير فى مرافق البلاد الاقتصادية ، وبالتالى فى موارد الحكومة التى لم تستطع موازنة دخلها مع خرجها إلا فى عام ١٩٣٣ وفى عام ١٩٣٤ ، وقد اضطرت إلى تقليل عدد الموظفين الإنكليز وغيرهم ، وتخفيض مرتبات الآخرين تخفيضاً ذا بال ، وكان من جراء ذلك طبعاً ومن جراء إمحال الحاصلات الزراعية ، وأخصها القطن فى معظم أعوام الأزمة ، أن ثبطت العزائم إلى حدما ، وتعطل المضي فى تنفيذ ماكان مرسوما من البرامج ، لإنهاض البلاد اقتصاديا وزراعياً . ولا بدع فيما نذكره ، فان الزارع الذى كد طول عامه فى تلك السنين العجاف ، لم يكد يحصل على نتيجة يسد بها رمقه ، عند بيع

حاصلاته ، فمما نجم عن هذه الحالة أنها منعت كثيرين من زرع أراضيهم ، وخصوصاً من زرع القطن فى جهات متعددة ، فاذا أضفنا إلى ماتقدم مامنيت به الحاصلات عامة فى أرجاء المعمور من انخفاض أسعارها ، ولحنا جسامة مصاريف النقل فى السودان ، خصوصاً بين الخرطوم وحلفا ، وجسامة تكاليف حلج القطن التى تبلغ أربعة أمثالها فى مصر عذرنا أولئك الذين فضلوا ترك معظم أراضيهم بائرة ، ولقد صارحنا بعض المسئولين بأن خطة الحذر هى التى يجب اتباعها ، لاسيما وأن الطبيعة نفسها تفاجىء البلاد بين وقت وآخر بنكبات زراعية ، متأتية من احتباس الأمطار أو فرط تدفقها ، ومن اشتداد الرياح ودرجة حرارتها ، وما ينتاب الحاصلات من الآفات الزراعية التى يشتد فتكها حين تكون الأحوال الجوية ملائمة لها ، وهم يرون من ثم ضرورة الاعتصام بتكوين احتياطى مالى لتلك الطوارىء المتكررة ، ويؤثرون عدم التوسع فى المشروعات إلا بمقدار ، فيستخلص مما بيّن آنفاً أن ظروف السودان الاقتصادية المالية لا إغراء فيها ، ولا مطمع لرأس الماليين ، إذ أنهم يجدون من المخاطر مالا يشجعهم على توظيف أموالهم في السودان . إلا إذا توقعوا ربحاً يزيد على مايكتفون به فى بلاد أخرى ذات استقرار اقتصادى يطمئنهم على غدهم . وعلة أخرى يجب الإيماء إليها هى مسألة الضرائب ، وأنها غير ثابتة ، بل تفرض السنة بعد السنة حسب حالة المحصول . والجارى الآن أن مايؤخذ من الفدان المنزرع هو عشرة قروش" .

هذا هو رأى حضرات رجال البعثة الاقتصادية المصرية فى تقريرهم المشار إليهم .

وقد أيد رأيهم حضرة الأستاذ عبدالله حسين المحامى والصحفى المعروف فى مؤلفه عن السودان الجزء الثانى ص ٥٥١ — ٥٥٨ ، فاعتبر الهجرة إلى السودان "أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة" . ووضح الأسباب العديدة التى يستند إليها فى ذلك . وهى لاتخرج فى مجموعها عما أشارت إليه بعثة النقابة الزراعية [1] .

نظرة فى هذا الرأى

تكلم التقرير السابق عن الهجرة بوجهة النظر الاقتصادية البحت ، فجعلوا علل المنع راجعة إلى أسباب عديدة تتلخص فيما يلى :

١ — قلة اليد العاملة .

٢ — ضعف الإنتاج فى ستة أشهر من السنة بسبب القيظ ومفاجآت الطبيعة .

٣ — الحاجة إلى المال . ٤ — عدم الاستقرار الاقتصادى .

٥ — ارتفاع أجور النقل والحلج . ٦ — عدم انتظام الضرائب .

ويرى القارىء فى هذه العلل أسباباً طبيعية وأخرى عارضة . والواجب يحتم البحث فى هذه الأمور من وجوهها المختلفة ، والدعوة لعلاج هذه العلل بالقدر الذى يدرأ خطرها ويخفف نتائجها .

فقلة اليد العاملة تعالج بالإكثار فيها ، وإرسال ألوف الأهلين إلى السودان ، وقد رأينا عند إنشاء خزان جبل الأولياء أن ألوفاً من العمال المصريين ساهموا فى هذا العمل الجليل ، فأقاموا بالسودان ، ولا يزال

---

(١) سافرت هذه البعثة المصرية إلى السودان فى سنة ١٩٣٥ برئاسة سعادة رشوان محفوظ باشا وعضوية عدد كبير من رجالات مصر الاقتصاديين والزراعيين ، وكانت موضع الحفاوة البالغة هناك ، وتركت أثراً عظيما فى نفوس السودانيين .

بعضهم هناك هانئاً سعيداً لا يعدل بإقامته فى السودان شيئاً آخر . فماذا لو كانت الاستعانة شاملة أيضاً للفلاحين . !!

وضعف الإنتاج بسبب مفاجآت الطبيعة يخرج هذا الأمر إلى دائرة البحث الجغرافى . لأن هذه العلة إذا انطبقت على إطلاقها فى السودان الجنوبى ، فهى ليست كذلك فى السودان الشمالى ... ومع ذلك فلست من أصحاب الرأى فى جعل هذه العقبة الطبيعية علة نقفل بسببها أبواب الهجرة ، بل يجب أن نرى مافى مصر نفسها من هذه العلة ، فمديرية أسوان وقنا تتعرض لمثل هذه المفاجآت، وواحات مصر أيضاً ، تنتابها هذه العوارض ، فهل يراد من أهالى هذه المناطق أن يهجروها إلى غيرها !! الحق انها مسألة تقديرية لا تعوق أمر الهجرة إلا فى ناحية الزراعة وحدها ، وهى ليست كل مانرمى إليه من الدعوة لحرية الانتقال والتبادل التعاونى !!

والحاجة إلى المال ... هنا يحار الباحث .. كيف تكون هذه علة للمنع ، بينما هى المقتضى للإباحة !!

هذه الألوف من الجنيهات المكدسة فى خزائن أغنيائنا بمصر لماذا لا تستثمر فى المشروعات الاقتصادية بالسودان ؟!. فتنتفى الحاجة إلى المال أولا ، وينشط الاقتصاد هناك على صورة تدر الخير على الطرفين .؟!

لقد قابلت فى سنار شابا فى الخامسة والثلاثين من عمره وأنا بجوار مكتب التلغراف عند زيارتنا لهذه المدينة ،كان هذا الشاب قد أرسل برقية إلى رفعة الرئيس بالخرطوم ضمنها الإعراب عن عواطف أهل المدينة والترحيب برفعته باسم المصريين فى سنار ، وأنه تبرع بإطعام الفقراء فى سنار بهذه المناسبة . ورأيت الجموع التى احتشدت هناك على مسيرة ثلاثة

كيلومترات خارج المدينة ، ووزعت عليها اللحوم والكساوى والعيش ؛ وأعجبت بهذا الشاب الكريم ؛ وجرى بيننا الحديث ، فعلمت أنه من أهالى الدر الذين حصلوا على التعويضات بسبب إنشاء خزان أسوان وأنه ، أخذ حوالى ٧٠٠ جنيه من هذه التعويضات ، فرحل إلى السودان واشتغل بالتجارة فى الصادرات والواردات ، وكان صادقا أميناً ، فصادفه النجاح وأىّ نجاح . لقد بلغت ثروته فى عشر سنوات أضعاف رأس ماله .. وأصبح اليوم يملك نحو خمسة آلاف من الجنيهات .!! ولايزال ناجحاً .. وفقه الله وسدد خطاه ...

هذا المثل الفردى ، على بساطته ، ألاَ يصلح برهاناقوياً على أنه لاخوف على رأس المال المصرى فى السودان مادام صاحبه يحسن استغلاله والقيام عليه .!؟

وعدم الاستقرار الاقتصادى — أما هذا السبب فاننى فى حاجة ملحة إلى فهمه ، ولرجال الاقتصاد أن يتفضلوا بالكلام فيه ، ولكن لى شبهة فى الأمر ينبعث منها سؤال واحد ، هو هل هناك فى أسواق الاقتصاد فى لندن أو باريس أو برلين أو نيويورك أو القاهرة ضمانات لهذا الاستقرار!؟ لا يمكن أن تتوافر فى الخرطوم أو عطبرة أو بور سودان .!؟

وثمت وجه آخر هل السودان بطبيعته أو وضعه الحالى هو علة عدم الاستقرار .!! الحق إننى هنا أطلب الجواب ، وأنشد الاقتناع ؛ فإن الذى لمسته هو وجوب النظر فى النظم الموضوعة بشأن التمليك والضرائب وحرية الإقامة ووسائل التأمين لأصحاب الأموال على أرزاقهم ومصالحهم .

وارتفاع أجور النقل والحلج — لاشك أن هذه المسألة فى حاجة إلى علاج حاسم ، ولاشك أيضاً فى أنها ميسورة هينة ، لأن تخفيض أجور

النقل عمل تستطيع حكومة السودان أن تصنعه فتعوض النفقات من زيادة الحركة الناشئة عن التخفيض ؛ أما أجور الخلج فهذه تابعة لقلة اليد العاملة ، فإذا عولجت هذه القلة انخفضت الأجور حتما .

وعدم انتظام الضرائب — هذا أمر يقتضى إعادة النظر فى القواعد المتبعة الآن فى السودان والرجوع بها إلى حالة مستقرة على ضوء التجارب والأحوال الطبيعية هناك .

ولكن الواقع

هذه نظرة عارضة قد تكون محل مناقشة وتعقيب ، ولكن الذى لا جدال فيه هو أن الواقع الذى عرفه التاريخ من أقدم عهوده إلى سنة ١٩٢٤ ، أن المصريين كانوا يعمرون السودان ، ويقيمون فيه ، ويتجرون ، ويصاهرون ، فلا تمنعهم من ذلك ، مفاجآت الطبيعة ، واشتداد الرياح ، ودرجة الحرارة .

والذى نعرفه أن كل مدينة ، أو قرية فى السودان يقيم بها الآن تجار أجانب ، يختلفون طبيعة ، ولوناً ، عن السودانيين ، بل هم على طرفى نقيض . . . والذى أثبته الإحصاء الرسمى أن فى السودان ألوفاً من التجار الأجانب من مختلف الجنسيات[1] فيهم "اليونانى" و"الأرمنى" و"الهندى" و"الإيطالى" و"الإنكليزى" و"المغربى" و"اليمنى" و"الحجازى" و"الشامى" اتسع السودان لهم فى ميادين الاقتصاد على صورة طيبة ، ولم تمنعهم مفاجآت الطبيعة واشتداد الرياح ودرجة الحرارة من الإقامة الطويلة الناجحة . . . إتسع الميدان أمام كل هذه الأجناس والأموال النامية المستقرة ثم ضاق بالمصرى ؟! الذى لم يعرف فيه الترف الناعم

---

(١) عدد التجار اليونانيين بالسودان هو ٤٨٠٠ والشوام ٦٠٠

والرقة اللينة التى تجعل مفاجآت الطبيعة واشتداد الرياح ودرجة الحرارة موانع تحول بينه وبين الإقامة والنجاح . . . . .

على حين هناك أمر آخر يسقط أمامه كل اعتبار ، وهو أن المصرى لايرتحل للكسب ولا يحركه الجشع ، إنما هو مطلوب بحق المعاونة بينه وبين أخيه فى السودان . لذلك أدعو للارتحال أو الهجرة ، كما يقول البعض ، أو للمعاونة وأداء الواجب الوطنى كما يجب أن يقال .

أضف إلى ذلك أن بلاد الشرق جميعاً تستعين بالمصريين ، وتنتفع بجهودهم فى مختلف النواحى ، فيبذل المصريون ذلك راضين مغتبطين ، ويسجلون النجاح الذى يرتبط دائماً بتقارب العقلية والشعور والإحساس ، لأن الشرقى أقرب إلى الشرقى ، وأقدر على تفهم مطالبه وحاجاته ، وأنفع فى تقرير أساليب الإصلاح والمعاونة له ، فى غير تكلف ولا إرهاق .

وفى بعض بلاد الشرق ، كما فى السودان ، مفاجآت الطبيعة واشتداد الرياح ودرجة الحرارة والسموم والهبوب ، ومع ذلك يقيم المصرى وينجح ، ويعمر وينتج .

فلو لم يكن بيننا وبين السودان غير صلة الجوار لكانت وحدها مرجحاً قوياً فى حالة المفاضلة بين مصرى وغيره من سائر الأجناس . . .

الحاكم العام للسودان يقول :

استعرض سعادة الحاكم العام للسودان فى تقريره لسنة ١٩٣٨ الشئون الإدارية والمالية عن حالة السودان ص ٢١٠ تحت عنوان (مذكرة عن السياسة الخاصة بالحكم المحلى فى السودان الإنكليزى المصرى) فقال :

ومن الجائز أن هذا التأخير فى حركة التقدم كان من الأسباب التى أدت (ولكن إلى درجة محدودة فقط ، لأن العامل الرئيسى فى ذلك كان رد الفعل الذى تبع ذلك الزلزال العالمى ، ألا وهو الحرب العظمى) إلى اضطرابات سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، وكان من نتائج تلك الحوادث أن عدداً من الضباط وصغار الموظفين المصريين تركوا البلاد ، وبما أن الكثيرين من هؤلاء كانوا ذوى معارف فنية وخبرة إدارية تفوق معارف وخبرة معاصريهم من السودانيين ، فزادت بمغامراتهم للبلاد ضرورة استعراض أسس السياسة الحكومية استعراضاً شاملا وإجراء تعديل عام فى الآلة الإدارية" اهـ .

يجمع الباحثون على حاجة السودان إلى الأيدى العاملة ورؤوس الأموال وخبرة المجربين . وأنه لاسبيل إلى الخير والرفاهية للسودان إلا عن طريق معاونة خارجية فيبقى سؤال أخير هو "من هم المؤهلون لهذه المعاونة والأقدرون عليها إن لم يكونوا المصريين . . . ؟ !"

ونطلب الجواب من الزمن ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، ثم نعفى السياسة من هذا ، فألغازها عميقة ، وأساليبها مطاطة ، ينفد معها الصبر ، ويضيق بها الصدر ، فى عصر قفزت فيه مقاييس السرعة إلى أرقام تحار فيها العقول .

أمور لابد من بحثها

فرغنا من البحث السابق بشأن حرية الانتقال بين مصر والسودان وانتهينا إلى وجوب الاتجاه نحو هذا الشطر المكمل للوطن بعناية شعبية ،

لايقتصر أمرها على الحكومة ، بل يجب أن تكون شاملة لكل طبقات المصريين .

بقيت بعد هذا مسائل تتفرع على هذا البحث ، وتندرج تحت مقتضياته وهى بطبيعتها ـ كما سنراها ـ تحتم على المسئولين النظر فيها ومعالجتها بما ينتج الخير للبلدين .

أولا : الحواجز الجمركية

أنشأت مصلحة الجمارك المصرية نقطة للتفتيش فى الشلال ، منعاً لتهريب بعض البضائع التى فرضت عليها فى مصر رسوم جمركية مرتفعة ، كالمنسوجات الحريرية أو الدخان ، ذلك أن البضائع اليابانية تغمر أسواق السودان ، وتحتل مكاناً كبيراً فى المتاجر حيث تباع بأسعار رخيصة جداً وتشل البضائع المماثلة لها ، كمصنوعات مصر ، عن المنافسة أو الرواج ، فهى تدخل إلى السودان من ثغره البحرى « بور سودان » فلا تحصل عليها سوى رسوم ضئيلة جداً ، وتخشى مصر أن تتسرب هذه البضائع إلى أسواقها عن طريق السودان ـ مصر ، فلذلك كان قيام نقطة التفتيش عند الشلال أمراً ضرورياً ، لفائدته من هذه الناحية ، ولكن هناك وجوه ضرر جسيم ترتبت على ذلك بالنسبة لحركة التجارة بين مصر والسودان فى جميع الصادرات والواردات الأخرى .

لذلك كثرت الشكوى من هذه الحواجز ، وكان من الخير إعادة النظر بالاتفاق بين الحكومتين المصرية والسودانية على نظام آخر يكفل الضمانات التى تريدها مصر ، ويفتح الباب أمام الاقتصاد المحلى لبلاد النيل وأساليب العلاج فى هذا كثيرة وواضحة ، وتشجع الآملين فيها روح

التعاون القائم بين الجانبين ووفاء مصر لمعاهدة التحالف بينها وبين إنكلترا ولا أكثر من إعادة النظر فى الرسوم المقررة على البضائع الأجنبية الواردة على بور سودان أو فى جعل الضرائب الباهظة عند نقطة الشلال قاصرة على الواردات الخارجية عن السودان ، فهذه بداءة الضمان والخير . على أنى لست موكلا برسم العلاج ، فأمره متروك لمن بيدهم المسئولية عن رفاهية الاقتصاد السودانى .

ثانياً : الشهادات الدراسية المصرية

تعترف جامعات الدنيا كلها بهذه الاجازات التى تمنحها معاهد التعليم المصرية لطلابها . وتعترف بها حكومات كثير من البلاد التى لا يربطنا بها سوى حسن التفاهم وحده . على حين ترفض الحكومة السودانية هذا الاعتراف عملياً ، وأكبر الظن أن هذا الرفض ليس قائماً على أسباب علمية أو اختلاف على تقديرها فنياً ؛ لأن حكومة السودان ، فى ذات الوقت الذى تنظر فيه إلى الشهادات المصرية هذه النظرة ، تعترف بشهادات أخرى لبلاد أسيوية وأوربية ، هى بلا ريب أقل من المستوى الثقافى والفنى فى مصر ، ثم هى لا تسند الوظائف اللائقة إلى السودانيين الذين يتخرجون فى المعاهد المصرية على اختلافها وتنوعها . وأمر كهذا ، من شأنه إقامة عقبات لا مبرر لها ، فى وجه الثقافة المصرية ، التى لا يمكن تجاهل حاجة السودان إليها ، فى الحاضر وفى المستقبل .

والأجمل أن يوضع هذا الأمر موضع العناية والنظر ، ثم يبت فيه على وجه يكفل المصلحة المشتركة للبلدين .

ثالثا : اللغة العربية :

تعترف الحكومة السودانية باللغة العربية لسانا للتخاطب الرسمى . وفى ذات الوقت ليس لديها من أساليب العناية بهذه اللغة مايكفى حاجتها ... فمعلمو هذه اللغة فى السودان قليلون ، وبرامج التعليم فى المعاهدة والمدارس لاتعطيها العناية الواجبة ، ومقتضى التعاون الذى قررته المعاهد ، أن يتم التفاهم الصريح على هذه المسألة الجوهرية .

رابعا : الثقافة الدينية :

إن الذى لاسبيل إلى تجاهله ، أن الدين الإسلامى هو أوفر الأديان قسطاً فى ربوع السودان ، وفى نفوس أهله ، بل هو العقيدة الفطرية لهذه القبائل العديدة التى لايضير البحث العلمى إرجاعها إلى أصول عربية أو إسلامية بنسبة ٩٥ ٪ من المجموع ، ولكن الذى يستوقف الأنظار هو أن الثقافة الدينية الإسلامية ، لاتجد سبيلها هيناً فى بعض مناطق السودان – فى الجنوب على الأخص – حيث تقوم المنشآت الدينية ومراكز التبشير والإرساليات الأخرى ، فتبذل لها حكومة السودان عناية ملحوظة ، وتمنحها حقوقا ومزايا واسعة شاملة ، قد يتعذر معها على الراغبين فى الإسلام من زنوج القبائل المقيمة هناك أو من قبائل المسلمين أنفسهم – أقول : قد يتعذر على هؤلاء وهؤلاء أن يجدوا بغيتهم ، أو يزاولوا شعائر دينهم ، أو يدعوا إليه . والذى يحتمه الإنصاف أن تكون للمسلمين على الأقل نفس الحقوق الممنوحة فعلا لإرساليات المبشرين فى السودان ، وأن تباح لهم ذات الحرية التى ينعم بها " دعاة الأديان الأخرى فيه "

ومن هذه السبيل ، يتحقق معنى الاشتراك المقرر فى المعاهدة ، والذى بمقتضاه يكون منع المسلمين من مزاولة الشعائر الدينية ، أو الدعوة إليها فى بعض مناطق السودان ، أمراً غير مفهوم مطلقاً .

يضاف إلى ذلك أن خطبة الجمعة فى المساجد ، عند مايقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية خالية من الدعاء لمليك مصر ، الأمر الذى لم تمسه اتفاقية سنة ١٨٩٩ بالمنع ، بل أطلقته ، ولكن هذا المنع جاء عقب إخراج المصريين من السودان فى سنة ١٩٢٤ على أثر الفاجعة المحزنة ، التى هزت قلوب المصريين والإنكليز على السواء باغتيال طيب الذكر ، السير لى ستاك باشا .

فعودة الخطبة الدينية إلى سابق عهدها لايحرج أحداً ، ولا يضير نفساً . فوق مافيه من رعاية لشعور المسلمين فى السودان ، واستكمال لواجب دينى ، لاسبيل إلى الكلام فيه بتوسع فى هذه اللمحات السريعة .

خامساً : مسألة التمليك

وهى موضوع الشكوى والتذمر من السودانين أنفسهم ، بلى هى علة العلل فى انهيار الدعامة الأولى للاقتصاد فى السودان ، وهى مرجع الذعر والاضطراب الذى أشار إليه تقرير النقابة الزراعية فى سنة ١٩٣٥ .

سادساً : انشاء الخط الحديدى

من أكبر المعوقات عن الاتصال الناجح بين أسواق التجارة المصرية السودانية هو بطء المواصلات وعقمها فى المنطقة الواقعة مابين وادى حلفا وأسوان ، حيث يعتمد فيها على البواخر النيلية المرتفعة الأجور والقليلة العدد والبطيئة الحركة ، فالسعى لوصل خط السكة الحديدية بين

مصر والسودان فى هذه المنطقة ضرورة لاسبيل لتفاديها ، يوم تستقر الظروف والأحوال ، وتهدأ عواصف المحن العالمية التى تجتاح الدول اليوم . وسيتبع هذا العمل اتصال خطوط التليفون أيضاً ، ومهما قيل فى تكاليف الإنشاء ونفقاته فلا ريب أن الغاية المرجوة أثمن من المال ، وأعز من النقد مهما بلغت قيمته وكثر عدده .

سابعا : الحقوق الادارية

النظام الإدارى القائم الآن فى السودان يمنح لكبار الموظفين الإداريين فى المناطق المختلفة سلطة واسعة فى شأن التمليك والإقامة والترخيص بالرى وبالنقل وبالاتجار ، كل ذلك يحتاج إلى البحث والدراسة العاجلة حتى ينتهى إلى الصورة التى تكفل للناس الطمأنينة على أموالهم وأرزاقهم .

◎◎◉

هذه بعض الأمور التى يكون الخير فى بحثها ومعالجتها ، ويكون الكسب منها عائداً أول الأمر على السودان العزيز الذى التزمت مصر العمل على رفاهيته وتقدمه ، واليقين أنها أمور لابد من الوصول بها إلى أوضاع سليمة فى فرصة قريبة بإذن الله .

إن كل الغايات والآمال تتركز فى عبارة واحدة هى أن يكون للمصرى فى السودان ماللسودانى فى مصر على تنوع الصور والأبواب .

بذلك وحده تتحقق آمال العاملين ، وتنتفى موجبات الركود والتأخر فى تقدم السودان ونهضته .

الرحلة المباركة

أيامها الخالدة فى التاريخ

من يوم ١٧ فبراير سنة ١٩٤٠ — ٣ مارس سنة ١٩٤٠

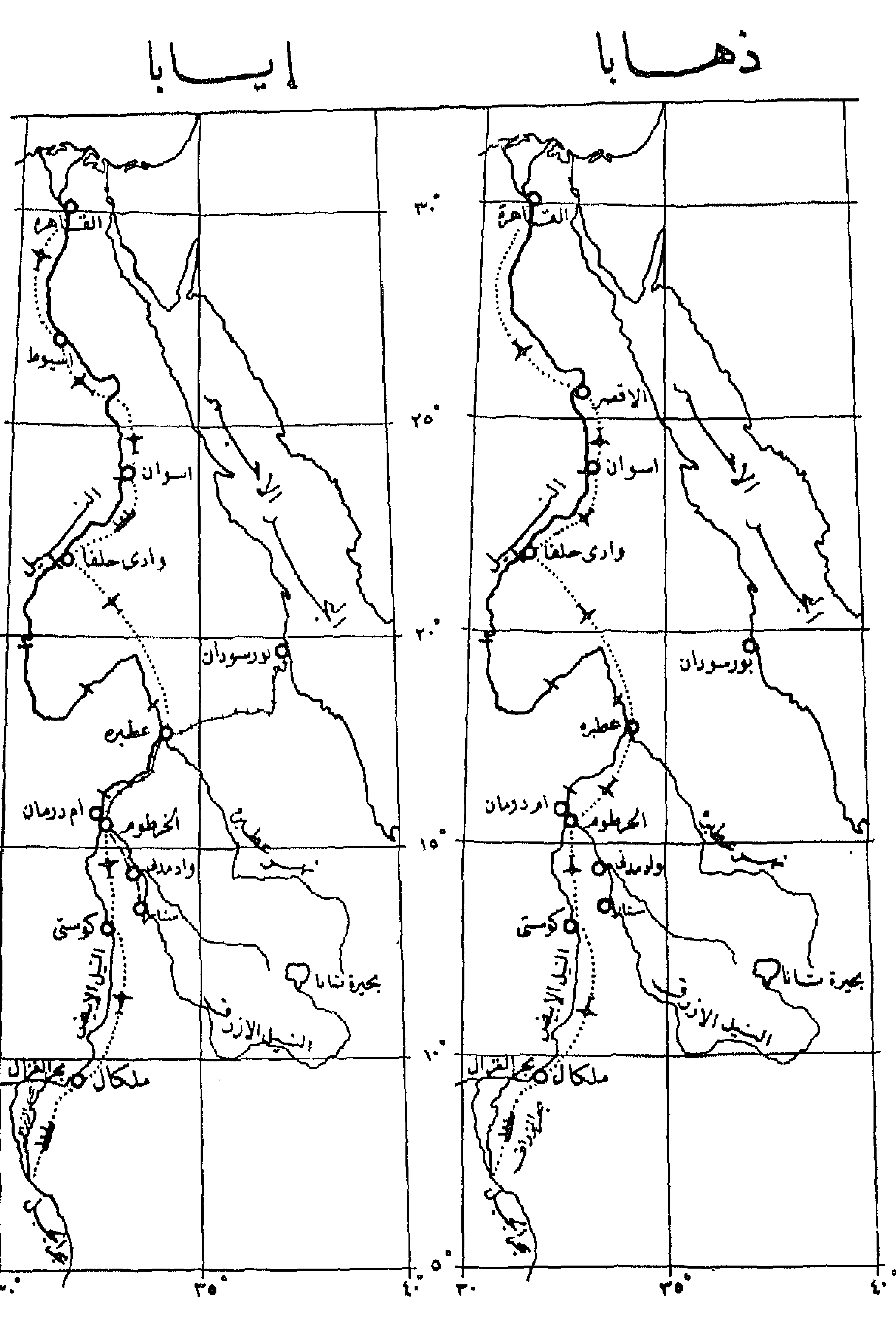
"وإنه ليسعدنى أن رحلتنا قد خلفت جواً صالحاً للعمل المنتج ، والتعاون الوثيق ، وأن أعلن أن رغبات السودان وأهله ستجد صدى فى أرجاء الوادى ، وفى قلب مصر الخافق ، ومصر حاضرة كلما دعا داعى الأخوة والوطن".

« من بيان الرئيس فى ١١ مارس سنة ١٩٤٠ » على ماهر

"لاشك عندى فى أنى أعبر عن رأى المجلس إذا قلت : إننا نتقبل هذا البيان الجامع الشامل وتحية إخواننا السودانيين ، بالغبطة والبشر والسرور ، وإنه لمفخرة للحكومة الحاضرة ، أن يكون رئيسها أول رئيس للحكومة يزور البلاد الشقيقة ، هذه الزيارة التى ستكون لها ، إن شاء الله ، آثارها ونتائجها الطيبة . فى ظل حضرة صاحب الجلالة المليك أعزه الله".

« تعليق وكيل مجلس النواب على البيان » محمد راغب عطية

الرحلة :-



خريطة الرحلة

الرحلة في التاريخ

تعتبر رحلة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" إلى السودان ، حادثاً خطيراً فى تاريخ العلاقات السياسية بين مصر والسودان ، فوق أنها واجب وطنى قام به رفعته نحو بلاده ، وتقليد حميد استنه ، فأصبح محتوم التنفيذ فى مستقبل الأيام .

سيذكر التاريخ هذه الزيارة ، إلى جوار الزيارات الخالدة التى تمت منذ عهد باعث نهضة مصر ، وخالق كيانها السياسى ، ومؤسس عظمتها الحديثة ، المغفور له محمد على باشا الكبير ، عاهل النيل ، ورأس الأسرة العلوية المباركة ، والزيارات التى تلت ذلك فى عصور الولاة العظام ، من فروع الدوحة الباسقة الظليلة .

سيذكر التاريخ أن محمد على الكبير زار السودان فى أخريات أيامه ، وهو شيخ يناهز السبعين ، فخلف آثاراً خالدة فى ربوعه ، وتبعه المغفور له محمد سعيد باشا ، فى سنة ١٨٥٧ ميلادية ، فأدى للسودان حق الرعاية والاهتمام .

وفى عصر الاستقلال ، وفى ظل المليك المفدى " فاروق الأول " ، ربيب النهضة المباركة ، وباعث الفتوة والشباب ، فى مصر المستقلة الطامحة ، سافر إلى السودان وزيره الأول ، صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" ، فانعقدت حلقة الاتصال بين أسعد عهدين فى تاريخ

مصر الحديث ، وارتبطت مصر الناهضة فى عهد محمد على الكبير ، بمصر المستقلة فى عهد الفاروق العظيم .

يتحدث التاريخ عن غزوات وحروب ، فى صلة الشطرين المتلازمين ، أما اليوم إذ تذكر رحلة على ماهر باشا ، فيذكر السلام والوداد ، والحب والإعزاز ، وإذا شاء المؤرخ أن يسميها "الغزوة السلمية" ، كان غير متجنٍ ولا مبالغ ، فقد كانت كذلك حقاً ، وكانت أسلحتها مودة القلوب ، ودواعى الأخوة ، وعواطف التراحم ، بين أبناء الأسرة الكبرى . . . لذلك كان حقاً أن يعنى بها الكتّاب ، والمؤرخون ، وأن تحتفل لها المنتديات والمجتمعات ، وأن يطول الحديث عنها ، وأن يتكرر . . .

. . . وفى السياسة

" قرأت فى كتاب الأستاذ محمود سليمان غنام « تحليل المعاهدة المصرية الإنكليزية » عند كلامه على علاقات مصر بالسودان ، فى صحيفة ٣٢٧ العبارة التالية : " وأعتقد أن سهر مصر على أمور السودان ، وتتبع أخباره ، وزيارة وزير الحربية له ، كل ذلك كفيل بأن يطمئننا على إمكان التأكد ... الخ الخ ". وقد قال بهذا الرأى ، بعد ذلك كتّاب وسياسيون ، من مختلف النزعات ، والأحزاب .

ومن هنا تأخذ الرحلة الطابع السياسى ، وتزيد أنها كانت كاملة الصورة ، قوية المعنى ، فالذين زاروا السودان فى هذه الرحلة ، هم : حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، رئيس مجلس الوزراء ، ووزير الداخلية ، والخارجية . وحضرة صاحب المعالى محمد صالح حرب باشا

وزير الدفاع ، وهو وزير الجيش . وحضرة صاحب المعالى عبد القوى أحمد بك (باشا الآن) ، وزير الأشغال ، وهوو زير النيل .

وقد كان الذين يدعون للاهتمام بشئون السودان ، يرون من أسباب ذلك ، قيام معالى وزير الدفاع ، بتفقد شئون الجيش من حين لآخر ، فجاء رفعة الرئيس ، بهذا الواجب ، على صورته الشاملة الكاملة ، فجمع بين كل الأهداف ، والمرامى ، وخرج بالرحلة عن حدها الضيق ، إلى شمولها العام لكل المرافق التى تربط مصالح البلدين ، سياسياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً . فدلالة الرحلة من هذه الناحية إذن ، فى غير حاجة إلى توضيح و بيان .

تقليدان

ولكن رفعة على ماهر باشا ، أضاف إليها تقليداً عميق الأثر ، فى الدلالة على قيام الروابط الدائمة ، بين بلاد النيل ، إذ لم يستأذن فى السفر ، إلى السودان ، من القصر ، ذلك الاستئذان التقليدى ، المفروض فى كل ذى شأن ، يغادر البلاد ، إلى قطر خارجى . ذلك أن رفعة الرئيس ، كوطنى سليم التقدير ، يرى أن زيارة الخرطوم ، لاتزيد على زيارة أسيوط ، أكثر من طول المسافة وبعد المكان .

فهذا التقليد إذن ، قوى الدلالة ، على المعنى ، الذى ترمى إليه المعاهدة المصرية الإنكليزية ، فى تقرير علاقتنا بالسودان ، وتأكيد مابيننا من صلات سياسية تربط مصالحنا المشتركة ، وتدخل بها فى الصورة الطبيعية ، المقررة لها .

وثمت تقليد آخر ، هو أن رفعة الرئيس ، قام بهذه الزيارة فى أضيق

الفرص ، وأدق الظروف السياسية ، مقتطعاً من وقته الثمين ، أياماً قصاراً هى غاية ماتسمح به الحالة فى مصر ، ومع ذلك ، فقد كان على صلة بكل شئون الوزارات ، التى يشرف عليها ، كما كان زميلاه الكريمان كذلك على صلة بشئون وزارتيهما ، ولم يندب مجلس الوزراء ، أحداً مكانهم ، لأن هذا الندب ، لايصح عادة ، والوزير فى سفر داخل القطر .. بل محله أن تكون الغيبة خارج القطر .

فعند مازار رفعة الزعيم ، بلاد الوجه القبلى ، فى يناير سنة ١٩٤٠ ، وعند مازار السودان ، وعند مازار أقاليم الوجه البحرى ، أو حين يزور غيرها من البلاد المصرية ، تبقى عليه واجباته نحو وزاراته ، ويبقى له الإشراف على تصريف أمورها ، كما لو كان بالقاهرة ، سواء بسواء .

وقد وضع لتنفيذ ذلك النظام الذى تم بدقة تبعث الإعجاب الشديد بالطيارين المصريين ، وهو نظام طائرات البريد المتعاقبة ، بين مصر والسودان فى فترة الرحلة . فقد كانت حقائب البريد الضخمة ، تصل إلى السودان ، أو تعود إلى مصر ، تحمل التقارير ، وأوراق العرض ، وغيرها مما يستلزم الفصل فيه الرجوع إلى رأى الوزير .. فكان رفعة الرئيس ، يباشر شئون العمل الرسمى ، مضافاً إليه هذا الإرهاق المضنى ، الذى استلزمه ضيق وقت الرحلة ، وكثرة الأمور التى تضمنها برنامج الزيارات .

لذلك جاء هذا التقليد ، مؤكداً للمعنى الوطنى ، الذى ترمى إليه سياسة على ماهر الحصيفة ، البعيدة الأهداف ، السديدة المرامى .

فاذا قلت للناس بعد ذلك ، إن رفعة الزعيم ، لم يكن ينام فى يومه ، أكثر من أربع ساعات ، كان بيدى البرهان المادى ، الذى لايقبل

الجدل وهو ماتراه مفصلا ، عند عرض أيام الرحلة ، وبرامجها المتصلة المحددة بالساعات .

لم يكن على ماهر باشا يفرغ يومياً ، قبل الساعة الثانية صباحاً ، من أعباء العمل، فيسهر، ليراجع ويبحث ، ويقرر مايراه فى شئون الأوراق التى تحملها الطائرات ، ثم يستيقظ فى الساعة السادسة صباحاً لتنفيذ برنامج الرحلة.

فى سبيل المبدأ والفكرة

لست حريصاً على تأكيد هذا المعنى ، فالناس جميعاً يعرفونه فى رفعة على ماهر باشا ، ولكن الذى أحرص عليه ، هو أن يلمس الشعب ، أىّ جهد تكبده هذا الرجل ، وأى مشقة حملها ، فى سبيل تقرير المبدأ وتحقيق الفكرة .

وإلا فماذا عليه ، لو جعل أيام الرحلة فرصة للفراغ من عناء الشئون الوزارية ، وانتهزها فترة للراحة ، والاستجمام . ؟ !

أقول ماذا عليه لو فعل ذلك ؟ فلن يجد من يقول كلمة اعتراض . . ولكنه آثر أن يشق ، لتسعد مصر ، وأن يكد ، ليتقرر مبدأ ، وأن يسهر لتتحقق فكرة . . .

مبدأ وفكرة هما جماع ماترمى إليه الوطنية المصرية ، وما بذل فى سبيله الشهداء دماءهم الغالية . . . وما هتفت وتهتف به القلوب دائماً . . . « مصر والسودان كتلة واحدة » . « والنيل لا يتجزأ » .

من هذا نلمح المغزى السياسى للرحلة ، على صورتها التى تمت بها ، ومن تصرفات رفعة الرئيس فيها ، نلمح وجهاً آخر ، أدق وأجمل ، هو أن حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، زار السودان ، كرئيس

للوزارة المصرية . فهو إذن ، يؤدى واجباً رسمياً ، لم يسبقه للقيام به الرؤساء السابقون للوزارات . . فيقرر لبلاده ، حقها الطبيعى ، المهمل ، ويسجل تقليداً لن يتحلل منه مستقبل السياسة المصرية أبداً . فيتفقد أحوال الشعب فى السودان ، ويدرس بنفسه نواحى الحياة فيه ، ويلمس جوانبها المختلفة ، ليرتب تصرفاته على ضوئها ، ويصدر قراراته على هداها ، وهو فى ذلك ، يعطى مثالا طيباً ، ودرساً عملياً ، للحاكم اليقظ ، وللوطنى العامل ، ويربح للوطن أطيب الثمرات .

قال الرئيس فى بيانه الرسمى ، أمام مجلسى البرلمان ، بعد عودته من الرحلة :

" إخوانى لاتزال آثار المصريين القدماء ، من وادى حلفا إلى الخرطوم ، ولا تزال أعمال المصريين الحديثين ، فى كل منطقة من مناطق السودان ، شاهداً عدلا ينطق بمجد مصر ، وحب مصر ؛ ولقد أحببت أن أرى بعينى ، فى ذلك البلد الشقيق ، آثار مصر ، ومؤسسات مصر ، وأن أتعرف إلى شعب السودان ، وإلى أمانيه وحاجاته ، التى نعطف عليها كل العطف ، وأن أطالع تلك الوجوه الكريمة ، التى تفيض بالولاء والإخلاص ، وأن أجتمع إلى نفوس ألّف بيننا وبينها وادى النيل الأعظم ، فى وحدة سياسية هى وحدة الوطن الأكبر " .

. . . وفى الاجتماع

يتشعب الكسب الوطنى فى هذه الناحية ، من رحلة رفعة الرئيس ، وتتعدد صوره وأشكاله .

أولاً : وضح كثير من غموض أمر السودان ، فى أذهان المصريين ،

وعرفوا عنه حقائق كانت مجهولة ، أو غامضة ، وتحددت صورته على نحو يختلف كثيراً عما كان عليه بالأمس .

فقد دأبت الصحف المصرية ، فى أيام الرحلة وبعدها ، على ترديد القول والكتابة عن السودان ، والحياة فيه ، وزادت تبعاً لذلك معلومات من جهلوه فى الماضى ، وعرفوا عن شئونه ، وأحواله وأهله قدراً يعدهم لفهمه على صورته الصحيحة ويشعرهم بضرورة الالتفات إلى واجبهم نحوه .

ومن الكسب الجزيل بلاشك ، أن ترى الناس على اختلاف طبقاتهم ، فى النوادى ، والمجتمعات ، يتحدثون عن السودان ، ويسألون ، ويبحثون ، ويقرأون ، وهذا التوجيه الصالح ، الذى جاء عفو الساعة هو فى الواقع أثر من آثار الرحلة ، ونتيجة من نتائجها .

ثانياً : أدرك إخواننا السودانيون ، حقيقة الشعور المصرى نحوهم ، ولمسوا عطف مصر ، عرشاً ، وحكومة ، وشعباً ، على السودان ، وعنايتها برفاهيته وتقدمه ، وحرصها على اطراد نمائه وقوته ، فوهنت أسباب العتب ، الذى كان موجهاً إلى مصر من شقيقها السودان ، ونمت عواطف الثقة والأخوة الكامنة فى الصدور ، وتوثقت روابط الوحدة القديمة الدائمة ، وعادت قوية حارة ، تزيد على الأيام قوة وحرارة .

ثالثاً : فتحت أبواب النشاط ، لمن يريدون الخير لشطرى النيل ، ووضحت مسالك السير ، لمن يهمهم مستقبل الوطن الكبير ، أعنى أن المصريين والسودانيين اليوم ، يعرفون الطريق إلى هذه الغايات والآمال ، التى تحقق المجد للوطن المشترك ، ويدركون أن فى هذه الثقة المتبادلة ، وهذا الاطمئنان المتبادل ، مفتاح الخير للبلدين ، وسبيل الكسب للطرفين .

رابعاً : قضت على أوهام المرجفين الذين يسيئون إلى نوايا مصر نحو السودان ، إذ يزعمونها نوايا استعمارية ، ووضحت حقيقة النظرة التى تتجه بها مصر ، نحو الشطر المكمل والنصف الثانى للوطن الكبير ، وقررت فى الأذهان ضرورة التلازم بين البلدين ، لاشتراكهما فى مصلحة واحدة ، وارتباطهما بمستقبل واحد ، لامناص من الاعتراف به وإقراره .

بيان الرئيس عن رحلته إلى السودان

نثبت هنا نص البيان الذى ألقاه حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" أمام مجلس النواب فى مساء الاثنين ١١ مارس سنة ١٩٤٠ نقلا عن مضبطة الجلسة صفحة ٢ العمود الثانى :

الرئيس — الكلمة لحضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء .

حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء : —

" إخوانى النواب المحترمين :

يطيب لى أن أقف بينكم فى هذا المحيط ، الذى تتمثل فيه صورة الوطن الحى ، صورة مصر الخالدة . مصر مهد الحكمة والفن ومهبط الرسالة والوحى مصر التى تستشرف المستقبل بالروح الفتية والآمال البعيدة ؛ (تصفيق)

يطيب لى أن نجدد معاً ذكرى عظمة مصر ، فى عهد الفراعنة وفى عهد الأسرة العلوية . إذ امتد نفوذها فى إفريقيا ، ونشرت راية العمران على ضفاف النيل وفى واديه السعيد ، هذه هى الذكرى التى حفزتنى إلى انتهاز أول فرصة أتيحت لى لزيارة السودان الذى تربطنا به أواصر الحياة

فى أكمل معانيها . وقد أردت ألاّ يفوتنى واجب تقوية الصلات بين البلدين ، وأن أتعرف بنفسى أحوال البلاد الشقيقة . وأنا أعلم حق العلم مايكنه حضرة صاحب الجلالة الملك نحوها من العطف والرعاية (تصفيق حاد) ولا غرو فقد كانت زيارة جدّه الأعلى للسودان فى صدر القرن الماضى أول مظاهر العناية به والرعاية لشؤونه ؛ (تصفيق) ولقد كان محمد على الكبير يسترشد فى إدارته وأعماله بالتجارب والمشاهدات ، فى نظر نافذ وإدراك بعيد . فكان لايأتى عملا أو يرسل حكما إلا على أساس متين من الحقائق العملية . وكانت زيارته للسودان فى سنة ١٨٣٩ ، وقد ناهز السبعين ، أثراً لهذه السياسة العالية ؛

ولقد غادر محمد على مصر فى وقت كان مستقبل البلاد فيه معلقاً فى ميزان القدر . وكانت أوربا ، فى عنتها وغلوائها ، تأبى علينا النَّصَفة . كبر على العاهل الكريم أن يلين فى الحق ، وولى معرضاً ليعلن فى السودان كلمة الحق والإصلاح بين أهله الذين كان يرعاهم رعاية الأب (تصفيق) وقد استغرقت رحلته إلى الخرطوم ، فواد مدنى ، فسنار ، فالروصيرص ، ففازوغلى ستة أشهر ، صحبه فى أثنائها موظفون ومهندسون مصريون ؛

وتشمل صحيفة وقائع هذه الرحلة العظيمة آيات بينات . وإنى أكتفى بأن أقول إنه حين رأى تدهور الزراعة فى سنار ، أمر بتخصيص مائة فدان لكل مهندس فنى ، وقدم له الآلات والماشية ، وألحق به طائفة من شباب كل إقليم ، ليتعلموا فيها شؤون الفلاحة تحت إرشاده ؛

وقد أعفى محمد على هذه الأراضى من الضرائب خمسة أعوام كاملة ، فنشأت هناك حقول نموذجية ينموا فيها قصب السكر والقطن والنيلة

وغيرها ، وقد اصطحب محمد على معه عند عودته كثيراً من شباب السودان وأدخلهم مدارس مصر، وسلحهم بالعلم، وذودهم بأسباب المدنية .

وكلنا يذكر زيارة المغفور له محمد سعيد باشا فى سنة ١٨٥٧ وما انطوت عليه من أعمال جليلة ، وأمانٍ طيبات للسودان وأهله . وكلنا يذكر أن المصريين هم الذين أنشأوا الخرطوم وكانت مجموعة من العشش للصيادين، كما أنشأوا بربرة وغيرها من المدن الزاهية الزاهرة، وأنهم هم الذين أدخلوا حجر البناء ونظموا وزرعوا ونشروا الأمن ، وأسسوا ووطدوا بالدم والمال (تصفيق) ولا تزال مصر بحمدالله تؤدى رسالتها فى السودان . ولا يزال النيل يجرى فى البلدين خصباً ونماء ، وألفة ومحبة لا انفصام لها (تصفيق) .

إخوانى النواب المحترمين

لا تزال آثار المصريين القدماء من وادى حلفا إلى الخرطوم ، ولا تزال أعمال المصريين الحديثين فى كل منطقة من مناطق السودان شاهداً عدلا ينطق بمجد مصر (تصفيق) ولقد أحببت أن أرى بعينى فى ذلك البلد الشقيق آثار مصر ومؤسسات مصر، وأن أتعرف إلى شعب السودان وألمس أمانيه وحاجاته التى نعطف عليها كل العطف ، وأن أطالع تلك الوجوه الكريمة التى تفيض بالولاء والإخلاص (تصفيق) وأن أجتمع إلى نفوس ألف بيننا وبينها النيل الأعظم فى وحدة سامية هى وحدة الوطن الأكبر ، وقد انتظمت رحلتنا العاجلة العطرة ، والخرطوم ، وأم درمان وواد مدنى ، وسنار ، وكوستى ، وملاكال ، وبحر الزراف ، وبورسودان ، وقد اتصلنا فى أثنائها بالحكام وبكبار السودانيين وبالأهالى ، وزرنا المؤسسات المصرية فى الرى والجيش بالخرطوم وملاكال وبور سودان

وزرنا المعهد الدينى فى أم درمان ، وزرنا المدارس للبنين والبنات ، والمعلمين والمعلمات ، وكليات الطب والحقوق ، والهندسة والزراعة ، والمحاكم المدنية والجنائية والشرعية ، والمستشفيات والمتاحف والخزانات وزرنا الغرفة التجارية ومؤتمر الخريجين والنوادى المصرية والسودانية فى الخرطوم وغيرها .

وقد أثلج صدورنا مارأيناه من تقدم محسوس فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بفضل الإدارة الحديثة المصرية الإنجليزية التى عنيت برفاهية السودان ورخائه ، ورفعت مستوى التعليم والحضارة فى معظم نواحيه ، وجعلت من السودان اليوم ميدان تجارب واسعة وبحوث فنية وصناعية وزراعية وتجارية تأتى بأطيب الثمرات ،وحسبى أن أشير إلى نجاح حقول التجارب الجديدة فى أرض الجزيرة ، وإلى إدخال كثير من الصناعات ، كصناعة العقاقير والأخشاب ؛ وبالجملة ظهرت فى مناطق كبيرة نتائج هذه الرغبة الصادقة فى نشر أسباب الإصلاح .

وقد وجدت بفضل هذه الإدارة المشتركة التى تتمشى فى سياستها العامة مع مبادىء التعمير التى رسمها "محمد على ، وسعيد ، وإسماعيل" ، روح اجتماعية جديدة وبزغت روح وطنية مباركة فى النشء السودانى الحديث (تصفيق) .

ففى شباب السودان كما فى شباب مصر ذكاء ، ووداعة ، ودماثة خلق وأمل فى المستقبل وفى الله (تصفيق) .

ولم يكن يسعنا أمام تلك الروح التى يتوقد بها شباب السودان إلا أن نبارك تلك النهضة ، ونعلن اغتباطنا بها وتشجيعنا لها وحرصنا على حفز

همم ذلك الشباب إلى طلب المزيد والسعى إلى الكمال . لذلك أسسنا عدة جوائز سنوية تتشرف بالنسبة إلى صاحبي الجلالة الملك والملكة (تصفيق) وتبقى رمزاً حياً لاهتمام مصر بخير السودان وأهله .

هذا ، وقد أصبح السودان ميداناً واسعاً للتعاون الصادق بين مصر وبريطانيا ، وبين المصريين والسودانيين (تصفيق) لخير الشعب السودانى الكريم الذى نحبه ونرجو له كل إسعاد ؛ ويسرنى أن أحمل إليكم تحيات السودان وأهله ، كما حملت إليهم تحية الملك وتحياتكم . (تصفيق) وأن أعلن على الملإ أن السودان يتطلع إلى زيارات المصريين ويهتز لها ؛

وإذا كانت رحلتنا مع الزميلين الكريمين والطيارين المصريين الممتازين والصحفيين الكرام قد صادفها كثير من التوفيق . فإننا مدينون فى ذلك إلى حد كبير إلى ذلك الإدارى القدير ، صاحب المعالى الحاكم العام صديقى السير ستيوارت سايمز ، الذى لم يدخر وسيلة فى معاونتنا وتسهيل مهمتنا وإكرام وفادتنا ؛

وإنه ليسعدنى أن رحلتنا قد خلفت جواً صالحاً للعمل المنتج والتعاون الوثيق ، وأن أعلن أن رغبات السودان وأهله ستجد صدى فى أرجاء الوادى وفى قلب مصر الخافق . ومصر حاضرة كلما دعا داعى الأخوة والوطن " (تصفيق حاد) .

حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد راغب عطية بك وكيل المجلس :
" لاشك عندى فى أنى أعبر عن رأى المجلس ، إذا قلت : إننا نتقبل هذا البيان الجامع الشامل ، وتحية إخواننا السودانيين ، بالغبطة والبشر والسرور ، وإنه لمفخرة للحكومة الحاضرة أن يكون رئيسها أول رئيس

للحكومة يزور البلاد الشقيقة . هذه الزيارة التى ستكون لها ـ إن شاء الله ـ آثارها ونتائجها الطيبة ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة المليك أعزه الله "

(تصفيق حاد)

(مضبطة مجلس النواب فى يوم ١١ مارس سنة ١٩٤٠)

◎◎◎

الذين سافروا

تقررت الرحلة على الصورة التى أشرت إليها ، وتقرر أيضاً أن يكون المسافرون هم :

حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والخارجية .

حضرة صاحب المعالى محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع ، وحضرة صاحب المعالى عبد القوى أحمد بك (باشا الآن) وزير الأشغال .

◎◎◎

ورافقهم حضرات الأستاذ عبد الشافى اللبان سكرتير رفعة الرئيس . والصاغ عثمان خليل من قوة حرس الوزارات ، والصاغ عبد الحميد غالب ياور معالى وزير الدفاع ، واليوزباشى الدكتور أحمد الناقة طبيب الرحلة ، وكاتب هذه السطور ، وأوفدت جريدة الأهرام الغراء حضرة الأستاذ عبد الرحمن نصر مندوباً خاصاً عنها ، وشركة مصر للتمثيل والسينما حضرة المصور حسن مراد لتسجيل مناظر الرحلة بالسينما . وأوفدت جريدة البلاغ الغراء حضرة الأستاذ محمد عبد القادر حمزة مندوباً خاصاً عنها ، ولكنه سبق الركب إلى الخرطوم فى يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٤٠ .

وكان الطيارون المصريون الذين اشتركوا فى الرحلة بالتناوب هم حضرات الضباط : أحمد ناجى ، صالح محمود ، إسماعيل حق ، محمد إبراهيم أبو رابية ، محمود صدقى المليجى ، صلاح زكى ، محمود حسن مغربى ، سعيد توفيق الشال ، محمود شريح عبد الوهاب طلعت ، محمد بهجت مصطفى ، حسين كمال مهدلى ، كمال الدين حماد ، عبد المنعم عطا الله ، كمال خليل ، صالح كامل نجاتى ، محمد نبيه حشاد .

ولقد أدى المسافرون واجباتهم فى هذه الرحلة على أكمل صورة مشرفة ، وكانوا بمسلكهم وعواطفهم وتصرفاتهم الحميدة خير عنوان للكرامة المصرية ، وأكرم رسل للمودة والإخاء بين أبناء النيل ، فحازوا الحب والإعجاب ، واستحقوا الشرف الذى نالوه باشتراكهم فى هذه الزيارة الخالدة ، وفى رفقة هذا الرجل العطوف ، والوالد البر الرحيم ، صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" رجل مصر والسودان ، نصير الكفاءة ، وراعى النبوغ .

◎◎◎

برنامج الزيارات الرسمى :

يوم السبت ١٧ فبراير — القيام من مطار ألماظة ظهراً — المبيت بأسوان .

يوم الأحد ١٨ فبراير — القيام صباحا من مطار أسوان إلى وادى حلفا — ومنها إلى عطبرة — ثم إلى الخرطوم ، الغداء بسراى الحاكم العام — زيارة أم درمان — ثم العودة لتناول العشاء مع ألفى بك .

يوم الاثنين ١٩ فبراير — بدء الاستقبالات الرسمية للحاكم العام ثم المستشارين الثلاثة الإدارى والقضائى والمالى — ولكبار الموظفين

والأعيان ـ الغذاء على مائدة الحاكم العام ـ يرد الرئيس الزيارات فى المساء لصاحبي السعادة السيد على الميرغنى باشا والسيد عبد الرحمن المهدى باشا ـ العودة إلى السراى ـ حفلة الاستقبال الكبرى بسراى الحاكم العام .

يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير — زيارة المعاهد العلمية بالخرطوم ـ كلية غردون ـ الحقوق ـ الهندسة ـ الطب ـ كلية الأقباط ـ تفتيش الرى المصرى ـ الغذاء على مائدة مفتش الرى المصرى ـ حفلة النادى المصرى بالخرطوم ـ زيارات النوادى ـ حفلة عشاء بشكنة الكتيبة الثالثة للجيش المصرى بالخرطوم .

يوم الأربعاء ٢١ فبراير — زيارات بأم درمان للمتحف الخليفى ـ حفلة التجار ـ المعهد الدينى ـ ملجأ القرش ـ العودة إلى الخرطوم ـ الغرفة التجارية ـ دور القضاء ـ بعض المصالح الحكومية ـ المستشفى الأميرى ـ الغذاء على مائدة وكيل الرى بضاحية الشجرة ـ حفلة مؤتمر الخريجين بأم درمان ـ حفلة الشاى بنادى السودان بالخرطوم ـ العشاء الرسمى على مائدة الحاكم العام .

يوم الخميس ٢٢ فبراير — الإفطار بمنزل سعادة إبراهيم عامر باشا بأم درمان ـ زيارة متجر سعادته ـ العودة إلى الخرطوم ـ حفلة الغداء الكبرى التى يقيمها رفعة الرئيس بفندق (الجراند أوتيل) ـ زيارات الأحياء الوطنية بالخرطوم .

يوم الجمعة ٢٣ فبراير — السفر إلى الملاكال فى الصباح بالطائرات ـ النزول بكوستى للتزود بالوقود ـ الوصول إلى الملاكال ظهراً ـ الغداء بمنزل

مدير المديرية الجنوبية ـ السفر إلى الجنوب بالباخرتين (مصر ، ودارفور) .

يوم السبت ٢٤ فبراير — قضاء اليوم فى الرحلة النيلية ثم العودة إلى ملاكال .

يوم الأحد ٢٥ فبراير — العودة فى الفجر إلى ملاكال ـ القيام منها فوراً إلى الخرطوم بالطائرات ـ النزول فى كوستى للتزود بالوقود ـ الوصول إلى الخرطوم ظهراً ـ حفلة شاى من الغرفة التجارية ـ السفر فى منتصف الليل إلى واد مدنى بالقطار الخاص .

يوم الاثنين ٢٦ فبراير — الوصول إلى واد مدنى صباحا ثم القيام بسيارات إلى سنار ـ زيارة مشروعات رى الجزيرة ـ العودة مساء إلى الخرطوم بالقطار .

يوم الثلاثاء ٢٧ فبراير — الوصول بالقطار إلى ضاحية شجرة غردون ـ القيام بالباخرة فيوم إلى جبل الأولياء ـ زيارة الخزان ـ الغداء بالمستعمرة المصرية ـ الشاى على الباخرة فيوم فى الطريق إلى الخرطوم .

يوم الأربعاء ٢٨ فبراير — السفر بالطائرات إلى عطبرة ـ انتهاء زيارة الخرطوم ـ زيارة عطبرة ـ ورش السكة الحديد ـ النوادى ـ الغداء على مائدة مدير المديرية الشمالية بالدامر ـ السفر بالقطار الخاص إلى بورسودان قضاء الليل بالقطار .

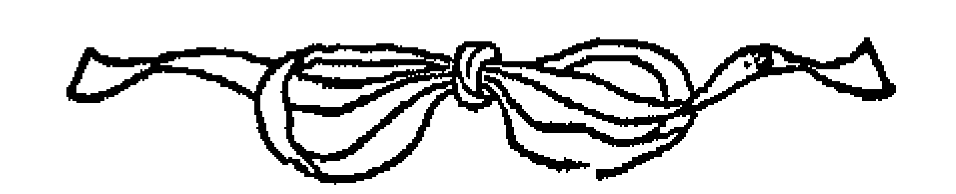
يوم الخميس ٢٩ فبراير — الوصول صباحاً إلى بورسودان . زيارة مصبغة عامر باشا لافتتاحها ـ الطواف بالمدينة ـ رحلة فى البحر الأحمر

لشهود جزيرة الأسماك ـ العودة إلى بورسودان ـ استقبالات بفندق البحر الأحمر ـ حفلة شاى يقيمها الجيش المصرى ـ العودة إلى القطار ـ القيام الساعة ٥ إلى عطبرة ـ قضاء الليل بالقطار .

يوم الجمعة ١ مارس — الوصول إلى عطبرة فى الصباح ـ القيام إلى وادى حلفا بالطائرات ـ الوصول إليها ظهراً ـ القيام منها بالباخرة إلى الدر ـ الوقوف أمام أدندان ، أبو سنبل ـ قضاء الليل بالباخرة .

يوم السبت ٢ مارس — قضاء اليوم بالباخرة ـ النزول بعنيبة ـ زيارات المركز ـ المدرسة ـ المستشفى ـ حفلة استقبال فى المدرسة ـ العودة إلى الباخرة ـ النزول بمالكى ، حفلة شاى فيها مساء ـ قضاء الليل بالباخرة .

يوم الأحد ٣ مارس — الوصول لأسوان ظهراً ـ القيام منها إلى أسيوط بالطائرات ـ القيام من أسيوط إلى مطار ألماظة بالطائرات ـ الوصول إليها فى نفس الليلة . انتهاء الرحلة .



من مذكراتى اليومية

بعد ماقدمت من فصول قد تصور للقارىء فكرة عن السودان وتوضح فى الأذهان حقيقة وطننا الأهلى ، أسجل وقائع الرحلة مفصلة فيما يلى :

اليوم الأول

السبت ١٧ فبراير — أصبحت القاهرة فى هذا اليوم تستعد لتوديع حضرة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" رئيس الوزراء وصاحبيه "معالى محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع — ومعالى عبدالقوى أحمد بك (باشا الآن) وزير الأشغال" فى رحلتهم إلى السودان ، واتخذ الاستعداد مظاهر عديدة شملت جميع الطبقات والهيئات الشعبية والرسمية وبكر رفعته بالحضور إلى رئاسة مجلس الوزراء فأشرف على تصريف شئون العمل .

الأستاذ الأكبر — واستقبل الرئيس فى مكتبه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر مودعاً وداعياً لرفعته بالتوفيق فى هذه الرحلة .

السفير البريطانى — وكان صاحب السعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطانى قد ترك بطاقته لرفعة الرئيس فى ديوان الرئاسة مودعاً فرد رفعته بإرسال بطاقته شاكراً .

وفد النادى السودانى — كما حضر إلى ديوان الرئاسة جمهور كبير من السودانيين المقيمين بمصر وأعضاء النادى السودانى. فأعربوا عن عواطفهم القلبية وتمنياتهم الطيبة فتقبل رفعته ذلك بالشكر والامتنان .

في مطار ألماظه

احتشد فى مطار ألماظه جمهور عظيم من مختلف الطبقات فى مقدمته عدد كبير من حضرات أصحاب المعالى والسعادة والفضيلة والعزة الوزراء وكبار رجال القصر الملكى والشيوخ والنواب ووكلاء الوزارات وكبار رجال القضاء الشرعى والأهلى وكبار الموظفين ووفود نادى السودان والشباب السودانيون وجمعيتهم الخيرية بالقاهرة وغيرهم من الأعيان والعظماء الذين قصدوا إلى المطار لتوديع الركب الميمون فى رحلته الموفقة المباركة إلى القطر الشقيق . وكان فى مقدمتهم حضرات أصحاب المجدالنبيل والمعالى والسعادة والفضيلة والعزة : عباس حليم ، وفؤاد أباظه باشا ، والمستر ماكنتوش وكيل حكومة السودان ، وعبد الوهاب طلعت باشا ، ومحمد السيد شاهين بك محافظ القاهرة ، واللواء رسل باشا ، وضباط سلاح الطيران ، وضباط الجيش وفى مقدمتهم اللواءات حسن حسنى الزيدى باشا ، ومحمد فتوح باشا ، ومحمد صادق باشا ، واللواء أحمد شريف باشا ، واللواء سوسو باشا ، وإبراهيم عامر باشا ، وعبد الرحمن فهمى بك والدكتور محمود ماهر بك ، وصمويل عطية بك مستشار وكالة السودان ، والأستاذ عبد الله عفيفى بك ، وكامل سليم بك ، ومحمد شعير بك ،

والأستاذ الشيخ حسنين مخلوف ، والأميرالاى سيد رمزى بك ، ومحمد يس بك ، وعبد الله أباظه بك ، ومحمد حيدر باشا ، والأميرالاى سليم زكى بك ، والأستاذ سعد اللبان ، والأستاذ محمد خطاب ، والأستاذ محمود عزمى بك ، وكثير من رجال الصحافة والأدب والسياسة .

وكان دوىّ الهتاف فى أرجاء المطار يتصاعد لعنان السماء بحياة المليك المفدى " فاروق الأول " مليك النيل وسيد الوادى ، وبحياة صاحب المقام الرفيع "على ماهر باشا" رجل مصر والسودان ونصير الفلاح والعامل ، وبحياة الوحدة المقدسة بين مصر والسودان ؛ وكان الهاتفون يرددون عبارات الدعاء والضراعة لله أن يحفظ المسافر وصاحبيه الكريمين . وظل الهتاف يعلو ويتردد كلما قدمت طائفة من المودعين ، والجميع يتحدثون عن الرحلة وما تجنيه البلاد منها وما لها من الأثر العميق فى تاريخ العلاقات بين شطرى النيل .

وصول الرئيس

وقبيل الساعة الثانية عشرة ظهراً وصلت السيارة المقلة لرفعة الرئيس يصحبه فيها الأستاذ محي الدين فهمى مدير مكتبه ، ونزل الرئيس مرتدياً بذلة رمادية ومعطفاً سميكا ، وبيده عصاه التى لاتفارقه ، ومشى بخطوات سريعة إلى الباب الموصل لساحة المطار الداخلية ، وعند ماأهلّ على الحاضرين اشتعلت حماستهم ، وتدفقوا حوله متنافسين فى التحية والتوديع ، واشتد الزحام وتكاثرت الجموع ، فتعذر على رفعته السير ، فأخذ بعض الشبان يفسح الطريق أمام رفعته بجهد ومشقة ، حتى وصل إلى الطائرة .



(الرئيس يصافح المودعين)

وفى خلال ذلك عرف المرافقون لرفعة الرئيس أماكنهم فى الطائرات وحملت الحقائب إلى الطائرات ودارت محركاتها تدوى بأزيزها القوى ، ومع ذلك كانت أصوات الهتاف والدعاء متغلبة قوية كالقلوب الطاهرة التى ترسلها خالصة لله والوطن ، وتكاثر مصورو الصحف حول الجمع الحاشد يسجلون هذه المظاهر التاريخية .

وفى الساعة الثانية عشر تماما اتجه الرئيس وصاحباه إلى الطائرة الموفقة فاستقلوها ، بين حماسة تفوق الوصف وهتافات تشق عنان السماء .

وأطل الرئيس على المودعين يرد التحية بكلتا يديه وقد بدا عليه التأثر الشديد ، ثم قال : " نرى وجوهكم فى خير إن شاء الله " فارتفعت الدعوات لله أن يحفظ رفعته وأن يرعاه فى الحل والترحال .

المسافرون فى الطائرات

ركب رفعة الرئيس وصاحباه الطائرة الموفقة وهى إحدى طائرات بنك مصر ذات أربع محركات قوية يقودها الطيار المعروف محمد صدقى . واستقل الأستاذ عبد الشافى اللبان سكرتير الرئيس والصاغ عثمان خليل من قوة حرس الوزارات والصاغ عبد الحميد غالب ياور معالى وزير الدفاع واليوزباشى الدكتور أحمد الناقة طبيب الرحلة طائرة من طراز « الانسوم » وركب مندوب شركة مصر للتمثيل والسينما طائرة من طراز « ليسندر » والأستاذ عبد الرحمن نصر مندوب الأهرام الخاص طائرة أخرى ، وركبت طائرة ثالثة من هذا الطراز أيضاً . بعد أن لبسنا الجهاز الخاص بمن يركبون فى مثل هذه الطائرات وهو نطاق من الجلد والأقمشة فوق الظهر وحول الصدر ووضعنا فى آذاننا قطعاً من القطن ، وعلمنا الضباط كيف نستعمل المظلة الواقية إذا حدث فى الجو طارىء خطير وكانت التعليمات واضحة فعرفناها ، وقلنا على بركة الله وفى ظل رعايته ما نمشى وما نقيم .

فوق السحاب

وأقفلت أبواب الطائرات واستقر المسافرون فى أماكنهم وصعدت أول طائرة إلى الجو من السرب الحربى لتكون فى مقدمة السرب وتبعتها " الموفقة " بهيكلها الأبيض الجميل تقل أمل مصر ومعقد الرجاء فيها ، ثم الطائرات الحربية " الست " بمن فيها من المسافرين ، وانطلق السرب يدرج على الأرض ثم يرتفع فيحلق فى الجو ، وودع الطيارون المكان بدورة

تقليدية حوله ، ثم أخذ السرب سمته إلى الجنوب ، إلى الشطر المكمل ، إلى الوطن الغالى ، إلى السودان العزيز ، فى رعاية الله القدير .

فى الطريق ...

ولأول مرة كان بعضنا يرى وادى النيل من ارتفاع الطائرات فوق هذه الأراضى الفسيحة ، فأخذنا نتسلى برؤية الأرض تبدو كأنها رقعة من الذهب الوهاج . فقد كان منظر الصحارى برمالها الغزيرة يبدو من السماء أخاذاً جميلا ، واتخذ الطيارون الحربيون طريقاً مختصراً مجتازين الصحراء الغربية للنيل توفيراً للوقت ، وكان الجو بارداً فتدثرنا بالمعاطف الثقيلة ، وكنا عن ارتفاع عشرة آلاف قدم عن سطح الأرض .

ومضت الدقائق متلاحقة ، وكلما نظرنا من نوافذ الطائرة خيل إلينا أننا نتحرك ببطء شديد ، بينما كانت السرعة تجاوز ١٨٠ كيلو متراً فى الساعة ، وبعد ساعتين وعشر دقائق حلقت الطائرات فوق مطار نزلنا فيه للتزود بالوقود ، وسألت الضابط الذى أرافقه أين نحن ؟ فقال " فى الأقصر " فحمدنا للعلم جهاده فى سبيل السرعة ، وكان عدد الطائرات التى نزلت بالأقصر خمس ، أما الثلاث الأخريات فقد كان فيها من الوقود ما يكفى لمواصلة السفر إلى أسوان .

الى أسوان

وبعد نصف ساعة انتهى العمال من تفريغ صفائح البنزين فى خزانات الطائرات ، وكان متوسط ما تأخذه الطائرة ٧٠ جالونا من البنزين ، وحلقنا فى الجو متجهين إلى أسوان ، وعند وصولنا إليها شاهدنا رتلا طويلا من

السيارات يغادر المطار فى طريقه إلى البلدة ، فهبطت الطائرات إلى ارتفاع قليل عن الأرض ، وقامت بتحية تقليدية للموكب الذى كان يقل رفعة الرئيس إلى فندق كاتاركت . وشاهدنا الجموع الحاشدة من الأهالى على جانبى الطريق تحيى الزائر العظيم فى حماسة ، ورجال قبيلة البشارية فوق ظهور الجمال والخيل يتسابقون ويرقصون . وأثارت النسور المصرية ببراعتها فى حركة التحية حماسة الحاضرين ، فكنا نراهم يشيرون إلينا ويصفقون فرحين .

قطعت الطائرات المقلة لرفعة الرئيس ومن معه الطريق من القاهرة إلى أسوان فى نحو أربع ساعات ، حيث وصلت إلى أسوان فى الساعة ٣ مساء طائرة الاستكشاف الأولى تتبعها "الموفقة" تقل رفعة الرئيس وصاحبيه .

الاستقبال فى المطار

وعند مارست "الموفقة" على أرض المطار بسلامة الله تهافت الحاضرون على جوانبها مصفقين فى ابتهاج وحماسة ، وارتفعت فى أرجاء المطار دعوات حارة لله أن يحفظ مليكنا الصالح "فاروق الأول" ويؤيد رجل مصر والسودان على ماهر باشا . واختلط دعاء الناس بتصفيق المستقبلين وبالتحية العسكرية التى أداها رجال الجيش والبوليس ، وفى موجة من الحماسة الطاغية ، نزل صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ومن معه إلى أرض المطار ، فأقبلت الجموع الحاشدة تتنافس على المصافحة والترحيب ، ورفعته يستقبل هذه العواطف النبيلة بتأثر شديد ، ويرد التحية برفع كلتا يديه إلى رأسه ، ويزيد شعور الحماسة فيفسح

الشبان من المستقبلين الطريق بجهد ومشقة حتى وصل رفعته إلى السرادق في مظاهرة تعجز القلم ويقصر عنها البيان .

الرئيس في سرادق البلدية

وكانت بلدية أسوان قد أعدت سرادقاً كبيراً على أرض المطار زينت جوانبه كما زينت الطريق الأعلام المصرية الخضراء ، واحتشد في السرادق نحو خمسة آلاف نسمة من أهالي مديرية أسوان ، وفي مقدمتهم حضرات إسماعيل بك الدروى مدير أسوان ، والأستاذ أحمد فهمي وكيل المديرية ، والشيخ المحترم منصور السلواوى ، والنائبان المحترمان صالح مشالى ومحمد شاهين حمزة ، وحضرات مفتش الري ، ومدير الخزان ووكيله ، وكبير مهندسي الطلمبات ، ورجال القضاء والجيش والنيابة والأطباء والمهندسون ورؤساء المصالح وأعيان البلاد والتجار والمزارعون والعمال والشبان .

وارتجت جوانب السرادق الفسيح بأصداء التصفيق والهتاف عند مادخل رفعة الرئيس ومن معه ، فأخذ رفعته يرد التحية حتى استقر به المقام في صدر السرادق . عند ذلك تقدم الأستاذ حسن عطية المحامى ، فألقى خطاباً حماسياً .

وقد قوطعت الخطبة بالهتافات المدوية للمليك المفدى ولمصر والسودان ولرفعة على ماهر باشا رجل القومية ورجل الجهاد . وبعد أن فرغ من كلمته صافحه رفعة الرئيس شاكراً .

في الطريق الى الفندق

واستقل رفعة الرئيس سيارة مكشوفة رافقه فيها حضرة صاحب

المعالى وزير الدفاع الوطنى، ثم تبعتهما سيارة تقل صاحب المعالى عبدالقوى أحمد باشا وزير الأشغال وصاحب العزة مدير أسوان، ثم توالت السيارات تقل الجماهير الحاشدة من الشيوخ والنواب والأعيان والتجار المستقبلين، فاجتاز الموكب الطريق إلى فندق كاتاركت وطوله ٩ كيلومتر، وألوف الخلائق على الجانبين تهتف وترحب، ثم تعذر المسير على الركب لفرط احتشاد الجماهير، فأمر رفعة الرئيس بتهدئة سير الموكب.

على الجمال والخيل

وتقدم الموكب عدد كبير من عربان البشارية يسابقون السيارات على ظهور الخيل والجمال، ويقومون بألعاب الفروسية الجميلة، ويطلقون النار من بنادقهم مظهرين بذلك عواطفهم نحو الضيف العظيم، وفى خلال الطريق كانت جموع مفرقة من عربان البشارية يدقون الطبول ويرقصون عليها، وشاركت النساء فى هذه المظاهر المؤثرة بالزغردة وبالدعاء.

الوصول الى الفندق

وفى وسط هذا الفيض الإلهى من الحب والإعزاز وصل الركب إلى فندق كاتاركت حيث نزل رفعة الرئيس ومرافقوه. واحتشدت فى الفندق وفود كثيرة من الأهالى يحملون رفعة الرئيس تحيتهم لإخوانهم أبناء النيل من سكان السودان، ويعربون عن خالص شعورهم نحو جلالة المليك المفدى، والدعاء للرئيس بالتوفيق فى كل خطواته المباركة لخير مصر والسودان متمنين له سفراً سعيداً وعوداً حميداً. فقابلهم رفعة الرئيس شاكراً لهم عواطفهم.

على مائدة الرئيس

وقد تناول طعام العشاء على مائدة رفعة الرئيس بالفندق حضرات صاحبي المعالى محمد صالح حرب باشا ، وعبد القوى أحمد باشا ، ومدير أسوان ، ووكيل المديرية . وحكمدار البوليس ، ومدير الخزان ، وقومندان قوة الجيش المرابطة بأسوان ، والقاضى الأهلى ، ومفتش الرى ، وسكرتير رفعة الرئيس ، وطبيب الرحلة ، وياور وزير الدفاع ، وضابط الحراسة ، ومندوب الأهرام ، ومصور السينما ، وكاتب هذه السطور .

حديث المائدة

وكان رفعة الرئيس منشرح الصدر مغتبطاً تبدو عليه مظاهر الصحة والعافية ، ودارت على المائدة أحاديث مختلفة بدأها رفعته مع الجالسين بلباقة ومجاملة ، وقد سأل رفعته قائلا : "مَنْ منْ إخواننا فى الرحلة لم يركب الطائرات فى أسفار طويلة كهذه ؟" فأخذ بعض الحاضرين يعددون المرات التى ركبوا فيها الطائرات فى الأسفار المختلفة . ثم انتقل الحديث إلى مهارة النسور المصريين التى تجلت فى هذه الرحلة المباركة ، فانتهز معالى وزير الدفاع الفرصة ، وأشاد بذكرهم ، وبما يرجوه لسلاح الطيران المصرى من مستقبل فى عهد جلالة المليك "فاروق الأول" قائد الجيش الأعلى ، وفى عهد وزيره الأول رفعة على ماهر باشا .

ثم أخذ رفعة الرئيس يناقش مدير خزان أسوان فى أمور تتعلق بهذه المؤسسة المصرية الخالدة ، ووجوه النفع منها ، وكانت مناقشة فنية ، غلبت فيها الأرقام ، وساهم فيها المهندس الأكبر معالى عبد القوى أحمد باشا بالقسط الأوفر طبعاً .

ليلة فى أسوان

انتهت السهرة وانصرف الحاضرون ، وقصد رفعة الرئيس إلى غرفته فعكف على الأوراق التى أعدت للعرض على رفعته ليقضى فيها بقراراته .

وقضينا الليلة فى فندق الكاتاركت متأهبين لاستئناف الرحلة فى الصباح الباكر .

شكر الرئيس لمودعيه

وكان للتوديع الذى شهده الرئيس بمطار ألماظه أثر عميق فى نفسه فوجه رفعته إلى من شاركوا فيه الشكر الجميل على صفحات الجرائد و نصه :

" على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء يقدم خالص الشكر إلى جميع حضرات الذين تفضلوا بالانتقال إلى مطار ألماظه لتوديعه أو أرسلوا البرقيات والرسائل حاملة جميل عواطفهم وكريم تمنياتهم بمناسبة سفره مع زميليه وزير الأشغال العمومية ووزير الدفاع الوطنى إلى السودان ، ويخص بالشكر حضرات الشيوخ والنواب والأعيان : المصريين والسودانيين والأجانب وكبار الضباط والموظفين الذين امتلأ بهم مطار ألماظة ، وأعربوا بتوافدهم لتوديعه عما تكنه قلوبهم من العواطف النبيلة والشعور الفياض .

ويسأل الله تعالى أن يرعى الرحلة بالتوفيق إلى مافيه خير القطرين "

من سمو الأمير الجليل
عمر طوسن باشا
الى صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا

وتلق رفعة الرئيس بالفندق سيولا من البرقيات الصادرة عن مختلف أنحاء القطر يعرب فيها مرسلوها من العظماء والكبراء والشيوخ والنواب وممثلى الطوائف المختلفة والطبقات المتعددة عن عواطفهم الكريمة وتمنياتهم الطيبة لرفعته بالتوفيق والنجاح وأولاها برقية من حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسن باشا نصها :

" فى الوقت الذى تزمعون فيه السفر إلى السودان لتوثيق العلائق المتينة بين القطرين الشقيقين وخدمة المصالح المشتركة نتمنى لكم غاية التوفيق فى هذه المهمة الكبيرة ونشيعكم وصحبكم بأطيب أمانينا راجين لكم رحلة موفقة سعيدة وعودة إلينا ناجحة حميدة . فعلى بركة الله وعلى الطائر الميمون فى رحلتكم وعودتكم "

عمر طوسن

فرد رفعته على سموه بالتلغراف الآتى وهو :

" تلقيت ببالغ الغبطة برقية سموكم الرقيقة وإنى إذ أتشرف بتقديم خالص الشكر وعظيم الامتنان على تمنياتكم الكريمة ليسرنى كل السرور أن أعرب لسموكم عما كان لعنايتكم العالية من أطيب الأثر فى نفسى ونفوس زملائى ، إذ جاءت قبيل رحيلنا إلى السودان طالع توفيق نرجو الله معه أن يديم مايجمع بين القطرين الشقيقين من أواصر الأخوة والمودة وأن يحفظ ذات سموكم فى عز وإقبال وعافية "

على ماهر

وبرقية من غبطة الأنبا يؤانس بطريرك الكرازة المرقسية نصها :

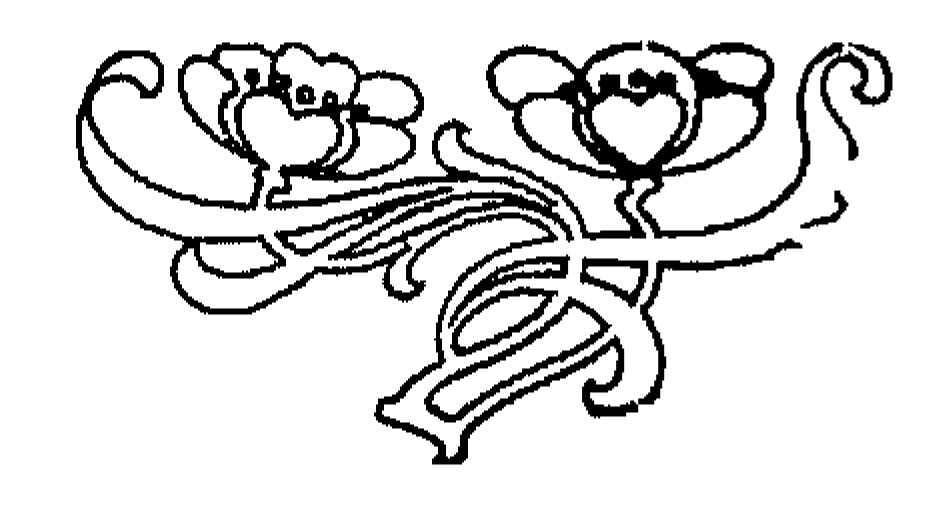
" بمناسبة رحلة رفعتكم الموفقة إن شاء الله إلى القطر الشقيق نرافقكم بالدعاء أن يبلغكم الله السلامة فى حلكم وترحالكم ، وأن يجعل هذه الرحلة فاتحة خير لمصر والسودان بحسن مساعيكم فى ظل جلالة الملك "

أنبا يؤانس

فرد عليه رفعته بما يلى :

" أشكر غبطتكم خالص الشكر على برقيتكم الرقيقة التى حملت إلى فى مناسبة السفر إلى القطر الشقيق ماتعودت منكم فى كل المناسبات من أصدق عواطف المودة الخالصة ، وإنى أنتهز الفرصة لأعبر عن عظيم امتنانى لكريم تمنياتكم راجياً أن أراكم بإذن الله بعد العودة على مانود لكم من كامل الصحة والرفاهية "

على ماهر



اليوم الثانى

من رفعة الرئيس

إلى

سعادة رئيس الديوان الملكى بالنيابة

(الخرطوم فى ١٨ فبراير — الساعة ٨ والدقيقة ٣٥ —) إلى حضرة صاحب السعادة عبد الوهاب طلعت باشا رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة :

" برحنا القاهرة ظهر أمس فى طريقنا إلى السودان فوصلنا أسوان الساعة السادسة والنصف حيث أمضينا الليلة بها ثم غادرناها فى الساعة السادسة والربع من صباح اليوم إلى وادى حلفا فوصلنا فى منتصف الساعة الثامنة ثم إلى العطبرة حيث وصلناها فى الساعة الحادية عشر إلا ربعاً ثم الخرطوم حيث وصلنا الساعة الواحدة والدقيقة العشرين واستقبلنا فيها جمهور حافل من ممثلى الهيئات الرسمية والأعيان وأفراد الشعب بين الهتاف بحياة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم والدعاء لذاته السامية ، وكان فى مقدمة المستقبلين حضرات السكرتيرين لحكومة السودان ، وقد نزلنا فى ضيافة الحاكم العام وطفنا بعد ظهر اليوم ببعض أحياء الخرطوم وأم درمان ، وكانت حفاوة الأهلين غير العادية تدعو إلى السرور والاغتباط ، ويتجلى فيها مايجمع القطرين الشقيقين من صادق عواطف المودة ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأرجو التقدم برفع ماتقدم إلى الأعتاب الملكية ، مشفوعاً بأصدق آيات ولائنا جميعاً إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم " م

على ماهر

الأحد ١٨ فبراير سنة ١٩٤٠ — كان حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا على اتصال دائم بالقصر الملكى بالقاهرة فى أيام الرحلة فيرسل تباعا البرقيات المفصلة تحمل أنباء الزيارات وتعرب عما يلاقيه رجل العرش الأمين فى الحفلات والتنقلات من عواطف الولاء نحو مصر والجالس على عرش مصر .

وكان المليك المفدى يغدق عطفه السامى على وزيره الأول فيرسل إليه الردود على برقياته موقعة باسمه المحبوب . تفيض بأبلغ آيات الرعاية والتقدير لهذا الرجل الذى يحمل أينما سار وكيفما اتجه مشعل الإخلاص الدافق والولاء القلبى لشبل فؤاد العظيم ؛ وأمل مصر ورجائها "فاروق الأول" حرسه الله وأعزه .

مغادرة أسوان

استيقظنا مبكرين نتأهب للسفر وكان الموعد المقرر له هو الساعة السادسة صباحاً ، فعند الرابعة تقريباً كنا قد ارتدينا ملابسنا وأقفلنا الحقائب ووقفنا فى ردهة الفندق نتناول الشاى وبعضنا يقول أمامنا وقت طويل فرفعة الرئيس لم يستيقظ بعد . وبينما نحن فى هذا الحديث إذ برفعته يدخل الردهة ممتلىء النفس نشاطاً وفتوة . قادماً من رياضته اليومية فقد استيقظ قبلنا ونزل مبكراً يطوف بالشاطىء الجميل المحيط بفندق كاتاركت ليستزيد جسده نشاطاً وقوة وسألنا الرئيس كيف قضينا الليلة وهل استرحنا فى نومنا ؟ وأخذ يداعب كلاًّ منا بكلمة لطيفة ، ونحن مأخوذون إعجاباً بهذا الرجل الذى كان آخر من نام وأول من صحا . وتحركت السيارات فى رتل طويل مخترقاً شوارع المدينة إلى المطار .

أسوان تحت أشعة الفجر

وإذا كنا قد عجبنا لنشاط الرئيس فقد اشتد عجبنا عند مارأينا الأهالى فى أسوان قد استيقظوا فى هذا البكور ووقفوا فى الشوارع يحيون الركب الميمون وهم يستضيئون بالمشاعل ، هذا الوفاء من بنى الوطن الكرام وهذا الحب الذى يبذلونه قوياً هو بلا شك ذلك الدافع الذى حفز رفعة على ماهر باشا للتبكير فى قيامه بل هو الذى يحرمه لذة النوم ويجافيه الرقاد ، فشعوره بعبء المسئولية الضخمة الملقاة على عاتقه يجعله مسهداً ، ويبقيه ساهراً وإن نامت عيون وغفت قلوب . .

ووصلنا إلى المطار فإذا فيه جمع حاشد من العظماء والأعيان وكبار الموظفين ورجال الجيش قاموا مع الفجر الطالع يسكبون إخلاصهم دافقاً حول رفعة الرئيس ، كما ترسل الشمس أشعتها المنيرة على الكون فتوقظ وتحيي .

هتاف ودعاء

فى هذا الوقت الهادىء الجميل وسحب الظلام يبددها ضوء الفجر الطالع ارتفعت هتافات المودعين وتصعدت دعواتهم خالصة لله من قلوب ملؤها الطمأنينة والوفاء ، ونفوس ملؤها النبل والرضاء ، أدت لله حق العبادة لله بالصلاة وتؤدى للوطن فريضة الحب لرجل الوطن . وكان هذا الهتاف المدوى وهذه الدعوات الصادقات تملأ القلوب رهبة وجلالا وتحرك فيها شواعر الإيمان العميق .

يا أهل أسوان لقد أديتم واجب الوفاء كاملا فلكم من الله الجزاء ،

ومن الوطن الثناء ، نفارقكم فى هذه الآونة الباكرة على أجنحة الطائرات مستقبلين وجه الله ، مسلمين النفس لبارىء النفس ، متجهين لوطننا الأعلى قياما بواجب التراحم نحو الأشقاء النائين . فنى ظل العناية الإلهية وفى ضمان الحافظ الرحيم ، سلام عليكم فى استقبالكم ، وسلام عليكم فى وداعكم وسلام عليكم فى الأبرار المخلصين .

فجران فى صباح واحد

هو يمن الطالع شاء أن يرحل رفعة الرئيس وصحبه إلى السودان فى هذه الآونة الندية كأنما يطلع على السودان اليوم فجران ، وتضىء بها شمسان ، تلك شمس الكون تضىء الأرجاء وترسل الحياة ، وهذه شمس العاطفة تغلغل فى صميم القلوب وتسرى أشعتها فى مسالك الدماء تلك للأبصار وهذه للبصائر ، تتعلق بالأولى حياة النفوس وتزيد الثانية فى حياة الإيمان .

أيها الأخوة الذين ينتظرون ... كيف نلقاكم بعد طول غياب .!!

وترقرقت فى العيون عبرتان عبرة التأثر بأسوان فى الوفاء ، وعبرة الحنين للسودان فى اللقاء ، وفى ظلهما كنا ساهمين فلم ندر كيف فارقنا المطار .!

الى وادى حلفا

وحلقت الطائرات بعد أن تغير نظام السير فتقدمت " الموفقة " وبجوارها إلى الجانبين الطائرتان الكبيرتان ، ركبت أحداهما مع مندوب الأهرام ومصور السينما ، وظلت الثانية تحمل ركابها الذين كانوا بها من مطار ألماظة وخلفنا إلى اليمين ثلاث طائرات وإلى اليسار ثلاث أخر ، وبهذا النظام اتجه الموكب الجوى البديع إلى أراضى السودان فاجتزنا بلاد النوبة مارين

بجنادل الشلالات فمنعرجات النيل تغمر أرض النوبة التي كانت آهلة بمن فيها قبل تعلية خزان أسوان ، فكنا نرى النخيل وأشجار الدوم ، وقد طفت أعاليها على سطح الماء ونرى الشاطىء الصخرى الرهيب الذى يحيط بالنيل فى هذه المنطقة ، ومضت ساعة وأربعون دقيقة وصلنا فيها إلى مطار وادى حلفا ، وكانت الارتفاعات تتراوح بين ثمانية آلاف قدم وعشرة آلاف ثم تهبط إلى أربعة آلاف أو خمسة تبعاً لحالات الجو وضماناً لراحة المسافرين .

وكانت الطائرات متصلة بالتلغراف اللاسلكى تتبادل الحديث ، وتتشاور فى شئون القيادة ، ويتولى ذلك الشبان المصريون المثقفون الذين يرافقون الطائرات لهذا الغرض فى الأسفار ، وشغلنا أنفسنا باستطلاع المناظر حولنا حتى وضح أمامنا مطار حلفا وميزنا دائرة واسعة فى وسطه كتب بداخلها كلمة (وادى حلفا) باللغة الإنكليزية بحروف بيضاء كبيرة . ورأينا من الجو جموع المنتظرين وهم يرمقون الموكب فى دورته حول المطار ، وهبطت الطائرات وسكنت محركاتها وفتحت أبوابها وخرج منها الراكبون فهرعت الجموع إلى "الموفقة" عند ماتبينت شخص رفعة الرئيس وهو ينزل منها مرتدياً معطفه وعلى عينيه منظار داكن ، فتقدم إلى رفعته الرجال الرسميون والإداريون وموظفو الجمرك والأعيان والتجار والشبان وهتف الأخيرون بحماسة منقطعة النظير بحياة مليك النيل وسيد الوادى ، وبحياة رجل مصر والسودان على ماهر باشا ، وفى خلال ذلك ارتفعت أصوات تهتف « مرحباً بالأخوة الأعزاء » « مرحباً برسل المودة والوفاء » وأقبل الحاضرون يتنافسون على المصافحة والترحيب ويحيطون به فرحين ملؤهم الشغف والحنين .



(الرئيس بين المستقبلين بوادى حلفا)

وقفنا نرقب هذا الشعور يتدفق من القلوب ونحن حيارى لاندرى ماذا نقول ؟.!

هؤلاء الشيوخ الأجلاء من كبار التجار والأعيان . هؤلاء الشبان الأقوياء من أبنائهم وأهالى الوادى . هؤلاء الرجال الأشداء من موظفى المطار والجرك وجنود الحراسة ورجال الجيش . هؤلاء نحن أيضاً .. ماذا دهانا جميعاً .؟! مالنا لانستطيع حبس الدموع .؟!

إنه هتاف وتصفيق ، كالذى نسمعه فى القاهرة لمليك النيل المحبوب للوحدة وللإخاء .. ولكن مالهذه العيون تنديها العبرات فى موقف الاستقبال والترحيب !!

هذا هو موقف الأخوة يلتقون بعد التنائى والأبناء يجتمعون بعد الشتات . .

لقد اختلطت فورة السرور بدمعة الحبور وهتاف اللقاء بصادق الدعاء ، وفى هذه اللجة العنيفة من المشاعر الطاهرة ، تقدم شيخ جليل وقور يشق الصفوف بقامته المديدة ، ويتوكأ على عصاه فيفسح له الشبان الطريق ، حتى يصل إلى رفعة الرئيس ، وإذا به كمن يتهيأ للحديث ، وأرهفنا السمع وملأ الرجل ناظريه من رفعة الرئيس ، ثم أشار إلى النسور المصرية حول الطائرات الحربية الرابضة على أرض المطار ثم تكلم ، استغفر الحق . . بل تحركت شفتاه وهو يقول « أول مرة . . أول مرة . . » واحتبست الألفاظ فى فمه وخنقته الدموع . . . وإذا به يحتوى الرئيس بين ذراعيه ويربت على كتفيه فى حنان ولهفة . . فكانت أبلغ خطبة . . وكانت أروع قصيدة .

واهتزت المشاعر وفاضت الحماسة فانطلقت الحناجر تهتف والأكف تصفق والعيون تدمع وعشنا لحظة هى العمر كله وفاءً وحباً ونقاء وطهراً . اليوم تلتقى مصر بالسودان فى رعاية الرحمن ؛ اليوم يباركنا الله الرحيم ، ويرضى الوطن العظيم ؛ اليوم يكتب فى سجل الخلود ميثاق المودة فلا ينفصم أبداً ؛ اليوم يخط التاريخ فى صفحات المجد لعلى ماهر باشا سطراً من النور لن ينمحى ذكره ولن ينطفىء نوره ، بل يبقى ما بقى النيل جاريا وموصولا . . هذا هو يوم لله وللوطن . . فاجعله اللهم « عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك » وأنت خير الحافظين .

فى استراحة المطار

وكان المعروف أن رفعة الرئيس وصحبه سيمرون بهذه البلدة لتتزود الطائرات بالوقود ثم تواصل السير . وعلى الرغم من ذلك فقد كان عدد الحاضرين كبيراً تجشموا مشقة الانتقال من المدينة إلى المطار الذى يبعد عنها بنحو عشرين كيلو متراً ، واشترك فى إعداد مأدبة للإفطار رجال الإدارة مع رجال الجمرك والمطار فتناولنا الشاى والفطائر والفاكهة ، واستراح الرئيس قليلا حيث قدمت إليه طوائف المستقبلين فصافحهم شاكراً وحياهم باسماً ، وكان فيهم مفتش مديرية الشمال ومأمورها وكبار ضباط البوليس الإنجليز وموظفو المطار والجمرك وعمدة وادى حلفا الشيخ حسن داود وسر تجارها وكبار أعيانها ، وقد كان الرئيس يتبسط فى الحديث معهم ويلاطفهم وهم ملتفون حوله فرحين مغتبطين .

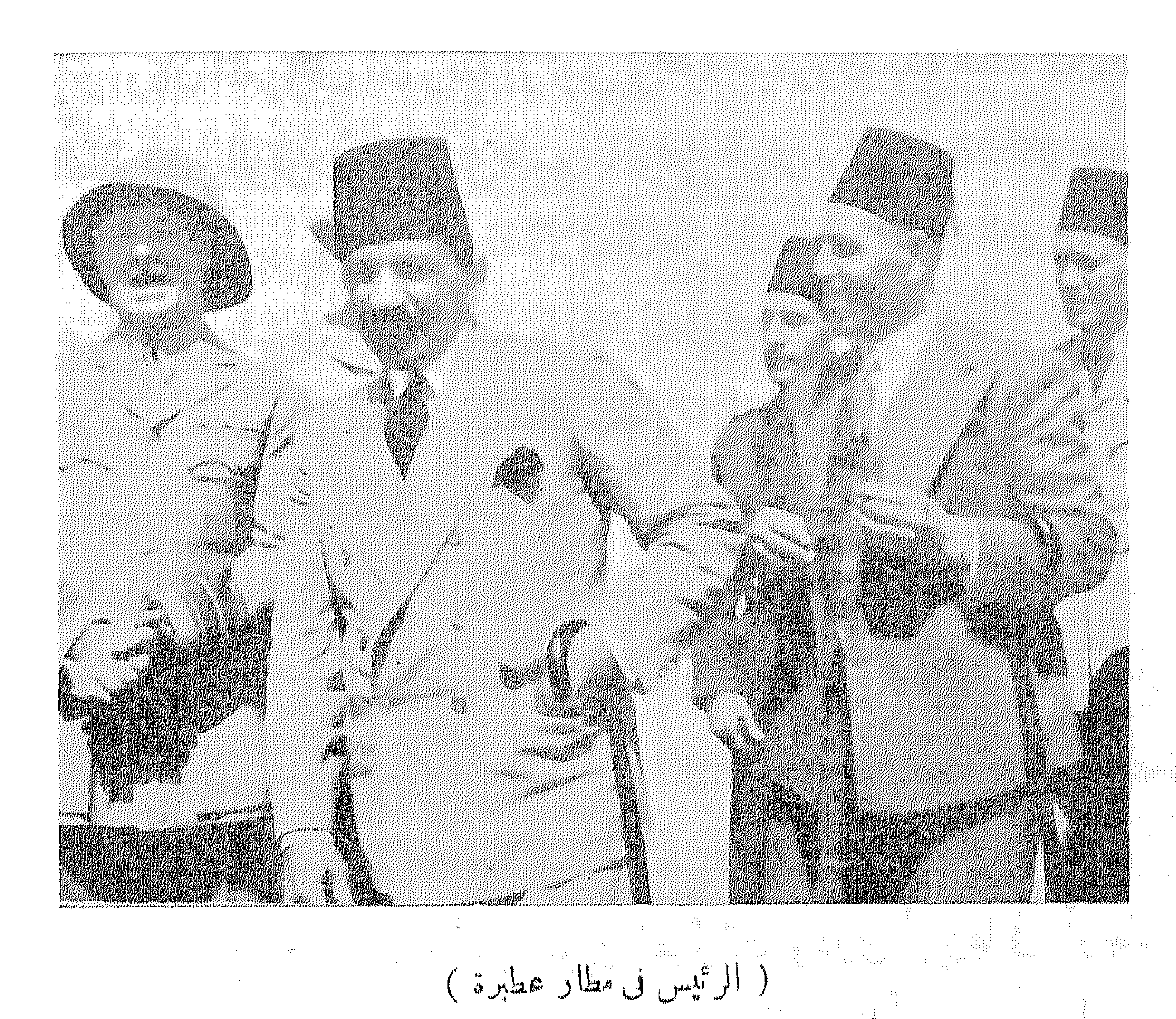
وانتهى عمال المطار من تموين الطائرات ودوى أزيزها فى أرجاء المطار وتجددت حماسة المستقبلين ودوى هتافهم عالياً ورددوا الدعاء " فى رعاية الله . . . فى أمان الله "

وفى هذه المظاهرة الجليلة المؤثرة استقل رفعة الرئيس وصحبه الطائرات بعد أن صافح المودعين .

الى عطبرة

غادر الركب مطار وادى حلفا مشيعاً بالدعوات الطاهرات ملحوظاً بعناية الله متجهاً إلى الجنوب فى الطريق إلى الخرطوم ، وكان المقرر أن تتزود الطائرات مرة أخرى فى عطبرة ، وطبقاً لهذا البرنامج نزلت الطائرات

فى مطار هذه البلدة . وكان قد قيل للناس إنها فترة قصيرة سيمكثها الرئيس



(الرئيس فى مطار عطبرة)

وصحبه بالمطار . وأن يوم عطبرة فى البرنامج الرسمى سيكون بعد ذلك ، فكان المستقبلون جناب مدير المديرية الشمالية ووكيله ، ومفتش المديرية ، وثلاثة من كبار الضباط الإنكليز ، ومأمور عطبرة محمد الأمين أفندى ، وعمدتها الشيخ منصور السفلاوى ونجله ، ورئيس النادى المصرى بالمدينة جورج أفندى عبد النور .

ونزل الرئيس فصافح المستقبلين وقدمهم المدير إلى رفعته واحداً فواحداً ، ورحب المدير برفعة الرئيس وأعرب له عن تمنياته القلبية بالصحة والعافية فى رحلته وفى عودته ، وعرف أن الوقت الذى تحتاج إليه الطائرات يزيد على ساعة لتبرد محركاتها إثر الرحلة من أسوان إلى حلفا

فالعطبرة وهى مسافة أربع ساعات تقريباً ، فأبدى رفعة الرئيس رغبته فى أن يطوف بالمدينة طوافا عاجلا .

طواف سريع

فأعدت السيارات لتقل رفعته والوزيرين ومرافقيهم وكان على أبواب المطار بعيداً عنا بعض الشبان يركبون الدراجات فتسقطوا نبأ هذا العزم وأسرعوا يحملونه إلى البلدة على مسيرة ربع ساعة من المطار ، وسرى النبأ المفاجىء فى الناس ، فأخذوا يهرعون إلى الشوارع التى يمكن أن يسلكها الركب فى زيارته ، ولكن الركب اتجه إلى الحى الأفرنكى فى البلدة حيث تقع مساكن الضباط والموظفين الإنكليز والنادى الخاص بهم ، وبقى الأهالى داخل البلدة فى الحى الوطنى يهرعون من شارع إلى شارع ويسألون كل قادم عن الطريق الذى اتخذه الموكب .

وكانت سيارة الصحفيين ، وكنت فيها ، قد تأخرت عن سيارة الرئيس وانحرفت عن طريق الحى الأفرنكى إلى الحى الوطنى فالتف حولها الأهلون يصفقون ويهتفون لملك النيل وسيد الوادى "فاروق الأول" ولعلى ماهر باشا ـ رجل الساعة ـ وبطل مصر والسودان ونحن نتقبل التحية لنحملها إلى رفعة الرئيس .

ولم نعلم بالمكان الذى اتجهت إليه سيارة رفعته إلا متأخرين ، فقصدنا إليه حيث كان بالنادى الإنكليزى ، وقدمت إلى رفعته المرطبات من الليمون وعصير البرتقال .

وأزف موعد قيام الطائرات فعاد الرئيس وصحبه إلى المطار ،

وفى الطريق شاهدوا الأهالى يتسابقون فى العدو ليلاحقوا السيارات هاتفين مصفقين .

ولما كان الوقت ضيقاً فقد كانت السيارات التى يقودها جنود البوليس تسير على أقصى سرعة لتصل فى الميعاد المقرر مخترقة الشوارع الخارجية للمدينة حيث هى أكثر اتساعا وأقصر بعداً عن المطار .

القيام للخرطوم « مفاجأة .. ولكن الله سلم »

واتخذ الرئيس وصحبه أماكنهم فى الطائرات ودارت المحركات جميعها وأعطيت الإشارة بالقيام فتتابع تحليق الطائرات واحدة إثر أخرى ، وجاء الدور على طائرتنا (الانسوم) ذات المحركين القويين ، فاذا بمحركها الأيسر يكف عن الحركة شيئاً فشيئاً ثم يقف . ؟ ! ونظرنا فاذا بالطائرات قد غادرت المطار والرجال الرسميين قد عادوا إلى المدينة . ونزل الميكانيكى والضابطان القائدان يبحثون علة التعطيل، فعرفوه وتفقدوا حقيبة الآلات الخاصة بالإصلاح . فاذا بها فى جوف طائرة من السرب الذى يحلق فى السماء . ! ؟ ومكثنا بين اليأس والرجاء . والدقائق تمضى تلاحقها الساعات والعامل الميكانيكى يجاهد ويستنفد الطاقة فى الإصلاح . والمحرك يهتز دورتين أو ثلاثا ثم يسكن هادئاً فى إغفاءة الطرف الناعس الوديع . ؟ ! وعيوننا معلقة وأنفاسنا محتبسة تتابع يد العامل كما يرمق الأهل مريضاً عزيزاً بين يدى جراح . ! !

وهز الشاب رأسه ومط شفتيه وقال "مفيش فائدة" وقلنا "الأمر لله"

وجلسنا فى ظل جناح الطائرة نستروح النسمات من قيظ الصحراء المحرق وأحدق بنا عمال المطار يواسوننا ويؤنسوننا بعذب الحديث ،

ويقصون علينا حوادث الضباع التى فتكت بالتائهين فى الصحارى . . ؟ !

وتلفت صديقنا مصور السينما حوله ثم وضع يديه فى خاصرتيه وهو يؤكد أنه يلقى الأسود بماكينة التصوير كمن يلقى العدو ومعه مدفع سريع الطلقات . ؟ ! ومضى يعدد البراهين على شجاعته ونحن مفتونون إعجاباً بالبطل الصنديد ، وتحركت على كتفيه حشرة صغيرة تشبه الجعران وأحس دبيبها الهين الرفيق وفتشنا عن صاحبنا ، فاذا به يسابق الريح وأدركناه قبل أن يصل إلى الخرطوم على الأقدام . .

وسألناه فيم هذا . ؟ ! فقال "أمركم عجب . . . هل ترون معى ماكينة التصوير .؟!" وكان سِرّ المصور فى ماكينته كسرّ شمشون فى شعره سواء بسواء ؟ وأقبل الطيار الباسل ناجى يهوّن على صاحبنا الأمر بأن لطف الله قضى بهذه الوقفة فى المحرك ونحن على الأرض . وابتلع الأخ ريقه وتحسس جسده فوجده سليما فحمد الله ونذر صلاة شكر يؤديها لله يوم يعود إلى الأستوديو بالقاهرة ، ولعله لاينسى النذر وقد ذكّرناه . وطال الانتظار وافترشنا الحصباء نندب حظنا فى هذا التعطيل فيقول الأستاذ عبد الرحمن نصر ، بلغة الصحافة "لقد ضاع منا استقبال الخرطوم ." ويقول المصور "ليت الأمر كذلك . . . ولكن الداهية فى حقيبة «الأفلام» شرائط التصوير إنها ستفسد من حرارة الجو فى الطائرات" ويشد الشعرات الباقيات فى رأسه ويخنق عنقه بيده حسرة ويذهب إلى محرك الطائرة يدور به كمن يلتمس النجدة . والطيارون يأسفون على عدم مرافقتهم لزملائهم فى هذه المرحلة من السفر . . وكل يغنى على ليلاه .!؟

وكنا بين حالين إما أن نقضى ليلتنا بالعطبرة حيث نستقل الطائرات

التى عادت من الخرطوم لنجدتنا أو نسافر فى نفس اليوم بالقطار . وعلم المأمور والعمدة ورئيس النادي المصرى بما حدث فخفوا إلى المطار سراعاً واستضافونا فى منزل المأمور وأكرموا وفادتنا وتجلت عواطف الأخوة والتراحم بين أبناء النيل وتنافس الجميع على الترحيب والحفاوة بنا ، وتناولنا الغداء عند الغروب بمنزل المأمور ، وأعدوا لنا العشاء وعرفنا أن القطار الوحيد الذى يغادر العطبرة فى المساء هو قطار بضاعة وأظهرنا رغبتنا فى السفر فأعدت لنا الترتيبات لإلحاق عربة نوم فاخرة بالقطار على حساب الحكومة السودانية ، ركبناها فى الساعة الثامنة مساء مودعين من إخواننا بالحماسة ومزودين بأمانة التحية لرفعة الرئيس ، ومضى القطار يطوى الأرض بسرعة ٣٥ كيلومتراً فى الساعة حتى وصلنا إلى الخرطوم فى الصباح . وكان من لطيف الدعابات ماحدث فى القطار من سؤالنا للفراش الذى كان فى عربة النوم عن سرعة القطار فقال : " نعم إنه أكسبريس . ؟! "

استقبال الخرطوم

كان من حسن الحظ أن الأستاذ محمد عبد القادر حمزة قد سبقنا من القاهرة إلى الخرطوم على الطائرة المائية التابعة لشركة الطيران الإنكليزية ، فكان فى استقبال القادمين بالخرطوم فعوض علينا النقص ولم تذهب الفرصة ، فقد كتب عن هذا الاستقبال فى البلاغ الأغر فقال : " اصطف جنود بوليس الخرطوم على طريق الموكب من المطار فى شرق المدينة إلى قصر الحاكم العام واصطف معهم جانب من القوة المصرية المعسكرة فى السودان فبدوا بملابسهم «الكاكية» وطرابيشهم الحمر وقاماتهم المديدة

ومعهم بعض ضباطهم . وبدأ توافد الأهالى منذ الساعة الحادية عشرة واتخذ رجال الأمن الاستعدادات لهذه الزيارة وأشرف على هذه الاستعدادات مستر فنى مدير الأمن العام ومستر ادجارد عطية مساعده . واحتشد أعضاء الجالية المصرية فى جانب من المطار لتحية القادمين ووقف حرس الشرف المصرى إلى يمين المطار ومعهم بعض ضباط الجيش . وفى نحو الساعة الثانية عشرة فتشهم صاحب العزة الأميرالاى أحمد ناشد بك أركان حرب القوات المصرية فى السودان وكان صاحب العزة محمد الألفى بك مفتش الرى المصرى دائم الاتصال بمدينة عطبرة لمعرفة موعد الوصول بالضبط ، وقيل إن الطائرات الثمان وصلت فى نحو الساعة الحادية عشرة ثم غادرتها سبع طائرات فقط ، أما الثامنة فحدث فيها عطل عاقها عن متابعة الرحلة ، وأن موعد الوصول إلى مطار الخرطوم هو الساعة الواحدة ، فقصد الألفى بك إلى المطار فى منتصف الساعة الواحدة ، ووصل على أثره السكرتيرون الثلاثة وهم مستر تيوبولد السكرتير الإدارى ومستر جورمان السكرتير القضائى ومستر راجمان السكرتير المالى ثم العميد محمود فهمى السكرتير الحربى لحاكم السودان ومعه مستر ليذر الياور الإنجليزى وفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضى قضاة السودان والفريق بلات باشا قائد قوات الدفاع السودانية ومفتش البوليس وغيرهم من كبار الموظفين .

وفى نحو الساعة الواحدة ودقيقة ظهرت فى الجو إحدى الطائرات القادمة وهى طائرة حربية فلم تلبث أن هبطت إلى أرض المطار بعد أن دارت دورة قصيرة وهبط منها الأستاذ عبد الشافى اللبان مدير مكتب

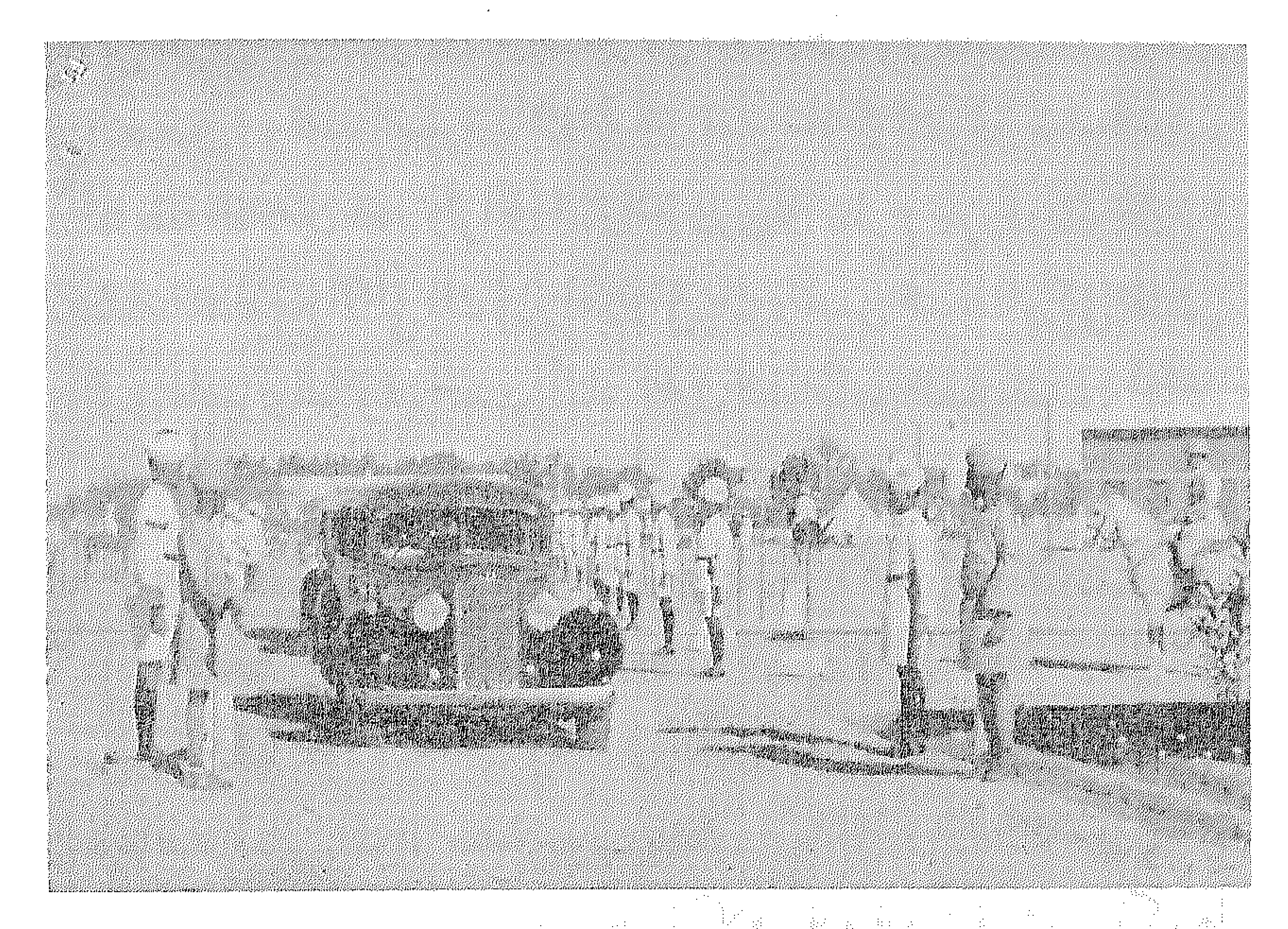
رفعة رئيس الوزراء والعميد الثانى عبد الحميد غالب أفندى ياور معالى وزير الدفاع والنقيب الدكتور أحمد الناقة الطبيب الذى صحب معالى صالح حرب باشا للعناية بصحته أثناء رحلة السودان ولإتمام علاجه من المرض الذى كان قد انتابه فى مصر ولمباشرة الحالة الصحية لأعضاء الرحلة، ثم الصاغ عثمان أفندى خليل من ضباط حرس الوزارات، وبعد دقيقتين ظهرت الطائرة "الموفقة" فى الجو ثم دارت حول المطار وهبطت إلى أرضه وما نزل رفعة رئيس الوزراء وصاحباه حتى عزفت موسيقى الجيش المصرى سلام "لواء" فوقف الجميع وبعد عزفه صافح رفعة الرئيس أركان حرب القوات المصرية والياور المصرى والياور الإنكليزى، كما صافحوا صاحبي المعالى محمد صالح حرب باشا وعبد القوى أحمد باشا، وعرض رفعة على ماهر باشا، حرس الشرف المصرى، ثم تقدم إليه وإلى صاحبيه ضباط القوات المصرية وصافحهم وتولى الأميرالاى أحمد ناشد بك تقديمهم إليه، ثم صافح الضيوف السكرتيرين الثلاثة وقاضى القضاة والفريق بلات باشا، وقد تولى تقديمهم العميد محمود فهمى على، وفى أثناء ذلك هبطت الطائرات الحربية الخمس فى المطار، وبعد ذلك وقف رفعة الرئيس وصاحبا المعالى وزير الدفاع والأشغال قليلا وتحدثوا مع كبار المستقبلين، ثم دعاهم الضابط ليذر لركوب السيارة والذهاب إلى قصر الحاكم فركب رفعة الرئيس السيارة وركب الوزيران السيارة الثانية وهما سيارتان حمراوان بإطارات بيض، وركب بقية القادمين والمستقبلين سيارات أخرى، وعند ذلك هتف أعضاء الجالية المصرية بحياة حضرة صاحب الجلالة الملك "فاروق الأول" وحياة رفعة رئيس الوزراء وصاحبي المعالى وزيرى

الدفاع والأشغال فرد الثلاثة هذه التحية برفع الأيدى ، وسار الجميع فى رتل طويل من السيارات بين صفين من الجنود فكانوا يقابلون من الأهالى بالتصفيق ، وقصد الضيوف الثلاثة إلى قصر الحاكم لتناول طعام الغداء ، أما بقية القادمين فقد نزلوا فى استراحة الرى فى شارع جوردون وتناولوا طعام الغداء مع الألفى بك وإبراهيم زكى بك وحسن محمد بك وكيلى تفتيش الرى المصرى ، وقد سمعت أثناء تناول الطعام من الطيار صدقى أفندى قائد طائرة رفعة رئيس الوزراء أنه اضطر عند قدومه من العطبرة إلى الخرطوم إلى التحليق على ارتفاع قدره عشرة آلاف قدم لتفادى المواقع ذات الضغط الخفيف أو (المسطحات الهوائية) التى تسقط منها الطائرة سقوطاً فجائياً عموديا ، وذلك مبالغة فى راحة رفعة رئيس الوزراء وصاحبيه ، وخاصة معالى اللواء صالح حرب باشا ، أما طائرة الأستاذ عبد الشافى ومرافقيه فقد حلقت على ارتفاع خمسة آلاف قدم فقط وقد شعر راكبوها بهذه المساقط الهوائية وتأثروا بها تأثيراً خفيفاً ، ولكنه زال بسرعة " .

فى أم درمان

وفى الساعة الخامسة مساء قصد صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وصاحبا المعالى اللواء حرب باشا وعبد القوى أحمد بك إلى أم درمان العاصمة القديمة وهى لا تبعد عن الخرطوم بأكثر من نصف ساعة بالسيارة وكان الغرض من هذه الزيارة هو المرور والمشاهدة فقط ، لأن الزيارة التفصيلية لها ستكون فى فرصة أخرى ، وقد مر الضيوف الثلاثة ببعض شوارع المدينة المهمة وخاصة حى التجار ومسجد التعايشى الكبير ، فقوبلوا أثناء مرورهم بحفاوة كبيرة وبهتافات عالية لصاحب الجلالة الملك "فاروق الأول"

ورفعة رئيس الوزراء وصاحبيه ، وقد اصطف على جانبي الطريق جنود



(موكب الرئيس فى عودته من أم درمان)

البوليس بملابسهم البيض الزاهية ثم تناول الضيوف الثلاثة الشاى عند مدير الخرطوم وعادوا فى نحو الساعة السابعة مساء مودعين من أم درمان أحسن وداع .

فى دار الألفى بك

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء أقام صاحب العزة محمد الألفى بك المفتش العام للرى المصرى فى السودان حفلة عشاء فى داره بشارع كتشنر باشا تكريماً للضيوف الثلاثة دعا إليها خمسة وأربعين مدعواً فى مقدمتهم مستر راجمان السكرتير المالى ومستر جورمان السكرتير القضائى ومستر تيوبولد السكرتير الإدارى والسيد عبد الرحمن المهدى باشا ومستر برت فيش وزير أمريكا المفوض فى مصر الذى يقيم الآن فى السودان ، لأنه داخل فى اختصاصه

الدبلوماسى ، وصاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضى قضاة السودان والأميرالاى أحمد ناشد بك أركان حرب القوات المصرية فى السودان ومستر فنى مدير الأمن العام والأستاذان إبراهيم زكى وحسن محمد وكيلا التفتيش المصرى والسيدة قرينة الأول ومستر روزفيل مدير التعليم والعميد محمود فهمى على والسيدة قرينته والبكباشى ليزر والأستاذ عبد الشافى اللبان والعميد الثانى عبد الحميد غالب والصاغ عثمان خليل وكاتب هذه السطور . وقد جلس رفعة رئيس الوزراء إلى المائدة وإلى يمينه مستر راجمان ثم صالح حرب باشا والسيد عبد الرحمن المهدى باشا وإلى يساره مسز سينون ومستر برت فيش وأمامهم عبد القوى أحمد بك ، وبعد تناول الطعام فى الشرفة العليا الخارجية تناول الجميع القهوة . وكانت فرقة موسيقى الجيش تعزف بأنغامها الشجية فى حديقة الدار بألحان مصرية وسودانية . وفى النهاية عزف السلام الملكى المصرى ثم البريطانى فوقف الجميع إجلالا واحتراما . ثم جلس المدعوون فى ردهات الدار وغرفه يتحدثون الحديث الودى إلى نحو الساعة الحادية عشرة ثم صافح رفعة على ماهر باشا وصاحباه جميع المدعوين وانصرفوا مودعين أحسن وداع ؛ وغادر المدعوون الدار شاكرين للألفى بك كرمه وحسن وفادته . ويجب أن أذكر هنا أن السيدة المصرية بدت فى هذه الحفلة بمظهر شرقى يدعو إلى الفخر فقد حملت السيدة الفاضلة قرينة الأستاذ إبراهيم زكى عبء ترتيب الحفلة واختارت المكان الموافق لها وألوان الطعام ثم أشرفت على الاستقبال ، فكان عملها محل الإعجاب من غير شك . وقد اشتركت فى الحفلة هى والسيدة قرينة العميد محمود فهمى على وسيدة أخرى هى قرينة أحد مفتشى الرى المصرى فمثلن المرأة المصرية خير تمثيل . وبذلك انتهى اليوم .

اليوم الثالث

برقية ملكية

القاهرة فى ١٩ فبراير — الساعة الواحدة والدقيقة ٥٥ بعدالظهر

إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء بالخرطوم

اطلعنا على برقيتكم فكان لما قوبلتم به من حفاوة وتكريم اقترنا بمظاهر الولاء لنا سواء من الهيئات الرسمية فى السودان أو من جموع أعيان شعبه وأفراده أحسن الأثر لدينا ، وإنى إذ أبعث إليكم وإلى صاحبيكم بتحياتى يسرنى أن تبلغوا سعادة الحاكم العام وكل من ذكرتم تحياتنا وجميل شكرنا مع أطيب تمنياتنا لهناءة السودان ورفاهة أهله الذين تربطنا بهم روابط لاتنفصم عراها .

فاروق

الاثنين ١٩ فبراير سنة ١٩٤٠ — وصلنا إلى الخرطوم الساعة السادسة صباحاً بعد أن قضينا ليلتنا بالقطار ، فكان فى انتظارنا على إفريز المحطة ضابط بوليس وناظر المحطة وموظفوها ، وتبادلنا التحية مع المنتظرين ، وحملت حقائبنا إلى السيارتين اللتين أعدتا لركوبنا ، وانطلقنا فى شوارع الخرطوم الجميلة ، حتى وصلنا إلى استراحة الرى رقم ٦ التى نزل بها إخواننا المرافقون لرفعة الزعيم فأيقظناهم وجلسوا يقصون علينا ماشهدوه أمس فى استقبال الخرطوم ونحدثهم بما كان من أمرنا فى عطبرة .

وعلمنا أن رفعة الرئيس حفظه الله لم ينم حتى عرف ماأعد من التدابير لوصولنا إلى الخرطوم وأن معالى وزير الدفاع أصدر أمره بقيام طائرتين إلى العطبرة واحدة لتقلنا وأخرى للاحتياط . كما كان سكرتير رفعة الرئيس على اتصال تليفونى بالمسئولين فى عطبرة يستفسر عن أمرنا ويقف على تفاصيله وينقلها أولا فأولا لمسامع رفعة الرئيس . فكانت هذه العناية وهذا العطف من بواعث الرضا والعزاء لنا . وضاعفت منا شعور الحب والإعزاز لهذا الرجل الذى تشغله الجلى من الشئون . ثم يعنى بكل ماحوله وبمن معه ، شأن الراعى العطوف والوالد الحنون .

الاقامة بالخرطوم

رتبت الإقامة فى الخرطوم على النظام التالى :

فى سراى الحاكم العام — خصص جناحان كبيران بهذه السراى لإقامة رفعة الرئيس وصاحبيه الكريمين . ووضعت تحت إمرتهم ثلاث سيارات حمراء اللون من سيارات معالى الحاكم العام ، وكان يقود كل سيارة أحد رجال الحرس بملابسه الرسمية .

أما البعثة المرافقة لرفعة الزعيم فقد وزعت على الأماكن التالية :—

استراحة الرى رقم ٦ : تقع هذه الاستراحة فى شارع غردون باشا وهى مؤلفة من طابقين تحيط بها حديقة غناء وبها ست غرف مجهزة بأسباب الراحة وثلاث حمامات وعدة دورات للمياه وبها تليفون ولها طاهٍ مقيم وخادم وخفير ، وبكل غرفة مروحة كبيرة تدار بالتيار الكهربائى ،

وغرفة المائدة فسيحة وأدواتها جميلة ومنقوش عليها اسم (الرى المصرى) وقد أقام بها حضرات : الدكتور اليوزباشى أحمد الناقة طبيب الرحلة والأستاذ عبد الرحمن نصر مندوب الأهرام والأستاذ محمد عبد القادر حمزة مندوب البلاغ ومندوب شركة مصر للسينما وكاتب هذه السطور ، وخصصت لنا ثلاث سيارات .

في بيت الرى المصرى : يطلق هذا على سراى المفتش العام للرى المصرى وهى قصر مشيد على النيل مؤلف من طابقين فسيحين على الطراز الحديث تحيط به حديقة فسيحة منسقة تشهد بسلامة الذوق وأثاثها شرقى وأكثره من المنتجات المصرية أو السودانية وهو المقر الرسمى لمفتش عموم الرى بالسودان وكان يقيم بهذا القصر حضرة صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا عند ما كان يشغل هذا المنصب ويقيم به اليوم حضرة صاحب العزة محمد على الألفى بك المفتش العام للرى بالسودان . وقد نقل عزته إلى الديوان العام فى القاهرة أخيراً .

وقد نزل بهذا المكان حضرات الأستاذ عبد الشافى اللبان سكرتير رفعة الرئيس والصاغ عثمان خليل ضابط الحراسة والصاغ عبد الحميد غالب ياور معالى وزير الدفاع ، وخصصت لهم سيارتان للانتقالات .

في استراحة الشجرة : والشجرة علم على ضاحية جميلة تقع على مسيرة ربع ساعة من الخرطوم إلى الجنوب وهى على مقربة من شاطىء النيل وبها مساكن موظفى الرى ومكاتبهم وهى منشأة على طراز جميل أشبه بأبنية الاسماعيلية أو المعادى ويقيم بها نحو ٦٥٠ نسمة من موظفى

الرى المصرى و تضاء الشوارع والمنازل بالتيار الكهربائى الذى يصل إليها من الخرطوم ، كما أن الحاجيات اليومية تصل إليها من المدينة ، وسميت الضاحية باسم الشجرة نسبة إلى شجرة ضخمة ذات عهد قديم كانت تروى حولها أقاصيص . وانتهت بأن نسبت إلى غردون باشا وأصبحت معروفة بهذه التسمية إلى اليوم ، وقد نزل بها الطيارون المصريون .

استقبالات

بدأت اليوم الاستقبالات الرسمية لرفعة الرئيس فاجتمع رفعته فى الصباح بحضرة صاحب المعالى الحاكم العام فى جلسة طويلة . وفى الساعة العاشرة صباحاً استقبل رفعته حضرات المستر تيوبولد السكرتير الإدارى فالمستر راجمان السكرتير المالى فالمستر جورمان السكرتير القضائى فأصحاب الفضيلة والسعادة الشيخ محمد نعمان الجارم قاضى القضاة فمفتى السودان فالسيد على الميرغنى باشا فالسيد عبد الرحمن المهدى باشا . وقد استغرقت هذه المقابلات نحو الثلاث ساعات .

وفى هذه الفترة كانت الغرفة التى أعدت لسكرتيرية رفعة الرئيس تموج بالزائرين من كل الطبقات الذين قدموا لتحية رفعة الرئيس وتهنئته بسلامة الوصول ، وقد أعد سجل خاص بقيد الأسماء فضاقت صفحاته بأسماء الزائرين ، وكانت الظاهرة البارزة أن كثيرين من إخواننا السودانيين كانوا يتقدمون بظلامات وشكايات يلتمسون من رفعة الرئيس النظر فيها ، وكان من ألطف مايقع أن الرجل منهم يقدم شكايته أو ظلامته لسكرتير الرئيس ويكتب أن عنوانه « بالباب » ثم يسأله هل هو سيعرضها على رفعة الرئيس حقيقة ؟ ! فيؤكد له السكرتير أن هذه هى مهمته الرسمية

فيدعو له بالخير ثم يجلس إلى جواره ليشرح له قصة طويلة عن أسباب الشكوى أو الظلامة .

معالى عبد القوى أحمد باشا

وقصد صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال إلى مكتب تفتيش الرى المصرى بالخرطوم حيث زاره وعلم الناس بوجود معاليه هناك فانهالت سيول الوافدين تحي معاليه وترحب به ، ولعبد القوى باشا فى السودان ومن أهله أهلا وإخواناً وأحبابا ، وقد تفقد معاليه نظام العمل وأشرف على سيره وظل هناك فترة غير قصيرة طاف فيها بمكاتب الموظفين باحثاً مدققاً كعهده بكل مايتصل بشأن النيل والرى .

معالى صالح حرب باشا

وفى نفس الوقت قصد صاحب المعالى محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع إلى معسكرات الجيش المصرى والحملة الميكانيكية بالخرطوم بحرى وفرقة المهندسين وكان يرافقه صاحب السعادة القائد العام وسعادة كاتم أسرار الحربية وصاحب العزة حامد صالح بك رئيس أركان حرب المنطقة فتفقد معاليه المعسكرات وحالة الجنود ونظامهم وسره مارأى من دلائل الصحة وقوة الروح المعنوية فى الجيش ، وقد أدى له طابور الشرف تحية الاستقبال العسكرى وهتف الجنود بحياة جلالة الملك المفدى "فاروق الأول"

طعام الغداء

وبعد انتهاء الاستقبالات وعودة الوزيرين تناول رفعة الرئيس وصاحباه طعام الغداء على مائدة معالى الحاكم العام التى أعدها تكريماً للزائرين الأجلاء .

أما أعضاء البعثة فقد تناولوا طعام الغداء فى أماكن إقامتهم . وكانت قائمة الطعام فى استراحة الرى رقم ٦ حيث ينزل فريقنا مؤلفة من حساء بالسمك ، وفراخ مشوية ، وخضار باذلاء ، ولحم ضأن ، وفطائر وفواكه وقهوة . وبعد الفراغ من الطعام خرجنا للطواف بشوارع الخرطوم حيث غصت المقاهى والأندية بمختلف الطوائف من الأهالى الذين لم يكن لهم حديث سوى الزيارة الميمونة والزائرين الكرام ، وتسقط الأنباء عن الشوارع التى سيمر بها رفعة الرئيس وصحبه فى طوافهم .

وكان الأهالى يستقبلوننا ويلتفون حولنا يستفسرون منا أخبار مصر ، ويسألوننا عن شعورنا عند زيارة السودان ويأخذون إمضاءاتنا على بطاقاتهم تذكاراً للتعارف ونحن نحييهم ونبادلهم عواطفهم ، وسرعان ماعقدوا معنا صلات شخصية ، وقد ربحت فى هذا اليوم خمسة وعشرين صديقاً من الشبان والأعيان وهو كسب عظيم بلا شك ، ولكن صديقى الأستاذ محمد عبد القادر حمزة أنفق فى هذا اليوم ٣٢ بطاقة تحمل اسمه كسب بها قلوباً بهذا العدد .

الخرطـــوم كما رأيناها

مدينة الخرطوم هى العاصمة الرسمية للسودان ، لأنها مقر الحاكم العام والمصالح الحكومية ، والمدارس والمستشفيات والمتاحف ، وقد أنشأها المصريون فى عهد المغفور له محمد على الكبير ، وكانت قبل ذلك أكواخاً يقيم بها الصيادون على جانبى النيلين الأبيض والأزرق ، وعدد سكانها اليوم نحو ٣٦ ألف نسمة ، وهى قريبة الشبه بمدينة حلوان ، فشوارعها فسيحة مستقيمة ، وأسماءها مكتوبة على لوحات صغيرة باللغتين العربية

والإنكليزية ، وبها أشجار على الجانبين ، ومبانيها متشابهة لاتزيد على طابقين ، وتحيط بأكثر الدور حدائق فسيحة وأجور المساكن مرتفعة .

وفيها ثلاث خطوط للترام تخترق الشوارع الرئيسية وتصل مابين (خرطوم بحرى) وأم درمان مارة بجسر كبير على النيل عند ملتقى النهرين ، وتكثر بها سيارات التاكسى وعربات الخيل وهذه ملونة بطلاء أخضر . وأجورها جميعاً معتدلة ، ونظام السير فى السودان إلى اليسار ، وعلامات المرور موضحة على مداخل الشوارع ، ومنها لوحة تدل على عدد الشوارع التى تتقاطع مع الشارع الذى تدخله . وأرض المدينة ممهدة بالحصباء الرقيقة ، وبعضها مفروش بالمكدام ، وعلى جانبى الطرق مسارب لتتجمع فيها مياه الأمطار .

◎◎◎

والمنازل مجهزة بالأنوار الكهربائية وبأنابيب المياه ، وبها مراوح فى السقوف ، وأغلب النوافذ والأبواب بها حاجز من السلك لمنع الناموس أو غيره ، وليس بالسودان مجار ، ولذلك تستعمل الجرادل فى دورات المياه وتضاف إليها مواد مطهرة موضوعة بكل منزل .

وتجد فى الخرطوم جميع ماتحتاج إليه من ملبس ومأكل ومشرب وتنتشر فيها المتاجر التى يملك أكثرها الأجانب وبعض المصريين هناك ، وللغرفة التجارية بالقاهرة فرع بالخرطوم يتولى تصريف البضائع المصرية ، ولكن أثمانها مرتفعة لغلاء أجور النقل ورسوم الجمارك .

وفى المدينة دور للسينما ومراقص وفنادق منها (الجراند أوتيل) على النيل وهو يشبه (سميراميس) بالقاهرة حتى فى غلائه الفاحش وهو تابع للحكومة السودانية .

والتليفون بالخرطوم (أتوماتيكى) يتألف من أربعة أرقام وبالخرطوم نحو ستة آلاف مشترك ، وعمال التليفون من الرجال السودانيين وإذا اضطررت للاتصال بأحدهم سمعته يبدأك قائلا بالإنكليزية (نعم ياسيدى) ؛

وأكثر مدن السودان بها نوادى لمختلف الهيئات والطبقات وتكاد كل مدينة لاتخلو من نادى للجالية الإنكليزية . وتباع الخمور فى المقاهى ، ولكن لايصرح للسودانى بتعاطيها فى المقهى ، وقلّ أن ترى سودانياً يشرب الخمور فى الأماكن العامة .

وفى جانب من المدينة توجد منطقة للبغاء الرسمى المباح فى السودان ، بنفس القيود الموجودة بمصر ، وهو موضع التذمر والسخط من السودانيين ، ويجتهد مؤتمر الخريجين فى القضاء على هذه الوصمة التى تعيب مصر والسودان كبلد إسلامى .

وترى فى شوارع الخرطوم الرجال فى ملابسهم البيضاء وعمائمهم الكبيرة ومراكيبهم الحمراء ، أما الشبان الحديثون أو الموظفون فيمشون بالبذلة ورؤوسهم عارية أو بأيديهم قبعات الفلين ، وترى الطربوش على رؤوس التجار أو الموظفين المصريين ، وقد قل عدد الذين يرتدونه من السودانيين وخاصة بعد أن أصبحت النظم فى كلية غردون وفى الأقسام العامة تجعل غطاء الرأس مابين عمامة أو رأس عار فقط .

◎◎◎

وبالمنازل والمنتديات جهازات الراديو وتتحلق الناس حوله لتسمع إذاعات محطة القاهرة على الموجة القصيرة ، فتلاقى أشد العناء فى الإنصات إليها فترى الحسرة بادية على السامعين لأنهم حرموا من سماع القاهرة ..

وفى المساء ترى مواكب نظامية لمريدى الطريقتين الميرغنية والمهدية ، يطوفون الشوارع . ومعهم المصابيح يرتلون الأوراد أو الراتب المهدى . ثم يصلون إلى منزل أو مكان يقيم به كل فريق "الحضرة" إلى ساعة متأخرة من الليل .

وأول ماتلمسه من الظواهر فى السودان هو الفارق الكبير بين الطبقات ، فإما ثروة فاحشة وإما فقر مدقع ، أما الطبقة الوسطى فأكثرها من موظفى الحكومة أو المتاجر الكبيرة وعددهم قليل .

وترى المرأة السودانية من الطبقة الدنيا تمشى مسربلة بملاءة زرقاء بها خطوط حمراء الطرف ، وتنتعل حذاء يشبه المركوب ، أما السيدة من الطبقة العليا فهى محافظة وترتدى ملاءة بيضاء فوق ملابسها ولا يبدو من وجهها أويديها شىء مطلقاً ، ويندر أن تراها فى الشوارع .

وترى السيدات الإفرنكيات أو المصريات يمشين بملابسهن كما فى القاهرة وغيرهامن مدائن القطر المصرى وأكثر السيدات هناك من عائلات الموظفين الأقباط الذين هم العنصر الغالب فى الموظفين المصريين بالسودان .

◎◎◎

وقد قضينا سهرة فى إحدى المقاهى فتزاحم حولنا لفيف من الشبان والأهالى وأكثروا من الحفاوة والترحيب بنا وسمعناهم يتحدثون عن مصر ورجالها وأعضاء البعثة المرافقة لرفعة الزعيم بخبرة عجيبة ومعلومات دقيقة ، ولكن أكثر الشبان يرتادون نواديهم ولا ترى بالمقاهى غير فريق من التجار أو المتصلين بهم أو من بعض الفئات التى تأنس بالجلوس فى المقاهى ؛ أما الطبقة الثالثة من الشعب فيرتاد معظمها مشارب خاصة بهم تقدم فيها "الجبنـة" أو "الشاى" أو "المريسة" وتجد هذه الأماكن غاصة بروادها .

قلت إن مدينة الخرطوم جميلة أنيقة ، ولكن يلح عليّ تعبير آخر أريد تسجيله أيضاً فهى "خفيفة الظل" تشعر فيها بطمأنينة وانشراح ، وترى فى أهلها رقة المدنيين ، وإن كان السودانى على الإطلاق يمتاز بكرم الضيافة وبشاشة اللقاء ، مما يجعل الضيف القادم ينسى كل شيء ولا يعد يذكر إلا أنه فى وسط أهله وإخوانه . . .

إلى جوار ذلك ترى كل إنسان هناك يعتز بكرامته إلى الحد الملفت للنظر ، إنهم يعرفون واجباتهم ويتمسكون بحقوقهم وهذا غاية مايرجى فى المدنى المهذب .

لقد سرتنا هذه الظواهر فوق مارأيناه من مظاهر العمران الذى يمتاز بالطابع الإسلامى الشرقى .

فى نادى الضباط بأم درمان

نثبت فيما يلى صورة للدقة الصحفية والأسلوب الذى تكتب به الأخبار فى الجرائد بالخرطوم فقد نشرت جريدة "النيل الغراء" فى هذا اليوم وصفاً لزيارة قام بها صاحب المعالى حرب باشا وعبد القوى بك لنادى الضباط بأم درمان فقالت :

"فى الساعة الخامسة والربع مساءً قصد صاحبا المعالى وزيرا الدفاع والأشغال إلى أم درمان لزيارة نادى الضباط الوطنيين فيها وكان فى استقبالهما جميع من بالعاصمة المثلثة (الخرطوم) من ضباط الخدمة والمتقاعدين وسعادة القائد العام وكاتم أسرار الحربية الذين استقبلوا الضيوف عند الباب مع صاحبى العزة حامد بك صالح رئيس النادى وعبد الله بك خليل وبعد أن صافحهم الزائران العظيمان فرداً فرداً أخذا

مجلسيهما يحف بهما جميع الأعضاء من الجانبين ثم قدمت المرطبات "والجبنه" وكانا يتبسطان فى ملاطفة قدماء رجال الجيش ورجال السيف وما كان أطيب وقع كلمة "إخوانى" يرددها معالى محمد صالح حرب باشا فى تحية رجال السيف وقد استغرقت الزيارة مدى نصف ساعة شنفت فيها آذان الحاضرين موسيقى قوة الدفاع ، وقد تفضل الوزيران فطلبا سماع أدوار سودانية ، فكانت لذلك دلالة عميقة الأثر وقبل مغادرة المكان ألقى صاحب العزة القائمقام حامد بك صالح كلمة طيبة مناسبة المقام .

ثم هتف عزته ثلاثاً بحياة حضرة صاحب الجلالة الملك "فاروق الأول" فردد الجميع هتافه واقفين . ومن ثم نهض صاحب المعالى عبد القوى بك أحمد وانبعث فينا من جديد الصوت الحبيب هاتفاً « يحيا السودان » ". اه

زيارات المساء

عاد صاحبا المعالى حرب باشا وعبد القوى باشا إلى الخرطوم حيث رافقا رفعة الرئيس فى زيارته لحضرة صاحب السعادة السير السيد على الميرغنى باشا بسرايه بالخرطوم ودامت هذه الزيارة وقتاً غير قصير واستقبلوا وودعوا بالحفاوة والتكريم ثم قصدوا إلى سراى حضرة صاحب السعادة السير السيد عبد الرحمن باشا المهدى بالخرطوم حيث زاروه ، ثم انصرف الزائرون الكبار مشيعين بالشكر والإجلال .

العودة الى السراى

وعاد رفعة الرئيس وصاحباه إلى سراى الحاكم العام فاحتفلت

الجماهير بتحية الركب عند مروره بشوارع الخرطوم فى الزيارة وفى العودة منها بحماسة منقطعة النظير .

العشاء

تناول رفعة الرئيس وصاحبا المعالى الوزيران طعام العشاء على مأدبة الحاكم العام ، وقد دعى أعضاء البعثة للعشاء على مائدة الألفى بك ببيت الرى .

الاحتفال الرسمى بعيد ميلاد المليك المفدى

وكان الموعد المقرر لحفلة الاستقبال الرسمى بسراى الحاكم العام هو الساعة التاسعة والربع احتفالا بعيد الميلاد الملكى السعيد ، وقد دعى لهذه الحفلة خمسمائة شخص من المصريين والسودانيين والبريطانيين وكبار رجال الجاليات الأجنبية بملابس السهرة الرسمية والنياشين وقبيل الموعد المحدد غصت الأبهاء بالطابق الأول فى السراى بالمدعوين وخصصت إحدى غرف الياوران لحفظ معاطف وحقائب العقيلات والأوانس اللائى دعين لهذه الحفلة من زوجات وكريمات المدعوين ، وفى الساعة التاسعة والربع تماماً دعى الحاضرون للصعود إلى الطابق الثانى ، فاجتازوا السلم الرخامى الفسيح حيث وقف على جانبيه رجال الحرس بملابسهم الرسمية البيضاء ، وعند نهاية السلم وقف موظفوا السراى يرشدون المدعوين إلى حيث وقف صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وصاحب المعالى الحاكم العام ، فمر المدعوون جميعاً أمامهما ، وكان السكرتير الحربى العميد محمود فهمى يذكر اسم الشخص بصوت مرتفع فيردده الياور الإنكليزى الذى يقدم المدعو إلى معالى الحاكم العام فيصافحه معاليه ثم يصافحه رفعة الرئيس .

هكذا مر المدعوون جميعاً متنقلين إلى الأبهاء الداخلية الفسيحة متفرقين زمراً يتبادلون أحاديث المودة والإخاء ، وبعد أن انتهى تقديم المدعوين دخل رفعة الرئيس ومعالى الحاكم العام إلى حيث وقف المدعوون فأخذا يتنقلان بينهم ، وفى خلال ذلك كانت موسيقات قوة الدفاع السودانية والجيش المصرى والجيش الإنكليزى تعزف بألحان شجية فى حديقة القصر التى أضيئت بأنوار ملونة جميلة التنسيق أخاذة المظهر ، وكانت أشعة مصابيح قوية من فوق أسوار القصر تغمر الحديقة كلها فتنعكس أضواؤها مختلطة بالأضواء الملونة والمصابيح الجميلة المعلقة فى أغصان الشجر ، ويتألف من كل هذا منظر جميل زاد فى بهاء الحديقة المنسقة ونافورات المياه المنبثة فى أرجائها ، ووقف فى شرفة القصر رفعة الرئيس ومعالى الحاكم العام وإلى اليمين السيد على الميرغنى باشا وإلى اليسار السيد عبد الرحمن المهدى باشا ، وحولهم باقى المدعوين ، وقام بعض رجال القوة المصرية وقوة الدفاع السودانية بألعاب رياضية جميلة على إيقاع الموسيقى ، ثم دعى الحاضرون إلى مقصف فاخر أقيم فى غرفة فسيحة تزين جدرانها صور ملوك وملكات إنجلترا ، وصورة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك "فاروق الأول" كما زين جدار البهو الموصل إلى الطابق الثالث رسم كبير لحضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك "فؤاد الأول" وتناول المدعوون فى المقصف الحلوى والفطائر والمرطبات ، ثم عادوا لشهود الألعاب الرياضية التى أداها الجنود على نغم الموسيقى وانتهت الحفلة فى منتصف الليل بالسلامين الملكيين المصرى والإنكليزى . وبذلك انتهى اليوم .

اليوم الرابع

برقية ملكية

القاهرة فى ٢٠ فبراير ـ الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ بعد الظهر

حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء بالخرطوم

لقد تقبلت بالشكر الجميل ما أعربتم عنه فى برقيتكم من أصدق الولاء باسم من حضروا الحفلة الرسمية التى أقامها سعادة الحاكم العام تذكاراً لعيد ميلادى . وإن هذه المظاهر الكريمة التى تلقونها حيثما حللتم وأينما اتجهتم لتقابل منى دائماً بمزيد الحب والرعاية لمن تظلهم سماء السودان ويسرنى أن تنشروا ذلك بينهم مقروناً بأعز أمانىّ للجميع ، وفقكم الله وسدد خطاكم ؟

فاروق

وهذه البرقية رداً على تلغراف أرسله فى هذا اليوم رفعة الرئيس نصه

الخرطوم فى ٢٠ فبراير ـ الساعة ٨ والدقيقة ١٥ صباحاً ـ

إلى حضرة صاحب السعادة رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة

استقبلت فى الساعة العاشرة من صباح أمس سعادة الحاكم العام ثم حضرات السكرتيرين القضائى والمالى والمدنى وأصحاب السعادة المهدى باشا والميرغنى باشا وأصحاب الفضيلة قاضى القضاة والمفتى وكان استقبال كل واحد من حضراتهم على حدة وقد استغرقت هذه المقابلات أربع ساعات .

ولقد كان من دواعى اغتباطى حضورى وزملائى حفلة الاستقبال الرسمية الكبرى التى أقامها سعادة حاكم السودان العام بمناسبة العيد الملكى السعيد وقد دعى إليها نحو المائتين من كبار السودانيين والمصريين والبريطانيين وكذلك وجهاء الجاليات الأجنبية . وإنه لمن دلائل اليمن وحسن الطالع أن أتشرف بتلقى برقية مولاى حضرة صاحب الجلالة أثناء الحفلة فتضاعف بذلك سرورى واغتباطى وزملائى بهذا العطف الملكى الكريم الذى شملنا وجميع الحاضرين فى أعز المناسبات وأكرمها علينا فأرجو أن تتكرموا برفع أصدق آيات ولائنا جميعاً إلى مقام جلالته مشفوعة بخالص الدعاء أن يجعل الله أيامه السعيدة مقرونة على الدوام باليمن والبركة ؟ على ماهر

◎◎◎

الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٠ — استيقظت الخرطوم اليوم مبكرة تتأهب للاحتفال برفعة الرئيس وصاحبيه عند مرورهم بالمعاهد العلمية للزيارات المقررة ، وانتشر رجال البوليس على جانبى الطرق التى سيمر بها الركب ، كما انتشر عدد كبير من رجال البوليس السرى فى هذه المناطق ، ولم تكن هناك فرصة ليعرف الناس موعد البدء بالزيارات أو بالشوارع التى سيجتازها الرئيس ، لأن برنامج الزيارات كان يعدل يومياً ثم يضيع الوقت مابين إعداد نسخ منه لتوزع على الصحف ، وما بين الاكتفاء بإبلاغه لرجال البوليس ، ومن ثم كان الأهالى يحرصون على تسقط الأنباء عن البرنامج اليومى فلم يكن من اليسير أن يعرفوه تفصيلياً إلا بعد أن ينفذ بالفعل ، هذا الأمر كان يتجدد كل يوم تقريباً وعلى الرغم من ذلك كان

الأهالى يتجمعون فى الشوارع عند مايروا رجال البوليس قد انتشروا فيها ولكن الدقة المتناهية فى المحافظة على النظام كانت تحمل بعض رجال البوليس على عدم ترك الناس يقضون وقتاً طويلا فى انتظار الموكب ، حتى لا تتعطل حركة المرور ، وخاصة لأن المواعيد المحددة لسير الركب قد تتغير فى آخر لحظة .

وكان النظام المتبع فى موكب الرئيس أن يسبقه ضابط بوليس المرور فى سيارة صغيرة بنحو ثلاث دقائق ، مجتازاً الشوارع التى سيمر بها رفعة الزعيم ، وعند مايرى الناس هذه السيارة يندفعون إلى الشوارع التى مرت بها ويحيون الرئيس هاتفين مصفقين .

فى كلية غردون

كان البرنامج اليوم يبدأ بزيارة كلية غردون التذكارية التى يقوم بناؤها الكبير فى شارع كتشنر باشا على النيل الأبيض ، وهى تضم اليوم ٣٥٧ طالباً ، وفيها ٨ من المدرسين الإنكليز و٢٠ من السودانيين ، وبها فصل تخصيصى للقضاة الشرعيين ، وتقدم منها ٢٢ طالباً لنيل شهادة كمبردج الثانوية نجح منهم ٢٠ طالباً .

ومدة الدراسة فيها أربع سنوات ، وأكثر المتعلمين فيها بالمجان .

وقد أنشئت هذه الكلية بعد استعادة السودان ، على أثر عودة اللورد كتشنر إلى لندن ودعوته لاكتتاب عام لإنشائها ، فبلغ مجموع الاكتتابات من إنجلترا واستراليا وكندا ونيوزيلندا ورأس الرجاء الصالح والهند ومصر ١٢٤ ألف جنيه ووضع الحجر الأساسى لها فى ٥ يناير سنة ١٨٩٩ بحفلة رسمية .

فى الساعة العاشرة صباحا تحرك ركب السيارات مقلا حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، ومعه الياور الإنكليزى لمعالى الحاكم العام فى سيارة ، وخلفها أخرى تقل صاحبي المعالى محمد صالح حرب باشا وعبدالقوى أحمد باشا وخلفهما سيارات تقل البعثة المرافقة للزائرين الأجلاء .

عند الكلية

واجتاز الركب شارع كتشنر باشا بعد مغادرة قصر الحاكم العام الرسمى ، وكان جنود البوليس بملابسهم البيضاء قد اصطفوا على طول الطريق ، وخلفهم الجماهير الحاشدة التى تحيى رفعة الرئيس بحماسة وابتهاج ووصل الركب إلى كلية غردون حيث كان فى استقبالهم عند الباب الخارجى مستر روزمير مدير التعليم ومستر سكوت مدير الكلية ومستر هيبرت كبير مفتشى التعليم ومستر لانج ناظر المدارس الأدبية العالية وعبد الكريم أفندى محمد ناظر الكلية ، وكانت الكلية قد أعدت لوحة كبيرة أقيمت فى مدخل الدار كتبت عليها عبارات الترحيب الآتية " أهلا وسهلا بالعلى والمكارم " ورقعة أخرى كتبت عليها عبارة " مرحباً " .

وتقدم مستر روزمير مدير التعليم فرحب برفعة الرئيس وصاحبيه ثم قدم إليهم المستقبلين فصافحهم رفعة الرئيس .

بدء الزيارة

ثم بدأت الزيارة بدخول رفعة الرئيس وصاحبيه أحد فصول السنة الأولى بالكلية ، وهو الفصل المسمى فى الكلية (ابن سينا) وكان موضوع الدرس فى التاريخ ، ونشأة الحضارة بالسودان ، وفضل مصر على

الحضارات القديمة . وقد رسمت على السبورة خريطة لمصر والسودان فى عهد الفراعنة ، وشرح الأستاذ عبيد عبدالنور أفندى موضوع الدرس مدللا على أن الحضارة الفرعونية دخلت السودان تبعاً لوفود قوافل التجار المصريين ونمو العلاقات التجارية بين البلدين ، ثم استمرت تطرد وتنمو على مر الأيام لاتنقطع ولا تنى .

وقد وجه رفعة الرئيس ، إلى بعض الطلاب أسئلة فى موضوع الدرس أجابوا عنها فى ذكاء وبراعة ، واستمر الزائرون منصتين للدرس قليلا ثم انصرفوا مودعين بتحية الطلاب النجباء .

ودخل الرئيس بعد ذلك فصلا آخر لطلبة السنة الثالثة يطلق عليه اسم " باستور " العالم العبقرى مكتشف الميكروب ، وكان الدرس فى الأدب العربى ووصف حلبة الصولجان أو كرة القدم فى العصر العباسى ، وكان المدرس هو أحد خريجى الكلية ، وقد طاف الرئيس بمقاعد الطلاب وتخلل صفوفهم ، بينما جلس بعض الزائرين فى المقاعد الخالية من حجرة الدراسة وبعدانتهاء الشرح غادرالرئيس وصاحباه الفصل مشيعين بالإجلال.

فى الطابق الثانى

واجتاز الرئيس وصاحباه الفناء الداخلى للمدرسة حيث وقف بعض الأساتذة الذين لم يكونوا مشتغلين بالدروس فى هذه الفترة فحيوا الرئيس بفرح وحماسة ، وصعد الزائرون إلى الطابق الثانى حيث دخلوا فصلا كان يلقى فيه الدكتور عبد المنعم فهمى مادة الهندسة (وهو أستاذ مصرى قدم إلى السودان منذ عدة أسابيع فقط) وكان الدرس والشرح باللغة الإنكليزية التى هى اللغة الرئيسية لغالبية العلوم فى كلية غردون . ثم زاروا

فصلا آخر من الأقسام العالية ، وهو قسم المعلمين ، وكان موضوع الدرس فيه الأدب العربي ، وأثر الشعر فى الحضارة الفكرية ، وانتهى الدرس فخرج الرئيس وصاحباه مودعين أجل توديع .

ثم قصدوا إلى فصل ثان من الأقسام العالية خاص بالرسم ، ومن المفارقات الطريفة أن أستاذ الرسم الشيخ "سنادة" كان يشرح الدرس باللغة الإنكليزية وهو بعمامته وجبته وقفطانه ، وهو فى ذات الوقت من مدرسى اللغة الإنكليزية فى الكلية حيث عرف بإجادته التامة لها ، وقد أعجب به رفعة الرئيس وهنأه مصافحاً ، فتقبل التهنئة شاكراً ممتناً .

فى متحف الكلية

وانتهت زيارات فصول الدراسة فقصد الرئيس وصاحباه إلى المتحف الطبيعى للكلية ، حيث جمعت ألوان مختلفة من الحيوانات والطيور والمعادن السودانية ، ثم زاروا المتحف الأثرى أيضاً وفيه نماذج عديدة للآثار المصرية القديمة بالسودان .

وقد قال المستر هيبرت كبير المفتشين للزملاء من الصحفيين إن هذا المتحف سينقل إلى مكان آخر فسيح تجمع فيه عدة تحف أثرية مبعثرة فى مختلف الجهات بالسودان ، ليكون منه متحف صحيح ذو قيمة علمية .

فى غرفة المدير

وقصد الرئيس وصاحباه إلى غرفة مدير الكلية فاستراحوا قليلا وتفرقنا فى الغرف المجاورة لها ، بينما وقف بعضنا فى ردهة الكلية حيث تجمع الطلاب حولنا بملابسهم (الجلاليب) والعمائم البيضاء يحتفون بنا

ويعربون عن عواطفهم نحو مصر وقائد نهضتها المليك المفدى " فاروق الأول " وخادم العرش وذخر الوطنية على ماهر باشا ، ونحن نبادلهم عواطفهم شاكرين .

وفى هذه الفترة قدمت المرطبات للضيوف الكرام ، وكان الأساتذة يبذلون جهد الطاقة فى الترحيب والعناية بالمرافقين لرفعة الرئيس ويتولون شرح مانعنى به مما يتعلق بالكلية ونظام التعليم فيها .

انتهاء الزيارة

غادر الرئيس وصاحباه الكلية مودعين بالحماسة العظيمة والإجلال العميق من الطلبة وأعضاء هيئة التدريس .

فى مدرستى الحقوق والهندسة

تقع هاتان المدرستان فى بناء واحد على النيل أيضاً قريباً من كلية غردون ، وقد قصد رفعة الرئيس وصاحباه إليهما حيث كان فى الاستقبال مستر سوبر مدير مدرسة الهندسة ومستر دونى المحاضر الأول بها .

وتضم هذه المدرسة اثنى عشر طالباً للهندسة ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات يحصل الطالب فى نهايتها على شهادة الهندسة ثم يقضى سنة تحت التمرين العملى . وهناك قسم آخر بهذه المدرسة يتخرج فيه الطلبة مساحين بعد سنة واحدة .

ونظام الدراسة فى الهندسة هو أن السنة الأولى عامة فيلقى فيها الطلاب فروع الهندسة المختلفة فى الرى إلى الميكانيكا إلى الكهرباء ثم يبدأ التخصص من السنة الثانية فى كل فرع من هذه الفروع .

فى مدرسة الحقوق

وانتهت زيارة مدرسة الهندسة فقصد رفعة الرئيس إلى غرف الدراسة التى تضم طلاب الحقوق وعددهم يجاوز الأربعين طالباً ، وكان أول درس سمعوه فيها يلقيه الأستاذ الشيخ محي الدين أستاذ الشريعة الإسلامية بالكلية (وهو أحد خريجى التخصص بالجامعة الأزهرية وعين بهذه الوظيفة منذ شهرين فقط) وكان موضوع الدرس " حكم القراءة فى الصلاة " فتولى الأستاذ شرح هذا الموضوع منتزعا الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأدلة المجتهدين ، وكان الطلبة يصغون فى انتباه شديد وأمامهم المراجع الأزهرية بورقها الأصفر ، وقد انتزعوا أجزاء من الكتب على طريقة " التغايير " الأزهرية .

والطلبة فى هاتين المدرستين يرتدون البذلة الأفرنكية ورؤوسهم عارية .

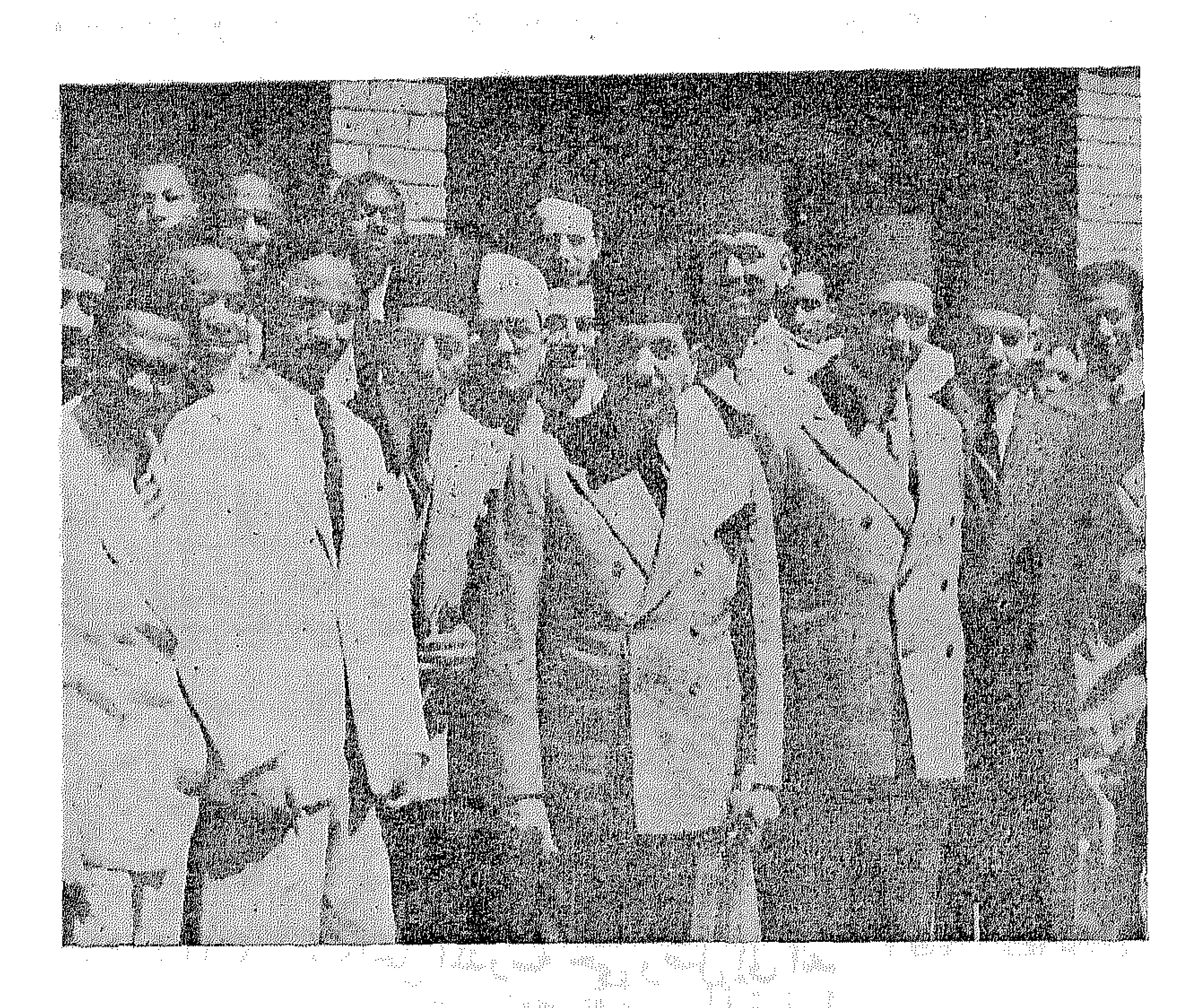
وقد أنشئت هذه المدرسة فى سنة ١٩٣٥ ومدة الدراسة بها سنتان وثلاثة أشهر ، وقد تخرج فى نهاية سنة ١٩٣٨ سبعة طلاب اشتغل أحدهم محامياً والآخرون عينوا قضاة جزئيين وقضاة جنائيين ، وبذلك أصبح عدد القضاة السودانيين الجزئيين أحد عشر قاضياً ، ومراكزهم هى الخرطوم ، أم درمان ، (شندى وعطبرة) ومروى (وحلفا وبربر) بورسودان بها قاضى من الدرجة الأولى (كسلا والقضارف) مدنى ، والحصاحيصة ، (وكوستى والرديم) والأبيض .

ويدفع الطالب عشرة جنيهات رسماً للانضمام وجنيهاً عن دخول الامتحان المتوسط وجنيهين للامتحان النهائى وجنيهين للامتحان الإضافى .

ومما لوحظ أن برنامج الدراسة فى هذه المدرسة أكثره للشريعة الإسلامية

وما يتفرع عنها من العلوم : كالحديث ، والأصول ، والتفسير ، فوق البرنامج الخاص بالقوانين ، المدنى والدولى الجنائى ، والأخير مستمد من القانون الهندى . وبسبب العناية بالشريعة الإسلامية أن خريجى هذه المدرسة يختارون قضاة فى الأحوال الشخصية ، ويصلح القاضى منهم للفصل فى القضايا المدنية بعد مران فى منصبه .

وقد انتهت الزيارة والتقطت صورة للطلاب حول رفعة الرئيس وهم فى ابتهاج وحماسة ، وقد ودعوا الزائر العظيم وصاحبيه الكريمين بالإجلال والتعظيم .



الرئيس بين طلبة الحقوق والهندسة

فى كلية الاقباط

استغرقت الزيارات السابقة نحو أربع ساعات ، فقد وصل الركب الميمون إلى كلية الأقباط فى الساعة الثانية بعد الظهر ؛ وتقع هذه الكلية خلف استراحة الرى /٦ بشارع غردون باشا ، وقد كانت الجماهير محتشدة على جانبى الطريق المزين بالأعلام المصرية وسعف النخيل ، واصطف فريق الكشافة أمام الباب تحت قوس النصر البديع الذى أقيم عند المدخل ومعه موسيقاه النحاسية والأعلام الرمزية لفرق الكشف ، وكتب على اللوحات الكبيرة فوق الدار وفى مداخلها عبارات الترحيب والتحية والولاء لصاحب الجلالة مولانا المليك المفدى" فاروق الأول" حفظه الله ، ولمصر ، ورجلها الأوحد صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا .

لقد كانت مظاهر الفرح والاغتباط والحماسة متجلية فى هذه الزيارة تهز القلوب وتحرك المشاعر ، ودوىّ الهتاف يطغى على نغمات الموسيقى ، وأناشيد الطلاب مختلطة بدعوات الجماهير وزغردة النساء على الجانبين ومن شرفات الدور المجاورة للمدرسة .

ووقف طلبة الكشافة فى صفين طويلين على جانبى الطريق إلى الفناء الداخلى للكلية يحيون الركب بحماسة منقطعة النظير ، ووقف عند الباب الآب يوحنا سلامه مدير الكلية وأساتذة المدرسة وأعيان المصريين بالخرطوم وأولياء أمور الطلاب بالمدرسة ، ونزل رفعة الرئيس فاستقبل بالترحيب القلبى والهتافات العالية وشق له الشباب طريقاً بين الحشود العظيمة المكدسة داخل المدرسة حتى وصل إلى القسم الخاص بالبنين فى الكلية . واستقر بهم المقام فى صدر المكان تحت الأعلام المحيطة برسم

مكبر لمليك النيل المحبوب "فاروق الأول" فدوى الهتاف بحياة جلالته ثلاث مرات ثم بحيـاة رفعة الرئيس وصاحبي المعالى حرب باشا وعبد القوى أحمد باشا . وكان مع الزائرين مستر روزمير مدير التعليم وفضيلة قاضى القضاة الشيخ نعمان الجارم وفضيلة المفتى ، وتقدم طالب فألقى كلمة ترحيب وشكر بالنيابة عن زملائه وكان ممتازاً بعذوبة اللفظ وقوة التعبير وسلامة النطق والحماسة فى الكلام . وقد أعجب به السامعون وصفقوا له طويلا .

وأعقبه أحد أساتذة المدرسة فألقى قصيدة عامرة قوطعت بالاستحسان الشديد والتصفيق المتصل .

ثم وقف الآب يوحنا سلامة فارتجل كلمة شكر وترحيب عدد فيها المواقف الخالدة لرفعة الرئيس فى سبيل مصر والسودان وردد أدعية لله وهو باسط كفيه إلى السماء بخشوع ملتمساً من الله أن يرعى المليك المفدى "فاروق الأول" بالعناية الإلهية وأن يوفق الرئيس وأصحابه لاستكمال مجد الوطن . فشكر الرئيس له عواطفه كما صافح الطالب الخطيب وشجعه وهنأ المدرس على قصيدته الرائعة .

ثم دعى رفعة الرئيس ومن معه لتناول المرطبات بغرفة مدير الكلية فقصدوا إليه ودوى الهتاف يتصاعد لعنان السماء .

الرئيس يتبرع للكلية

وعاد صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال إلى البهو الخارجى فألقى الكلمة التالية :

" بمناسبة هذه الزيارة الميمونة قد تفضل حضرة صاحب المقام الرفيع

على ماهر باشا بمنح هذه المدرسة مائتى جنيه وسندين من سندات الدين الموحد تعطى فوائدهما فى كل عام لطالبين متفوقين تتولى المدرسة اختيارهما كجائزة باسم حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك "فاروق الأول" فتعالى الهتاف بحياة المليك المفدى وحياة رفعة على ماهر باشا.

في مدرسة البنات

تشمل كلية الأقباط فرعين أحدهما للبنين والآخر للبنات ، وقد تمت زيارة قسم البنين بما وصفناه ، وبدأت زيارة قسم البنات ، فقصد رفعة الرئيس وأصحابه إلى هذا القسم من الكلية فى موجة طاغية من الحماسة القوية . وقد اصطف على جانبى الطريق فريق الكشافة ، وعند المدخل وقفت الآنسة الفاضلة ناظرة الكلية ومعها المدرسات وطالبات السنة النهائية ورحبن بالرئيس هاتفات فى حماسة قوية بينما كانت الطالبات يغردن بأناشيد جميلة على نغمات الموسيقى داخل الكلية . وصافح الرئيس ناظرة المدرسة ثم دخل إلى فنائها الداخلى فحياه فريق آخر من الطالبات وعزف السلام الملكى المصرى وبعض الأناشيد المدرسية الطريفة التى استحقت الثناء . وكان المكان مزيناً بالأعلام الخضر وبالأقمشة المطرزة باسم جلالة الملك ورفعة الرئيس ، وأهديت للرئيس باقة كبيرة من الأزهار الجميلة فتقبلها شاكراً .

وفى النهاية أعلن معالى وزير الأشغال أن رفعة الرئيس قرر إهداء الطالبات بعض الحلوى فصفقت الطالبات وعزف السلام الملكى المصرى والبريطانى . وقدم لرفعة ماهر باشا دفتر الزيارة فوقع فيه باسمه وكتب تاريخ الزيارة ، كما وقع معالى صالح باشا ومعالى عبد القوى باشا . وغادر

الضيوف الثلاثة الدار بين موجة من التصفيق والاستحسان ، وودعوا عند الباب الخارجى خير وداع بعد أن شكر رفعة الرئيس الآب سلامة على هذه الحفاوة البالغة وأعلن تقديره للجهود التى تبذلها المدرسة لخير التعليم فى السودان .

فى تفتيش الرى المصرى

وقصد الركب بعد ذلك إلى تفتيش الرى المصرى فاستقبل موظفوه الرئيس وصاحبيه بالتصفيق والهتاف ودخل الضيوف الثلاثة إلى غرفة محمد على الألفى بك المفتش العام ودعا الرئيس جميع الموظفين للسلام عليه وكان يتولى تقديمهم معالى عبد القوى أحمد باشا لأنه يعرفهم جميعاً . وبعد ذلك تحدث معهم قليلا ثم غادر الضيوف الدار مودعين بالحفاوة .

حفلة غداء عند الألفى بك

وفى الساعة الثانية بعد الظهر أقام صاحب العزة محمد على الألفى بك حفلة غداء فى داره دعا إليها نحو عشرين من أعيان السودان وبعض موظفى الحكومة السودانية ، وقد اعتذر رفعة الرئيس عن عدم الحضور لحاجته إلى الراحة بعد هذه الزيارات المتوالية التى ستستأنف بعد الظهر ، أما صاحبا المعالى وزيرا الأشغال والدفاع فقد لبيا الدعوة وظلا يتسامران مع المدعوين سمراً كله ظرف وتلطف .

ثم قام الجميع بعد أن اكتمل عددهم إلى الموائد ، وجلس معالى وزير الدفاع إلى إحدى الموائد ، ورأى معالى وزير الأشغال أن يجلس فى مائدة أخرى لتتوزع « الرياسات » ولكن بقيت مائدة ثالثة لم تنل شيئاً ، فاحتجت

على هذه « المحسوبية » وطالبت بحقها فى « الرياسات » فوعدها معالى وزير الأشغال بأن « سيقسم البلد بلدين » وأنه سيمكث فى المائدة الأولى أثناء الطعام ، وسينتقل إلى المائدة الثانية أثناء تناول الحلوى وشرب القهوة ، وقد حدث أن أبطأ معاليه عن البر بوعده للمائدة الثانية لاشتغاله بالحديث مع بعض الضيوف السودانيين ، فطالبه الجالسون فى هذه المائدة بالانتقال فانتقل وظل واسطة العقد يتحدث حديثه العذب إلى هذا وإلى ذاك ويذكر هذا الضيف بذكريات لطيفة ويشتغل بالإنصات إلى ذاك ، وهكذا إلى أن انتهت الحفلة فى منتصف الساعة الرابعة وغادر الوزيران الدار مودعين خير وداع ، وكذلك الضيوف السودانيين .

حفلة النادى المصرى بالخرطوم

وفى الساعة الخامسة مساء استقل رفعة الرئيس وصاحباه السيارات من سراى الحاكم العام إلى دار النادى المصرى بالخرطوم ، وهو الذى أسسه ونظمه حضرة صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال حينما كان مفتشاً عاما للرى المصرى بالسودان ، وهو بناء فسيح جميل الطراز تزيده الحديقة الغناء المنسقة أمامه بهاء ورونقاً .

وقد كان صاحب العزة محمد على الألفى بك رئيس النادى ومفتش عام الرى المصرى قد وجه الدعوة باسم النادى لحفلة شاى كبرى تقام تكريماً لرفعة الرئيس وصاحبيه فى مساء اليوم .

وقد كانت هذه الحفلة من أبهى حفلات التكريم التى رأيناها فى السودان ، إذ تجلى فيها شعور المصريين الفياض وإحساسهم الدافق بالفرح لقدوم رفعة رئيس الوزراء وصاحبيه ، وتجلى كذلك الود الصادق

والإخاء التاريخى المتين بين المصرى وشقيقه السودانى .

زين النادى أحسن زينة ورفعت الأعلام فى جوانبه وعلقت صورة صاحب الجلالة الملك فى الوسط واصطف الجنود ذوو الملابس البيض الزاهية على جانبى الطريق من "السراى" إلى مقر الحفلة ووقف الأهالى على جانبى الطريق ينتظرون مقدم رفعة على ماهر باشا وزميليه ، والتأم المدعوون حول موائد الشاى فى حديقة دار النادى فكان عددهم ثلاثمائة مدعو من أعيان السودان ومن كبار موظفى الحكومة ومن رجال السلك السياسى وفى مقدمتهم مستر برت فيش وزير أمريكا المفوض .

وفى الساعة الخامسة وثلث قدم رفعة الرئيس وصاحباه فاشتد التصفيق فى الخارج وردده أعضاء النادى والمدعوون وبقى مستمراً حتى صافح الرئيس وعبدالقوى باشا وصالح باشا مستقبليهم ، وجلسوا فى الأماكن المعدة لهم .

وبعد أن تناول المدعوون الشاى والحلوى بدأت الخطابة بكلمة قيمة ألقاها الأستاذ أحمد عبده الشرباصى أحد مهندسى خزان جبل الأولياء ، وقد قوبلت كلمته الحماسية بالتصفيق فى أكثر مواضعها .

وبعد ذلك قام شاعر مصرى من مدرسى كلية الأقباط الكبرى فألقى قصيدة عصماء قوبلت بالاستحسان .

وأعقبه مصرى آخر من أعضاء النادى فألقى زجلا لطيفاً قدم فيه التحية إلى الرئيس وصاحبيه وبين بأسلوبه الفكه الظريف مقدار فضل كل ضيف من الضيوف الثلاثة على بلاده وعلى أبناء الأمة ورجا أن يسدد الله خطاهم .

وقام بعده الأستاذ خليل سالم مساعد نائب السكرتير القضائى وهو موظف مصرى عين بعد المعاهدة المصرية الإنكليزية وتسلم عمله من

عدة أشهر . وقد ألقى خطبة حماسية فياضة بالمعانى الوطنية بين فيها مواقف رفعة على ماهر باشا وجهاده المتواصل لخدمة مصر ولتوحيد الكلمة فيها وخدماته المتواصلة للبلاد فى عهد المغفور له الطيب الذكر الملك "فؤاد الأول" ثم ولاءه وإخلاصه لصاحب الجلالة الملك "فاروق الأول" .

ثم وقف الألفى بك المفتش العام للرى المصرى فألقى كلمة بالنيابة عن أعضاء النادى المصرى شكر فيها الضيوف الثلاثة لحضورهم هذه الحفلة وأشار إلى بعض مناقب كل منهم وعدد مساعى رفعة على ماهر باشا لخير مصر وعرج على هذا فأشار بسعيه الجديد لرفاهية السودان ولتوثيق علاقاته بقسم النيل الأسفل . وقد قوبلت هذه الكلمات بالتصفيق .

وأخيراً قام صاحب المعالى عبد القوى أحمد بك فألقى كلمة بالنيابة عن رفعة رئيسه وعن زميله معالى اللواء صالح حرب باشا وعن نفسه ؛ وهذه هى المرة الأولى التى سمعنا فيها عبد القوى باشا خطيباً وهو فى الواقع خطيب موفق إلى أبعد حدود التوفيق ، قوى الصوت ، حماسى الكلام والشعور ، وفى أثناء الخطابة تتدفق الألفاظ من فمه سليمة صريحة ، فتحدث أثرها الساحر .

وبانتهاء كلمة عبد القوى بك انتهت الحفلة وعزف السلامان المصرى والبريطانى فوقف الجميع إجلالا وغادر الضيوف دار النادى المصرى مودعين بمظاهر الحفاوة البالغة التى عاد فاشترك فيها المدعوون وردد الأهالى صداها فقابلوا رفعة الرئيس وصاحبيه بالتصفيق وبالهتاف لجلالة الملك "فاروق الأول" . وقبل أن يغادر الرئيس مكان الحفلة صافح حضرات الخطباء شاكراً لهم عواطفهم .

خطبة معالى وزير الاشغال

إخوانى :

تفضل صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فأنابنى عنه فى شكركم جميعاً وشكر النادى المصرى على تهيئة هذه الفرصة السعيدة التى يجتمع فيها حضرات الضيوف الذين لبوا الدعوة مشاركة فى الاحتفاء بهذه المناسبة ، وليس أحب إلى قلبي من أن أنزل على هذه الرغبة من رفعته ومن حضرة صاحب المعالى زميلى الكريم صالح حرب باشا وزير الدفاع ، وإنى إذ أقف الآن بينكم يرجع بى الخيال إلى شهور قليلة خالية كنت أسعد فيها بالتحدث إليكم بين جوانب هذه المؤسسة المصرية فى الخرطوم (تصفيق)؛

كنت أود أن أكون فى صفوفكم أنتم أرحب معكم بصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وأن أكون كما كنت لسانكم فى هذا الترحيب ، ولكن إخوانى الخطباء والشعراء والزجالين الذين تكلموا فأفصحوا وأجادوا لم يتركوا محلا لقول سوى أن أشكر لهم ماتفضلوا به من ثناء ولكم ماشاركتم به من تصفيق وهتاف ؛

لقد كان الثناء والحمد منكم مخجلا لتواضع من وجهتم إليهم الثناء والحمد ، فإنى أعلم مقدار خجلهم ، ولكنى ألمس حقيقة شعوركم أيضاً (تصفيق) ؛

لو أنى كنت خطيباً منكم مافعلت غير مافعلتموه ولما وجهت إلى رفعة على ماهر باشا وزميلى صالح حرب باشا أقل مما قلتموه ، ولكنكم تفضلتم مشكورين فأعربتم عن شعورنا المشترك إزاء الجهد المضنى الذى يبذله على ماهر باشا فى خدمة البلاد والعناية بشئون مصر والسودان (تصفيق)

لم يخف عليكم مافى هذه الزيارة الموفقة من معنى جليل ، فقد انتزع

رفعته من وقته الثمين هذه الأيام لتفقد ربوع السودان ؛ (تصفيق حاد)

لقد أدركتم هذا المعنى وأدركه إخواننا السودانيون فضاعف من شعور التقدير والحماسة فيهم وبهذا يجزى العاملون على الخير الشامل لوادى النيل؛

لقد جاء رفعة على ماهر باشا للسودان يحمل تحية مصر الخالدة القوية المطمئنة ؛ جاء يحمل رسالتها وحبها ؛ جاء يحمل التحية السامية الكريمة من جلالة مليكنا المفدى " فاروق الأول " حفظه الله إلى شعب النيل فى السودان (هتاف شديد وتصفيق حاد) فوجد منكم شعور التقدير والولاء وسمع صدى الحب والثناء ، فهو إذ يعود إلى مصر إنما يضاعف من سهره وجهده فوق ما يبذل . لم تتركوا لى فرصة القول فلأقتصر نزولا على رغبة رفعة الرئيس فى اختصار الخطب .

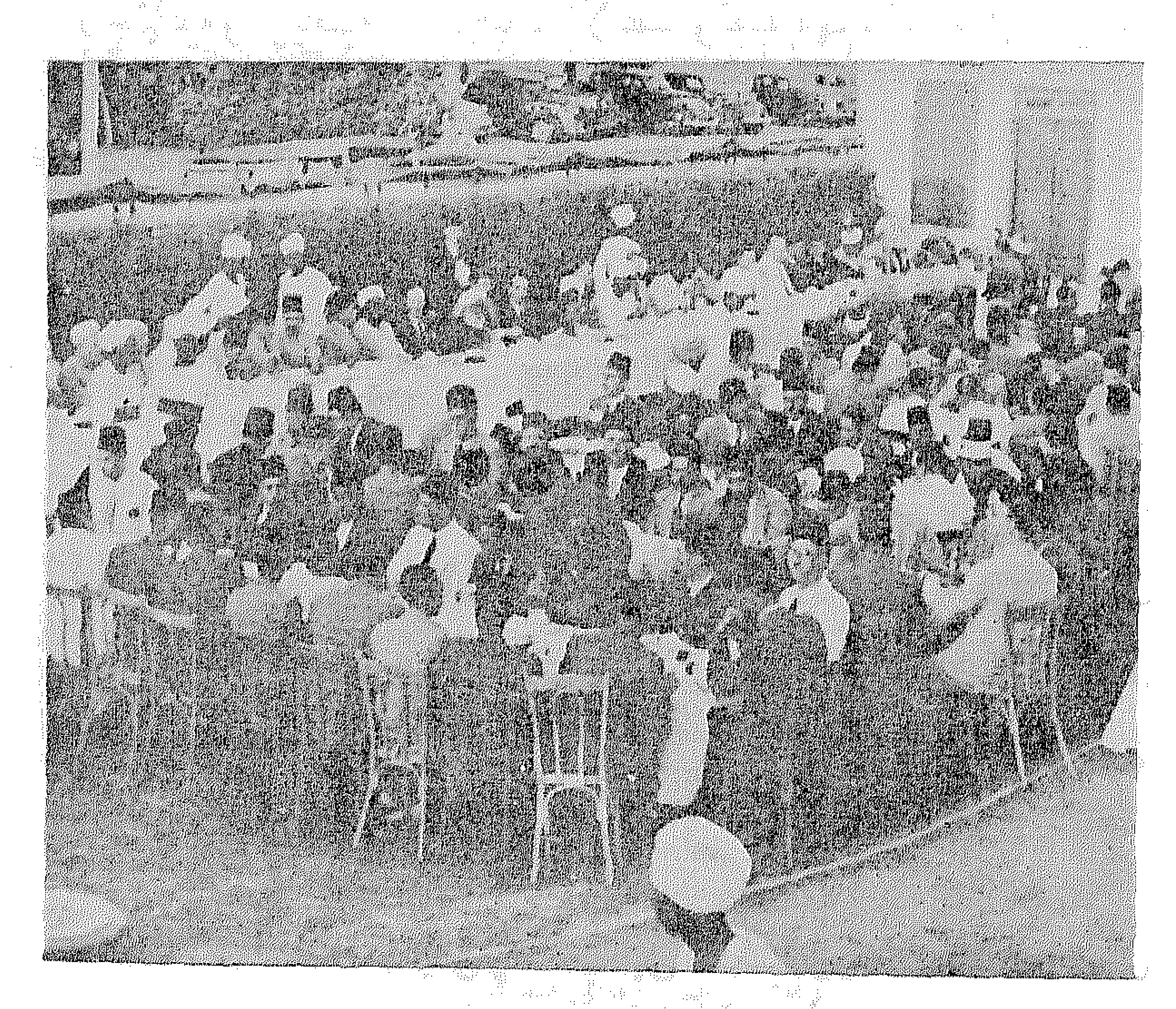
ويسرنى أن أعلن فيكم نبأ بعض المنح التى تفضل بها مقامه الرفيع لمناسبة عيد ميلاد، صاحب الجلالة الفاروق ، وهى ألف جنيه للفقراء فى الخرطوم وأم درمان وخرطوم بحرى ، وألف جنيه للمعهد الدينى بأم درمان وسيوضع هذا المبلغ تحت تصرف لجنة المعهد (تصفيق) و ٣٠٠ جنيه لملجأ القرش، ومئتا جنيه لكلية الأقباط بالخرطوم ، وسندان من سندات الدين الموحد يرصد ريعهما السنوى جائزة باسم جلالة الملك فاروق لأنجب طالب وطالبة فى الامتحان بالكلية (تصفيق وهتاف شديد) ومئتا جنيه لملجأ ستاك باشا ، و ٧٠٠ جنيه للنادى المصرى بالخرطوم (عاصفة من التصفيق) و ١٠٠ جنيه لمدرسة الأحفاد بأم درمان ، و ١٠٠ جنيه للمدرسة الأهلية بأم درمان ، وعشرة سندات دين موحد تبلغ قيمتها ٨٠٠ جنيه تقريباً يرصد ريعها السنوى لعشرة من أنجب طلاب كلية غردون ينتخبهم مدير الكلية باسم جائزة

"فاروق الأول" (تصفيق حاد) و ١٠٠ جنيه لمكتبة الأقباط بالخرطوم .

هذه هى بعض المنح التى قرر صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا إنفاقها بمناسبه عيد الميلاد الملكى السعيد .

إخوانى :

خير ماأختم به كلمتى أن أتشرف بأن أتلو عليكم صورة برقيتين تفضلت المكارم العلية بتوجيهما إلى رفعة الرئيس رداً على برقيتين رفعهما إلى أعتابه السامية بوصف مالقيته الزيارة من ترحيب وحماسة وما لمسه رفعته من شعور الولاء والإخلاص للسدة الملكية والعرش المفدى من أبناء السودان ، وتلا الوزير البرقيتين وسمعهما الحاضرون واقفين وصفقوا طويلا " .



(فى حفلة النادى المصرى بالخرطوم)

حفلة الخريجين

وقصد الضيوف بعد ذلك إلى نادى الخريجين السودانيين فى الخرطوم وهو يجاور دار النادى المصرى فكان ذهابهم إليه على الأقدام بين مظاهر الترحيب من الأهالى . وكان فى استقبالهم عند الباب رئيس النادى الدكتور منصور على حسيب مفتش المعمل الطبي بالخرطوم وأعضاء مجلس إدارة النادى وقابل الأعضاء رفعة الزعيم بالتصفيق فصافحهم رفعته كلهم وجلس فى وسط الفناء الخارجى وبجانبه رئيس النادى فتحدثا حديثاً أبدى فيه الرئيس من عطفه على هذا الشاب وعن اهتمامه بأغراضه الاجتماعية والرياضية مازاد حماسة الأعضاء وتصفيقهم والمبالغة فى ترحيبهم .

فى مكتبة الاقباط

وبعد نحو نصف ساعة قضاها الضيوف الثلاثة فى نادى الخريجين غادروه وقصدوا إلى مكتبة الاقباط فكان فى استقبالهم الآب يوحنا سلامة وأعضاء المكتبة ومعهم ناظرة مدرسة البنات التابعة لكلية الأقباط وهى التى زارها الرئيس وصاحباه عند الظهر ، واستأذن الآب سلامة فى إلقاء كلمة من أحد أعضاء النادى وهو من ضباط القوات المصرية فى السودان فأذن الرئيس فألقاها مرحباً فيها برفعته وبالضيفين الكريمين مبدياً فخر أعضاء الطائفة القبطية لزيارة المدرسة ولزيارة المكتبة . ثم أعلن الآب سلامة تبرع الرئيس للمكتبة بمائة جنيه فصفق الحاضرون .

وبعد ذلك قصد الرئيس وصاحباه إلى المكتبة ووقع الرئيس باسمه فى دفتر الزيارة ثم تقدم إليه الآب سلامة وناظرة مدرسة البنات

بالشكر الجزيل على عطفه على أغراض كلية الأقباط وما تؤديه من خدمات ثقافية .

كل شىء قابل للاصلاح

وقد ذكر رفعة على ماهر باشا أثناء حديثه كلمة أردت أن أسجلها هنا لأننى أرى فيها السياسة التى جرى عليها رفعته فى الحكم وخارجه ، فبعد أن انتهى حديث الشكر قال رفعته لناظرة المدرسة : " أرجو أن يتضاعف نشاط المدرسة على يديك وأن تزداد خدمتها للتعليم ، ويجب أن تعرفى أن كل شىء قابل للتحسين والإصلاح » .



رفعة الرئيس ومعالى عبد القوى أحمد باشا
وخلفهما «المؤلف» فى دار كلية الاقباط بالخرطوم

حفلة العشاء عند كتيبة البنادق المصرية

وفى الساعة الثامنة أقامت كتيبة البنادق الثالثة المصرية حفلة عشاء كبرى فى مركز رئاستها بجوار الخرطوم دعت إليها أكثر من مائة مدعو من كبار موظفى حكومة السودان ومن أعيانه وكبار سادته . وقد زين المكان بالأنوار الكهربائية المتعانقة وانتشرت المصابيح فى وسط الأشجار فكان منظرها بديعاً آخذاً بالقلوب ، وامتدت حبال الزينات إلى مسافة بعيدة خارج الشكنات فكان المكان فى أنواره وزيناته أشبه بالشعلة المضيئة فى وسط ظلام الصحراء .

وقدم الرئيس ووزيرا الأشغال والدفاع فى منتصف الساعة الثامنة فعزف السلام الملكى المصرى وسار الضيوف الثلاثة بين صفين من ضباط الكتيبة ومن سلاح الطيران القادمين فى الركب الجوى من القاهرة فصافحهم الرئيس وجلس قليلا مع كبار المدعوين ، ثم قصدوا إلى الموائد فتناولوا العشاء أثناء عزف الموسيقى أنغامها الجامعة بين أحسن الألحان المصرية والسودانية والإنجليزية .

وفى نهاية العشاء وقف صاحب العزة شفيق بك رئيس القوات المصرية وقال " لم أقف لألقى كلمة ولكن لأهتف معكم بحياة مليكنا المعظم " ثم قال " يعيش جلالة الملك فاروق الأول " ثلاث مرات فردد الحاضرون هذا الهتاف ، ثم عزف السلامان الملكى المصرى والبريطانى . وقصد المدعوون إلى الحديقة وظلوا يتسامرون إلى الساعة الحادية عشر . ثم انصرف الضيوف الثلاثة بعد أن صافح الرئيس كل الضباط وأغلب المدعوين مودعين خير وداع .

وبذلك انتهى هذا اليوم الحافل الذى كثرت فيه الزيارات والحفلات .

اليوم الخامس

الأربعاء ٢١ فبراير سنة ١٩٤٠ — أرسل رفعة الرئيس إلى سعادة رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة البرقية التالية .

" بالأمس زرت كلية غردون التذكارية ومدرستى الهندسة والحقوق وكلية الأقباط الكبرى بقسميها للبنين والبنات وكان معنا فى هذه الزيارات مدير التعليم . ثم قصدنا إلى تفتيش الرى المصرى واستقبلنا به حضرات الموظفين . وفى الساعة الخامسة حضرنا الحفلة التى أقامها النادى المصرى بالخرطوم والتى جمعت أعيان السودانيين والمصريين والأجانب . وكانت خير مناسبة لإعلان التبرعات لمناسبة العيد الملكى السعيد وفرصة موفقة لإذاعة البرقيتين الملكيتين إلى جمهور الحاضرين الذين تلقوا بأصدق آيات الحمد والدعاء العطف الملكى السامى الكريم ، وكان تقديرهم له بين مظاهر الحماسة الرائعة خير دليل على ما للذات الملكية ولمصر فى القلوب من أعلى منزلة وأسمى مكان . وفى المساء حضرنا الحفلة التى أقامها حضرات رجال الجيش المصرى ودعى إليها كبار رجال الجيش والحكومة من سودانيين ومصريين وبريطانيين والوجهاء والأعيان من أجانب ووطنيين .

واليوم زرت مدرسة البنات ومتحف الخليفة بأم درمان حيث اجتمع أعيان المدينة وصفوة أهلها من أعيان وموظفين فى سرادق فسيح الأرجاء لاستقبالنا بأروع مظاهر الحفاوة الأخوية مبتهلين إلى الله القدير أن يحفظ

لمصر والسودان ذات مولانا المليك وأن يجعل التوفيق مقروناً برعايته السامية فيما يعود بالخير على الجميع . وبعد ذلك قمنا بزيارة المعهد الدينى بأم درمان وتفقدنا حلقات الدروس مع شيوخه وأساتذته . وقد كان لشعور الجميع أبلغ الأثر فى نفوسنا جميعاً حيث تجمعوا فى هذا البيت من بيوت الله طلاباً وشيوخاً يبتهلون إلى الله فى حرارة وإخلاص أن يحفظ للدين وأهله حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .

وأنتهز فرصة هذه الحفاوة الكريمة أن ترفعوا لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم مالمسنا فى كل مكان من أصدق عواطف الولاء لشخصه الكريم وأعمق شعور الشكر والحمد للعواطف الملكية السامية. حقق الله فى ظلها مايرجوه حفظه الله من رفاهية وسعادة للجميع » .

على ماهر

يوم أم درمان

حفل هذا اليوم بالزيارات الهامة والتنقلات المتصلة ما بين الخرطوم وأم درمان وكان هو يوم الزيارة لأم درمان التى هى العاصمة القديمة للسودان ويبلغ عدد سكانها ١٣٥ ألف نسمة ، وهى مركز النشاط التجارى والعمرانى ، ومصدر التيارات التى تحرك أفكار السودانيين .

وتقع أم درمان على شاطىء النيل تجاه الخرطوم ، ومساحتها فسيحة ومبانيها متشابهة ذات طابق واحد وأكثر جدرانها ملونة بطلاء أحمر فاتح ، وشوارعها الرئيسية مرصوفة بالمكدام وعلى جانبيها أشجار ، أما الشوارع الفرعية فضيقة وممهدة ولكن تكثر بها الأتربة الرملية ، وهى مقر المتاجر الغنية التى يملك أكثرها ثراة السودانيين ، والحركة فى المدينة متصلة دائمة .

وقد بكر حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وصاحبا المعالى محمد صالح حرب باشا وعبد القوى أحمد باشا بالاستعداد لزيارة أم درمان تنفيذاً للبرنامج الموضوع ، فانتشر رجال البوليس بملابسهم البيضاء على طول الطريق من سراى الحاكم العام إلى أم درمان على مسيرة ١٢ كيلو متراً تقريباً ، لأن أم درمان تقع على الجانب الشرقى للنيل الأبيض تجاه الخرطوم ويصل بينهما جسر كبير تمر به السيارات وقطارات الترام الذى يبدأ من الخرطوم ويطوف بشوارعها ثم يتجه إلى أم درمان ويخترق طرقاتها أيضاً .

وأعدت السيارات التى تقل البعثة أمام سراى الحاكم ووقفت سيارة ضابط بوليس المرور الذى يسير دائماً فى طليعة الموكب وخلفه سيارة رفعة الرئيس فسيارة الوزيرين فالسيارات التى تقل المرافقين لهم وبهذا النظام اخترق الموكب شارع كتشنر على النيل فالجسر الكبير متجهاً إلى أم درمان بين حفاوة منقطعة النظير من الأهالى على جانبى الطريق وهتافات حماسية بحياة المليك المفدى " فاروق الأول " ورفعة على ماهر باشا بطل مصر والسودان وكان الرئيس يتقبل التحية ويردها شاكراً .

وصل الركب إلى أم درمان فى الساعة العاشرة والدقيقة الـ ١٥ فكانت المدينة فى حماسة تعجز القلم والبيان .

فى المتحف الخليفى

بدأت الزيارة بالمتحف الخليفى أو بيت السيد عبد الله التعايشى خليفة السيد المهدى صاحب الدعوة المعروفة باسمه فى السودان ، وقد أصبح متحفاً فريداً جمعت فيه كل آثار الخليفة وأسلاب الحروب التى

غنمها جيشه فى المواقع الحربية التى دارت بينه وبين الجيشين المصرى والإنكليزى منذ نصف قرن .

وتفقد الرئيس أقسام المتحف المختلفة وطاف بأرجائه وشاهد محتوياته وبينها مخلفاته الشخصية ونقوده وساعته وملابسه ومخطوطاته وبينها سجلات عديدة لمخطوطات السيد المهدى ونظام طريقته الصوفية وأورادها المعروفة (براتب المهدى) وأعلام جيشه ، وكانت الزيارة ممتعة تولى الشرح فيها ضابط إنجليزى كبير هو المختص بالمتحف ، وكان عم "كوكو أغا" حارس المتحف يقدم تحياته إلى الرئيس ويغمره بالدعاء ، وكان هذا الرجل التركى الأصل ـ على الرغم من سواد لونه ـ خادما خاصاً للخليفة ، ويبلغ عمره اليوم ٧٥ سنة .



(كوكو أغا حارس المتحف)

حفلة التجار

وكان تجار أم درمان قد أعدوا سرادقا فسيحاً فى الفضاء الكبير الواقع أمام المتحف الخليفى وقد احتشدت فى هذا السرادق ألوف المدعوين من العلماء والأعيان والتجار والطلاب ، وزينت جوانبه بالأعلام المصرية الخضراء ، وأقيمت فى صدر السرادق صورة مكبرة لجلالة المليك المفدى تحيط بها الأعلام من الجانبين وصفت المقاعد المذهبة وفرشت الأرض بالسجاد العجمى النفيس ، وكان الاحتفال عظيما بمظاهره ومعانيه ، فقد تدفقت حماسة المدعوين والتهبت أكفهم تصفيقاً ، ودوت الأرجاء بالهتافات العالية بحياة مليك النيل المفدى ورفعة الرئيس وصاحبيه ، واستقبل رفعة الرئيس وصاحباه على باب السرادق بحفاوة عظيمة تجلت فيها عواطف الثقة والتقدير الكامنة فى نفوس إخواننا السودانيين نحو مصر ورجالها الأوفياء . وكان بين المدعوين كبار رجال القضاء والإدارة وشيوخ المعهد الدينى وكبار طلابه واستقر بالزائرين المقام فى صدر السرادق حيث أديرت عليهم أكواب المرطبات وصحاف الحلوى ، وأطلقت فى أرجاء السرادق روائح البخور العطرية الجميلة ، ثم تقدم الشاب الوجيه على البرير أفندى فألقى خطابا قيما ، ضمنه أبلغ المعانى وأسمى العواطف ، وشرح فيه تقدير السودان لهذا الاهتمام السامى من جلالة المليك المفدى برفاهية النيل وأبنائه ، ودلالة هذه الزيارة الكريمة التى يقوم بها رفعة على ماهر باشا وصاحباه اليوم ، وما تجلى فيها من شعور الوفاء المتبادل بين الأخوة الأحباب ، وقد قوطعت خطبته كثيراً بالاستحسان الشديد والتصفيق المتصل ثم ختمت بالهتافات لجلالة المليك

ورفعة الرئيس وصاحبيه ، وانتهى الاحتفال بعد أن مضى رفعة الرئيس وقتاً فى تبادل أحاديث المودة مع من كانوا بجواره فى السرادق ، وعزفت الموسيقى السلام الملكى المصرى إيذانا بانتهاء الحفلة ، فقام الحاضرون إجلالا وودعوا الرئيس بأكرم مظاهر الحب والإعزاز .

فى المعهد الدينى

وقصد الركب الميمون إلى المعهد الدينى بأم درمان لزيارته فكانت مظاهر الحماسة والحفاوة منقطعة النظير ، وكانت هذه الزيارة عميقة الدلالة على معانى الاهتمام الخاص الذى تتجه به مصر نحو السودان وثقافته ، فالمعهد الدينى بأم درمان هو فرع الدوحة الوطيدة الشامخة التى غرستها يد المعز بالقاهرة المحمية ، فمضت على الدهر منذ ألف عام تقريباً نبراساً للعرفان الدينى ومشعلا يرسل النور فى آفاق العالم الإسلامى كله .

المعهد الدينى بأم درمان بنظامه اليوم هو صورة الأزهر الشريف يوم كانت حلقات الدرس فيه وحرية الإلقاء والتلقى منبعاً غزيراً للعقول الخصبة الجبارة التى حملت رسالة العلم والدين ونشرتها فى دنيا الحضارة الإسلامية تلقيناً وتأليفاً . ولا تزال الدراسة فى أم درمان على نظامها الجامعى الذى عرفه الأزهر قبل أن تعرفه أقدم جامعات الدنيا كلها . يتحلق الطلاب جالسين حول الأساتذة يسمعون ويناقشون ، وتلقى عليهم العلوم الدينية والفنون المتصلة بها ، وينهلون من هذا المورد العذب السائغ الذى يكاد يفقده النظام الثقافى ويطغى عليه سيل المدنية الجارف فينضب ويغيض ، ولكن الله حفظه قديماً وسيحفظه مستقبلا ببقاء مثل هذا المعهد بالسودان يرث تقاليد الأزهر ويحييها فتنمو وتؤتى ثمارها دانية القطوف .

ويبلغ عدد طلاب المعهد الديني اليوم نحو ألف طالب وعدد أساتذته ٢٢ شيخاً بعضهم من علماء الأزهر وبعضهم من خريجي معهد أم درمان .

ووصل رفعة الرئيس إلى دار المعهد فتصعد التكبير في أرجائه وشملت الفرحة الجميع وفي موجة من الحماسة القلبية والدعاء الصادق ، دخل الزائر العظيم يتفقد المعهد ونظامه وهو مغتبط بما يراه على الطلاب من مظاهر النشاط والذكاء وكان على باب المعهد أصحاب الفضيلة قاضي القضاة رئيس لجنة المعهد والمفتي وأعضاء مجلس الإدارة وهيئة التدريس الذين صافحهم رفعة الرئيس وحياهم أجمل تحية . ثم اتجه رفعته وصاحباه إلى ساحة المعهد الداخلية حيث انتظمت الطلابَ حلقاتُ التدريس ، وكان أحدها درس في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فكانت المناسبة سعيدة وكانت تحية عارضة من المعهد للزائر الجليل ، وجلس الرئيس وصاحباه بين الطلاب قعوداً على الحصير يستمعون ويعجبون بشرح الأستاذ وذكاء الطلاب وفطانتهم ، وأخذ الرئيس يتنقل بين الدروس يقف عند كل حلقة حسبما يتسع الوقت ثم ينصرف إلى أخرى ، وهكذا حتى انتهت مواعيد الدراسة ، فهب الطلاب يرسلون هتافاتهم من أعماق القلوب تحية لمصر ولمليكها المفدى ولرجل مصر والسودان على ماهر باشا ولصاحبيه العظيمين . وأقبلوا يتنافسون على التحية ملتفين حول الرئيس في فرح وغبطة وسرور وحماسة وشق العلماء للرئيس طريقاً بين هذا الجمع الحاشد ليصل إلى إدارة المعهد حيث استراح ومن معه في غرفة شيخ المعهد ، وقدمت المرطبات والحلوى وتبارى الخطباء والشعراء يرسلون التحايا ويعربون عن شعورهم نحو مصر ومليكها الصالح ، وآمالهم في تقدم

السودان وتوطيد تعاليم الإسلام ومدنية الإسلام فى ربوع السودان العامرة بفضل العناية التى يبذلها جلالة المليك الصالح "فاروق الأول" أيده الله .

كتاب الله . . . خير هدية

وكان من جميل المناسبات أن قدم رفعة الرئيس إلى شيخ المعهد وعلمائه نسخاً من القرآن الكريم مغلفة أجمل غلاف هدية منه ، كما أهدى للمعهد ثلاثين مصحفاً شريفاً لتكون جوائز مباركة تمنح للمتفوقين من الطلاب فى الامتحانات فوق الجوائز المالية التى منحت للمعهد وهى ريع بعض سندات الدين الموحد التى رصدت كجوائز باسم جلالة المليك المفدى "فاروق الأول" حفظه الله .



الرئيس بين طلاب المعهد الدينى

وقد ذكرنا فى اليوم الماضى تبرع رفعة الرئيس للمعهد بمبلغ ألف جنيه لمعاونة المعهد فى رسالته الدينية الجليلة .

وزاد الرئيس تفضلا فأمر بصرف مائة جنيه أخرى لينفق منها على مأدبة غداء تقام للطلاب غداً ، وسرت أنباء هذه العناية وهذا العطف فى الطلاب وفى الأهلين فشملتهم حماسة عرفان الجميل وتقدير هذا الصنع النبيل.

وانتهت زيارة المعهد كما بدأت فى مظاهر الفرح المؤثر والإجلال العميق واحتفالا بهذه الزيارة منحت إدارة المعهد الطلاب إجازة فى اليوم الثانى .

فى ملجأ القرش

أدى رفعة الرئيس حق العلم والدين ، ثم اتجه لحق البر والخير يؤديه مشكوراً ، حيث زار ملجأ القرش الذى يضم الأيتام من الأطفال لترعاهم مبرات المحسنين وخيرات القادرين ، فكانت الزيارة مظهراً آخر لهذه العواطف الدافقة التى تغمر قلب الرئيس ، وفاضت بركاتها على الفقراء والمعوزين بمصر خيراً فى كثير من المناسبات ثم هى تغمر السودان أيضاً فى هذا العطف الرحيم ، واستقبل الرئيس عند مدخل الملجأ بعزف الموسيقى من فريق الكشافة بالملجإ . وكان رفعته قد أمر بتوزيع الكسوة والحلوى على أبناء الملجإ فأعدت كمية كبيرة من هذه الهدايا ، وبعد أن تفقد الرئيس أقسام الملجإ ومعروضاته وزع بيده الهدايا على الأطفال فى عاصفة من الدعوات والهتافات ومظاهر الفرح والتهليل .

وكان الرئيس مشرق الوجه بشراً وحبوراً وهو يسعد هؤلاء الأطفال بالبر ويشملهم بالعطف وعيناه تلمع بأشعة الرحمة يفيض بها قلبه الكبير ، ويداعب الأطفال الفرحين وهم يتسلمون كسوتهم ونصيبهم من الحلوى .

وكان الرئيس قد تبرع لهذا الملجأ بمبلغ ٣٠٠ جنيه ، وعند انتهاء الزيارة أهدى للملجإ مصحفاً ليكون بركة وخيراً فتقبلوه شاكرين .

العودة الى الخرطوم

وقد انتهز صاحبا المعالى حرب باشا وعبد القوى باشا فرصة هذه الزيارة وقصدا إلى ثكنات الجيش حيث تفقداها وسرتهما حالة النظام والصحة والرفاهية التى يتمتع بها الجنود . ثم التقى الجمع بعد هذه الزيارات فى الطريق إلى الخرطوم عائدين لتناول طعام الغداء على مائدة وكيل الرى المصرى بشجرة غردون ، وقد عاد الركبُ إلى الخرطوم مشيعاً بأبلغ مظاهر الحماسة والإجلال .

على مائدة وكيل الرى

أعد الأستاذ إبراهيم زكى وكيل الرى المصرى مأدبة غداء بداره بضاحية الشجرة حضرها رفعة الرئيس وصاحبا المعالى الوزيران وبعض الطيارين المصريين وجمهور كبير من الأعيان والموظفين ، وقد استقبل رفعة الرئيس وودع بالحفاوة البالغة عائداً إلى سراى الحاكم العام استعداداً للعودة إلى أم درمان فى المساء .

أكلة شهية على مائدة السيد المهدى

وكان حضرة السيد الكريم عبد الله الفاضل المهدى قد وجه دعوته لأعضاء البعثة المرافقة للزعيم ، لتناول الطعام الوطنى على مائدته بقصره فى أم درمان فلبينا الدعوة وقصدنا إلى داره العامرة وكان معنا من الأصدقاء والإخوان ٤٥ مدعواً ، وكان صاحب الدار قد أعد المائدة

على قسمين أحدهما على الطراز الحديث حول «الموائد»، والآخر على الأرض المفروشة بالسجاد الفاخر حول « السماط » ووضعت حشيات ريش النعام المكسوة بالحرائر الغالية وقدمت لنا ألوان الطعام الشهى من الدندى والأسماك والطيور والخضراوات والحلوى ، وكان أشهى مافى المائدة « الكِسْرهْ والمُلاح » فأكلنا هنيئاً وشربنا المرطبات و" الجَبَنَهْ " مريئاًوقضينا وقتاً طيباً سعدنا فيه بأحاديث المودة والإخاء، وبعواطف الكرم والترحيب ؛ و «الكسرة والملاح » هما الطعام الوطنى فى السودان ، وطريقة عمل « الكسرة » أنها تتخذ من دقيق القمح أو الأذرة وتكون «العجينة » لزجة فتصب من فنجان صغير على لوحة من الساج محماة على النار وتفرش باليد سريعاً فتخرج رقيقة كورق السجائر ، وتوضع ساخنة فى أطباق كبيرة من الخوص ثم تقدم للضيوف ، ومعها الملاح وهو الغموس يتخذ من الملوخية مع قطع اللحم المفروم ، ويسمى « ملاح خُضره » أو « ملاح ويكه » وهو المتخذ من البامية الخضراء أو « ملاح أم رجيجة » يتخذ من البامية الناشفة أو « ملاح الشرموط » يتخذ من شرائح اللحم البقرى المجفف ، إلى آخر مايعرف من أسماء الأطعمة ، والمطبخ السودانى يمتاز بألوان الطعام التى تضاف إليها المواد الحريفة ، وتصبح شهية خفيفة على المعدة سهلة الهضم مهما كثرت كمية الأكل منها .

وكانت المائدة مظهراً للترف البالغ الذى ينعم به ثراة السودانيين فى قصورهم فقد قدمت ألوان الطعام فى صحاف من الفضة الخالصة مثل أدوات المائدة التى استعملها المدعوون جميعاً ، وكانت أكواب الماء والمرطبات من أفخر البلور الرقيق والخدم الذين كانوا يشرفون على المائدة من أنظف ماتراه العين

وأدق مايطلب من خيرة (السفرجية) فى أرقى القصور وأفخم الفنادق .

وبعد أن انتهت المائدة وفرغنا من الأحاديث الطلية أزف موعد الرحيل إلى الخرطوم لنكون فى ركاب الزعيم عند عودته إلى أم درمان فانصرفنا شاكرين مودعين أجمل توديع .

العودة إلى أم درمان

وفى الساعة الخامسة مساء عاد الركب تتقدمه سيارة رفعة الرئيس إلى أم درمان التى كانت لاتزال فى الشوارع الفسيحة متلهفة على العودة متحمسة فى التحية ، وقد سرت فيها أنباء التبرعات لمعاهد العلم ودور الخير ، فهزت القلوب عرفانا بالجميل وشكراً لمصر على العطف والبر والرعاية والخير . وأطلقت الألسنة بالدعاء للمليك المفدى .

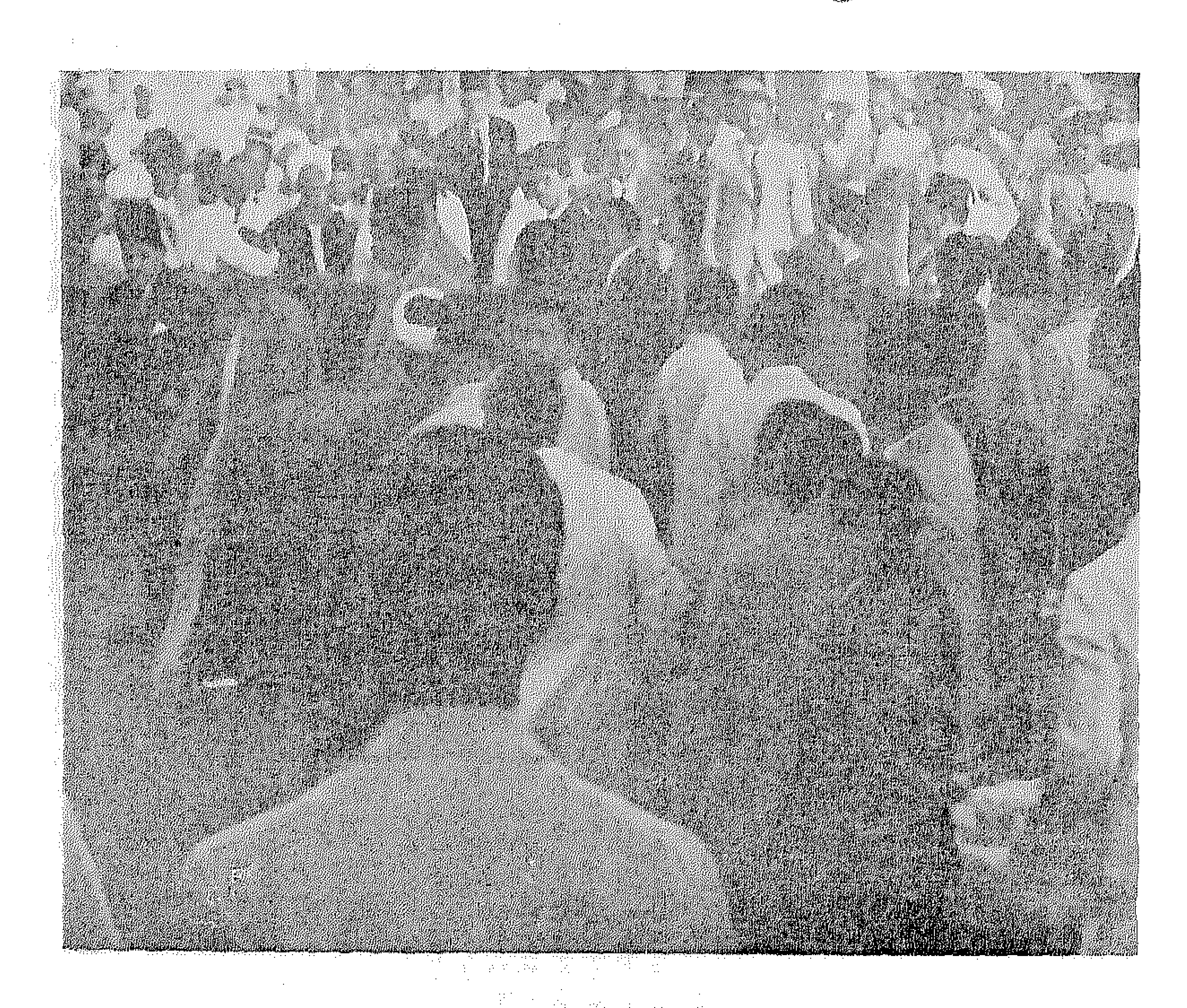
حفلة الخريجين

وكانت العودة إلى أم درمان تلبية لدعوة مؤتمر الخريجين إلى حفلة شاى أنيقة أقيمت بنادى أم درمان ، وقد زينت دار النادى بالأعلام المصرية والورود والرياحين ووضعت مكبرات الصوت فى الشوارع المحيطة بالنادى حتى يتسنى لألوف الجماهير الحاشدة هناك أن تسمع مايدور فى الحفلة من خطب وقصائد ، وكان الخطباء يقاطعون بالتصفيق والهتاف فتشاركهم السيدات من نوافذ الدور وسطوحها بالزغردة والدعاء ، وكانت أنغام الموسيقى تشنف الأسماع بألحانها الشجية حتى انتهت الحفلة ، وقد جئت بوصف مادار فيها قبل ذلك (راجع صحيفة ٦٥)

وبعد أن انتهى الخطباء والشعراء من كلماتهم البليغة الحماسية وقف حضرة

صاحب المعالى عبدالقوى أحمد باشا فألقى خطابا رائعاً قويا شكر فيه للسودان ممثلا فى المؤتمر عواطف الإخاء والمودة منوهاً بما يضفيه جلالة المليك المفدى على وادى النيل وأبنائه من رعاية واهتمام وحب وإعزاز تقديراً لعواطف الولاء القلبى الذى يتفجر من قلوب السودانيين الأعزاء ؛ وأشار إلى البرقيات الملكية السامية التى تحمل العطف الملكى الكريم على السودان والتمنيات العالية بالسعادة والرفاهية للسودان " الذى تربطنا به روابط لاتنفصم عراها " .

وقد ختم معاليه كلمته بالهتاف لجلالة المليك المحبوب فردد الحاضرون هتافه وقوفا فى أروع مظاهر الحماسة والإجلال .

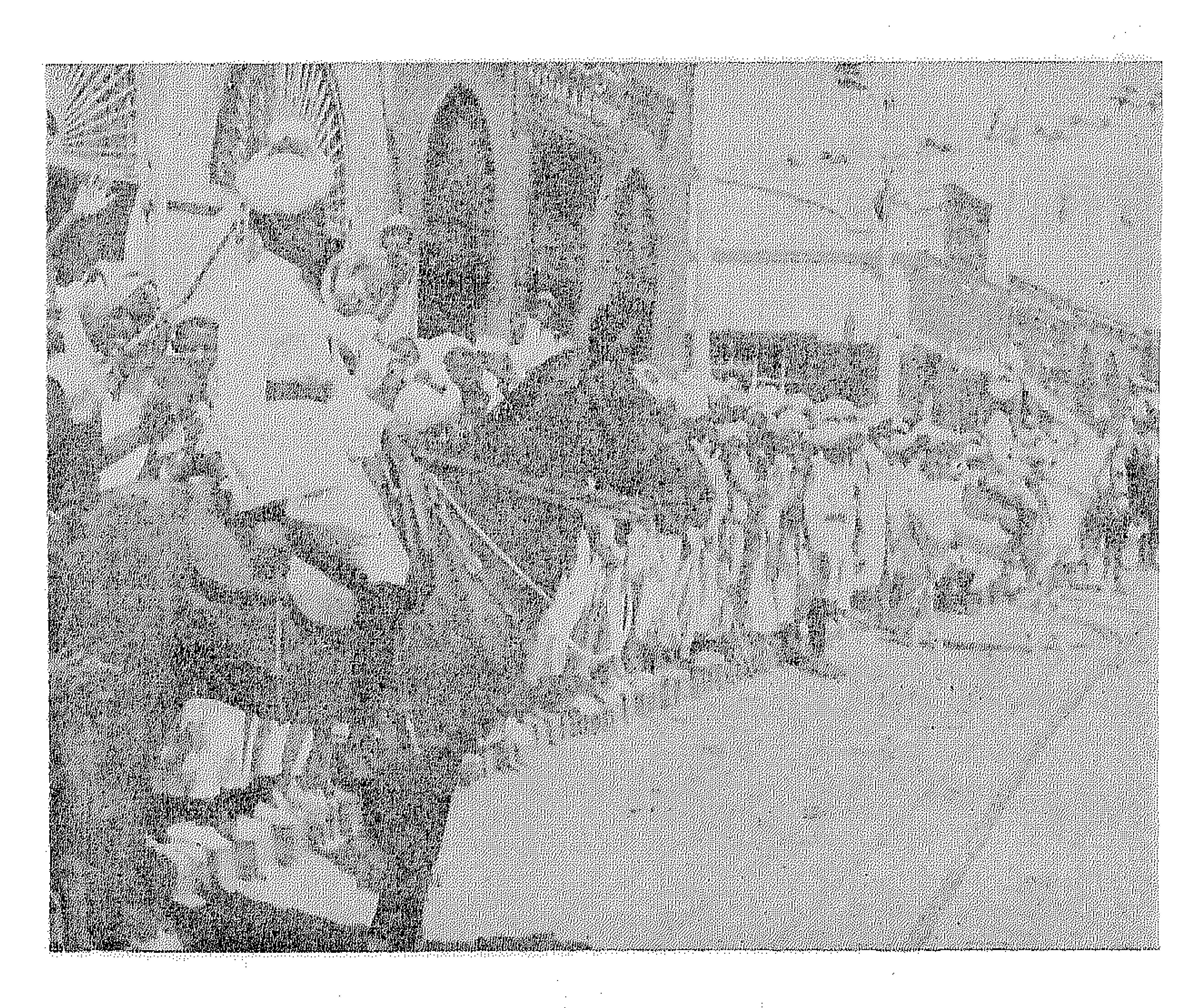


(حفلة مؤتمر الخريجين)

ثم وقف حضرة سكرتير المؤتمر فأعلن شكره باسم المؤتمر لرفعة الرئيس على التبرع بمبلغ ٥٠٠ جنيه للنادى وللمؤتمر وختمت الحفلة بالسلام الملكى المصرى فوقف الحاضرون تحية وتعظيما .

في شوارع أم درمان

وعاد الركب الميمون إلى الخرطوم وسط مظاهر من الحماسة والحفاوة كان أروع مافيها الدعاء الطاهر ينبعث من القلوب وترddه الألسنة "يحيا فاروق زين الشباب" "يعيش فاروق الملك الصالح" "يعيش ملك النيل المحبوب"



(الجماهير فى شوارع أم درمان)

وغمرتنا نشوة الفرح بهذه الدعوات الصادقات تنطلق من أفئدة مطهرة فتصعد إلى عنان السماء، مستجابة مقبولة، وتزاحمت ألوف الخلائق حول الركب تهتف وتهلل، فلم تفلح قوات الجنود فى صدها عن سيارة الرئيس العظيم الذى كان يرد التحية وعيناه تلمع بالدمع من فرط التأثر بهذه المظاهر الوطنية الرائعة، وانطلق الركب إلى الخرطوم مودعا بصادق الدعاء وخالص الوفاء.

الى الخرطوم

عدنا إلى الخرطوم فى نحو الساعة السابعة مساء حيث أقيمت حفلة أخرى بنادى السودان وهو الذى يضم الجالية الإنجليزية فى الخرطوم، وكانت حفلة جميلة حضرها معالى الحاكم العام والموظفون الإنكليز وعقيلاتهم وتبودلت فيها مظاهر الصداقة والمودة بين المصريين والحلفاء، وكانت الموسيقى تشنف الأسماع بأنغامها العذبة. ثم انتهت الحفلة وودع الرئيس بالإجلال والتكريم.

العشاء الرسمى

وأقيمت فى المساء مأدبة عشاء رسمية فى سراى الحاكم العام تكريماً لرفعة الرئيس وصاحبيه حضرها كبار الرجال الرسميين فى السودان بملابسهم الرسمية والنياشين، وقد كانت هذه الحفلة بالغة غاية الأناقة، وبعد انتهائها قضى المدعوون السهرة فى السراى.

اليوم السادس

الخميس ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٠ — بدأ هذا اليوم بتوافد عدد كبير من مختلف الطبقات ومن جميع أنحاء السودان على سراى الحاكم العام لتحية رفعة الرئيس فغصت الغرفات المخصصة لسكرتيرية البعثة بالزائرين الذين كانوا يستقبلون بالترحيب ويعربون عن عواطفهم وشعورهم نحو جلالة المليك المفدى ومصر العزيزة ورفعة الزعيم كما تلقى الرئيس فى هذا اليوم هدية قيمة قدمها الزعيم السودانى المعروف الأمير يوسف الهندى وهى سيوف أثرية مرصعة بالأحجار الكريمة ومحلاة بنقوش ذهبية وكذلك قدمت أمثالها لحضرتى صاحبى المعالى عبد القوى باشا وحرب باشا فتقبلوها شاكرين ، وأرسل رفعة الرئيس برقية شكر رقيقة للأمير يوسف أعرب فيها عن تمنياته القلبية لسيادته بالصحة والرفاهية .

فى منزل عامر باشا

وكانت الدعوة قد وجهت إلى رفعة الرئيس بالتلغراف من القاهرة من المغفور له صاحب السعادة إبراهيم عامر باشا لتناول طعام الإفطار بمنزله بأم درمان ، وإنابة حضرة صاحب المعالى محمد صالح حرب باشا صهر عامر باشا فى الترحيب برفعة الرئيس فى هذه الزيارة الكريمة ، وقد لبى رفعة الزعيم هذه الدعوة تكريماً لعامر باشا هذا الرجل الذى فقدته البلاد وهى أحوج ماتكون لأمثاله من العصاميين النافعين الذين وثقوا

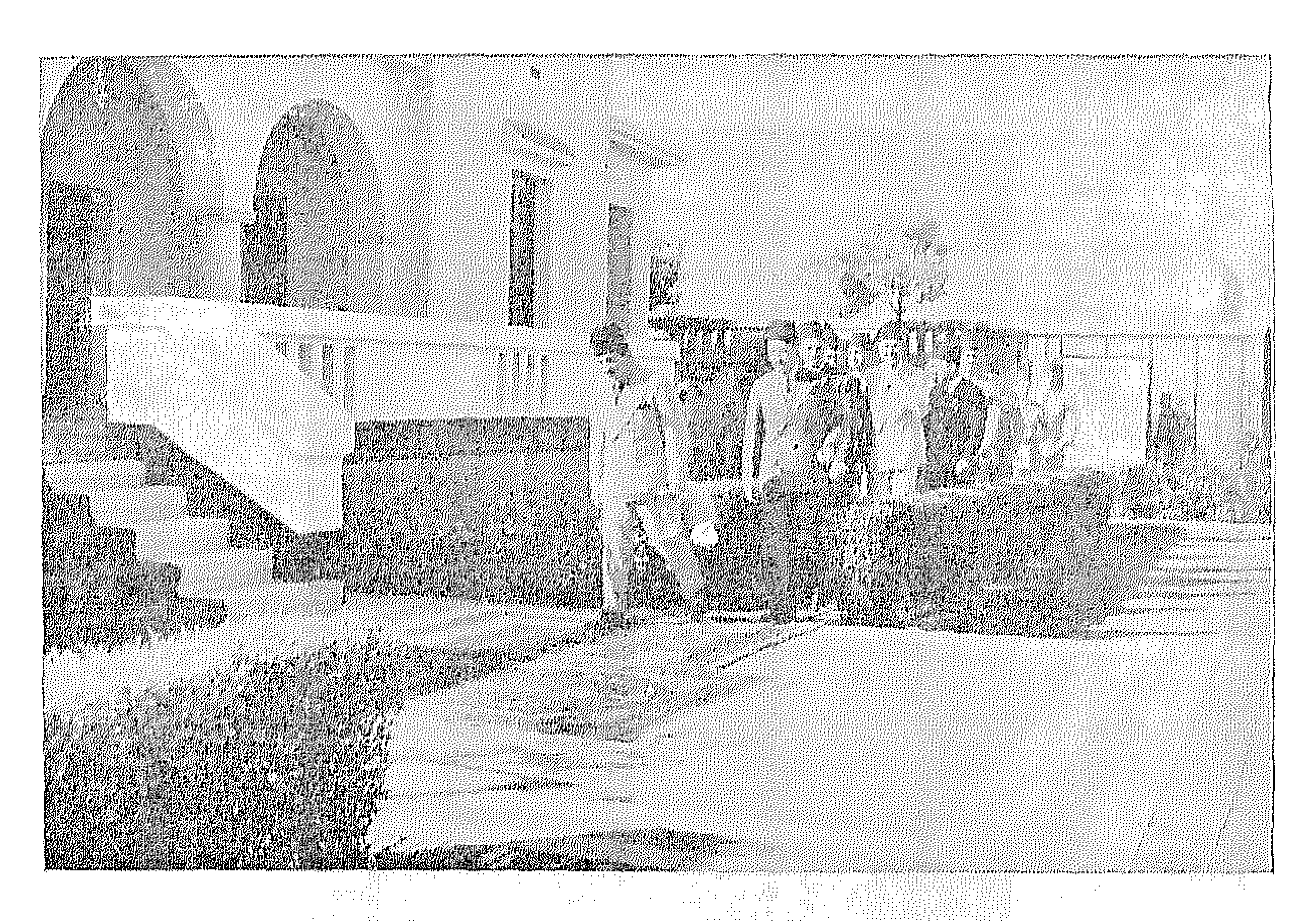
روابط الاتصال الاقتصادى بين مصر والسودان والذى كانت حياته سجلا مشرفا للخلق القويم فى المعاملات الصادقة ، والأساليب الشريفة فى التجارة والاقتصاد .



المرحوم إبراهيم عامر باشا

اتجه الركب الميمون من الخرطوم فى الساعة التاسعة صباحا مقلا رفعة الزعيم وصحبه الكرام إلى دار المغفور له إبراهيم عامر باشا بأم درمان ، فوصل إليها فى الساعة التاسعة والنصف بعد أن اجتاز الطريق وسط عواصف التحية الحماسية ، والهتافات القلبية . وكان فى استقبالهم جمهور من أعيان أم درمان ومعالى حرب باشا ووكيل دائرة عامر باشا ، وتناول الرئيس ومن معه طعام الإفطار على المائدة التى أعدت لهذه الضيافة

الكريمة ، وتجلت عواطف النبل فى تصرفات رفعة الرئيس حين كان يتعهدنا بالرعاية على المائدة .



فى منزل عامر باشا

ودار الحديث حول الاستعداد لمأدبة الغداء التى أعدها رفعة الرئيس فى هذا اليوم فى (الجراند أوتيل) بالخرطوم لنحو ٣٠٠ مدعو من صفوة العظماء والكبراء والموظفين والتجار والأعيان السودانيين والمصريين والإنكليز رداً لتحيتهم ، فكان رفعة الزعيم يقول لنا " أنا لا أحب أن أراكم فى هذه الحفلة ضيوفاً .. يجب أن تعتبروها دعوة موجهة من كل فرد فيكم لأصدقائه وإخوانه فى السودان ، وأن تعملوا على الترحيب والحفاوة بهم ، فهم إخوانكم وأحبابكم . . " وعاد الرئيس العظيم ليوصينا بهذا ونحن نغادر دار عامر باشا ، ويقول مداعباً : " الذى لا ينفذ هذا منكم سأخاصمه . . " وكان نبلا لم نستطع أن نفيه الحق من الشكر عليه لأن كل واحد من

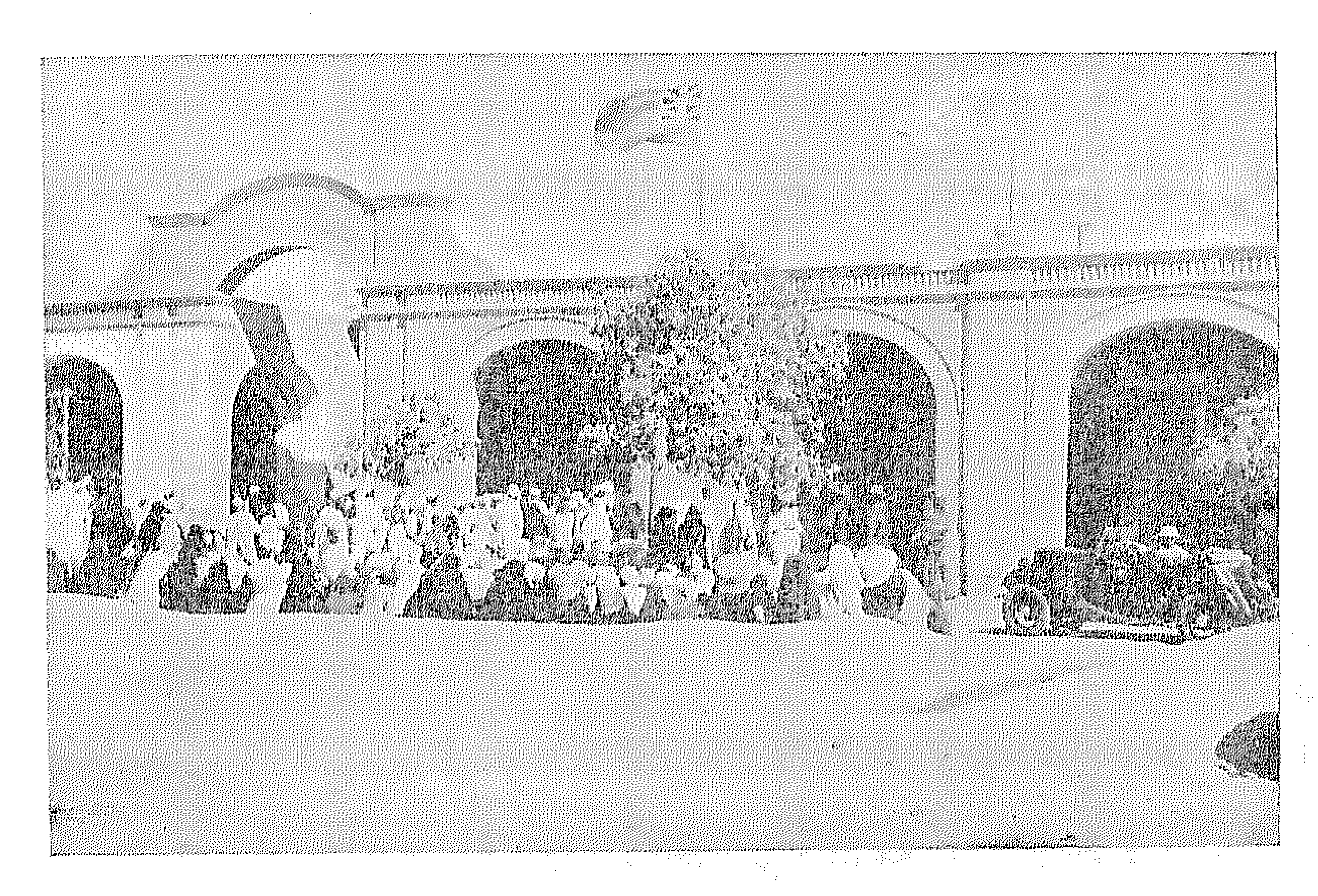
إخواننا فى الرحلة كان قد غمره فيض التكريم من السودانيين ، فأراد الرئيس أن يتيح لنا فرصة الشكر على حسابه .

البر والخير

قصد الرئيس بعد ذلك إلى متجر سعادة عامر باشا بأم درمان ، والبر والخير يلاحقان على ماهر باشا أينما اتجه وحيثما نزل ، فقد انتهز المغفور له عامر باشا هذه الفرصة لإغداق مبرات سخية على الفقراء بأم درمان ، فأمر بتوزيع الأطعمة والكساوى والنقود على الشعب عند تشريف رفعة الزعيم لمتجره ، فتصعدت الدعوات من القلوب ، ينال ثوابها ذلك الرجل الخيّر ، ويرتد فضلها إلى رفعة الزعيم الذى كان سبباً فيها اليوم .

وهزت الأريحية نفوس كثيرين من الأعيان وكبار التجار فى السودان ورأوا — وقد أتيحت لهم فرصة التشرف باستقبال رفعة على ماهر باشا فى بلادهم — أن يبادروا إلى أداء واجباتهم المحتومة على الأخوة الأبرار والأشقاء الأكرمين ، ووجهوا إلى رفعته الدعوات لزيارة دورهم أو متاجرهم ، ولكن رفعة الزعيم الذى لم يكن لديه فسحة من الوقت لتلبية كل دعوة آثر أن يسعد الفقراء والمعوزين بنفقات الحفلات التى كانت ستقام له ، فبادر الداعون الكرام إلى إعلان تبرعاتهم بمبالغ عظيمة توزع على الناس تحية للضيف العظيم وبراً بالفقراء الذين يُعنى بهم رفعته ويحبوهم بالعطف والرفق فى كل حين . وكان فى مقدمة من تبرعوا حضرات السادة الوجهاء : آل أبى العلاء بمبلغ ٢٠٠ جنيه ، والسيد الوجيه على البرير بإطعام خمسمائة فقير فى أم درمان ، والسيد الوجيه محمد عبد المنعم بمائة جنيه ، وقد سلمت هذه المبالغ لفضيلة المفتى ليتولى إنفاقها فى الوجه الذى خصصت له ،

وهكذا نعم المحتاجون ، وسعد المتبرعون ونال رفعة الزعيم ثواب الله ودعاء القلوب ، وكانت آية توفيق تتجدد فى ركاب على ماهر باشا وتسبقه أينما كان . فى مصر أو فى السودان .



توزيع الصدقات أمام متجر ماهر باشا

فى الغرفة التجارية

وانتهت زيارة أم درمان فى أروع مظاهر الحفاوة الوطنية ، وعاد الركب إلى الخرطوم تنفيذاً للبرنامج الموضوع فقصد رفعة الرئيس إلى دار الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم حيث استقبل فيها وودع بالإجلال والتعظيم .

فى دار الحقانية

وقصد رفعته بعد ذلك إلى دار الحقانية متفقداً شئون القضاء فى السودان ، فطاف رفعته بجلسات المحاكم الشرعية والمدنية والجنائية ،

أثناء انعقادها وشهد بعض القضايا المنظورة أمامها واتخذ مكانه إلى جوار قضاتها وهم مشتغلون بالفصل فيما لديهم من القضايا ، وودع رفعته بمثل ما استقبل به من السكرتير القضائى وقاضى القضاة والقضاة والمحامين بالتحية والتبجيل ، ولما أهل رفعة الزعيم قادما هرع المتقاضون لتحيته بالهتاف والتصفيق ، وكان أبلغ ماوقع أن بعض المتقاضين كانوا متنازعين فى قضية مدنية ، فرأوا أن تكون تحيتهم لعلى ماهر رجل الخير والإصلاح وداعية الاتحاد والإخاء من نوع رسالته السامية ، فأعلنوا صلحهم فى الدعوى ، ونزلوا عن الاستمرار فى إجراءاتها فكانت أبلغ تحية .

لمحة عن القضاء

والقضاء فى السودان على أقسام ثلاثة : أحدهما الشرعى ، واختصاصه الفصل فى الأحوال الشخصية والأوقاف والمواريث ، ويتولاه قاضى القضاة ، وهو يختار من كبار رجال القضاء الشرعى بمصر ، وقد أهملت المعاهدة المصرية الإنكليزية أمر هذا المنصب ، وتركت مصيره غامضاً لم ينص فيه على ماهو حق لمصر ، فان التعيين فيه يتم بالصورة الآتية : « تخلى الحكومة المصرية طرف المراد ترشيحه لهذا المنصب ليعين فى وظيفة قاضى القضاة بالسودان ، ثم يكون تعيينه بأمر من معالى الحاكم العام ، وهذا من الأمور التى يجب أن تكون موضع النظر . وكان قاضى القضاة إبان الرحلة هو صاحب الفضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم ، وقد أحيل إلى المعاش فى منتصف العام الماضى . ورجال القضاء الشرعى الآن فى السودان من خريجى كلية غردون ، وبلغ عدد القضايا التى رفعت إلى المحاكم الشرعية فى سنة ١٩٣٨ (١١,١٣٣) والتركات المقدمة لتتولى

إدارتها ٣,٩٨٣ والاستئنافات لأحكام محاكم المراكز ٧٦ قضية ، تأيد منها ٦٠ قضية ، وبلغت الرسوم التى دفعت للقضايا ٦,٠٨٧ جنيهاً .

والثانى الجنائى — ويتولى الفصل فى الجنايات والجنح ، وأكبر منصب فيه للنائب القضائى ، وهو إنجليزى الآن ، وليس بين القضاة بالسودان مصريون ، وعدد السودانيين منهم الآن أحد عشر قاضياً ؛ والقوانين المعمول بها فى السوذان تصدر باسم الحاكم العام . وينقسم هذا القضاء إلى درجتين : العليا ، ويتولاها قضاة من الإنجليز ، ومعهم السودانيين ؛ والجزئية ويتولاها الآن من السودانيين بعض خريجى مدرسة الحقوق بالسودان .

وبلغ عدد القضايا التى صدرت فيها أحكام بمقتضى القانون الجنائى فى سنة ٣٨ — ٣٩ (٢٤,٨٨٤ قضية) وبلغت الإدانات فى قضايا القتل ١٠٧ حكم بالإعدام فيها على ٩٣ متهماً .

والثالث المدنى — ويتولاه القضاة الجنائيون فى المحاكم العليا . وقد زيد أخيراً فى اختصاص القضاة الجزئيين فأصبحوا ينظرون معظم القضايا المدنية حتى يتفرغ أعضاء المحاكم العليا لنظر القضايا الاستئنافية . والجنايات الهامة ، وبلغ عدد القضايا المدنية التى فصل بها فى سنة ٣٨ / ٣٩ (٧,٧٨٧ قضية) حصلت منها رسوم قدرها ١١,٧٠٦ جنيهاً .

ويشتغل بالمحاماة فى السودان عدد قليل من المحامين بينهم اثنان من السودان ومجال العمل فى هذه المهنة فسيح لو فتحت أبوابه للمصريين .

◎◎◎

وهناك نوع من القضاء العرفى يشبه محاكم الأخطاط التى كانت بمصر ، وهو قضاء يتولاه شيوخ القبائل وأعيان البلاد ويحكمون بمقتضى العرف والعادة وحدهما دون الرجوع لأى قانون .

ولغة التقاضى الرسمية هى الإنكليزية والعربية ، وتترجم الأحكام إلى اللغة العربية إذا صدرت بالإنكليزية . أما فى القضاء العرفى فاللغة العربية هى المقررة وحدها .

فى مدرسة الطب

بعد أن فرغ رفعة الرئيس من زيارة دور القضاء قصد إلى مدرسة الطب فتفقد أحوال الدراسة بها وهى مدرسة أنشئت حديثاً وعدد الطلاب بها لا يتجاوز ستة عشر طالباً من السودانيين وهم يتلقون علومهم باللغة الإنكليزية ، وقد سُر الرئيس لما رآه من مظاهر الجد والنشاط على الطلاب ، وتفقد رفعته مستشفى السير لى ستاك باشا والمتحف الطبى ، وأمر بتوزيع الحلوى والنقود على الفقراء من المرضى كما أمر بمنح عشرين جنيهاً للخدم الممرضين بالمدرسة والمستشفى والمتحف . وكل هذه المؤسسات تقوم فى بناء واحد كبير على أحدث طراز . وانتهت الزيارة فودع الرئيس بالحفاوة والتعظيم .

مأدبة الغداء الكبرى

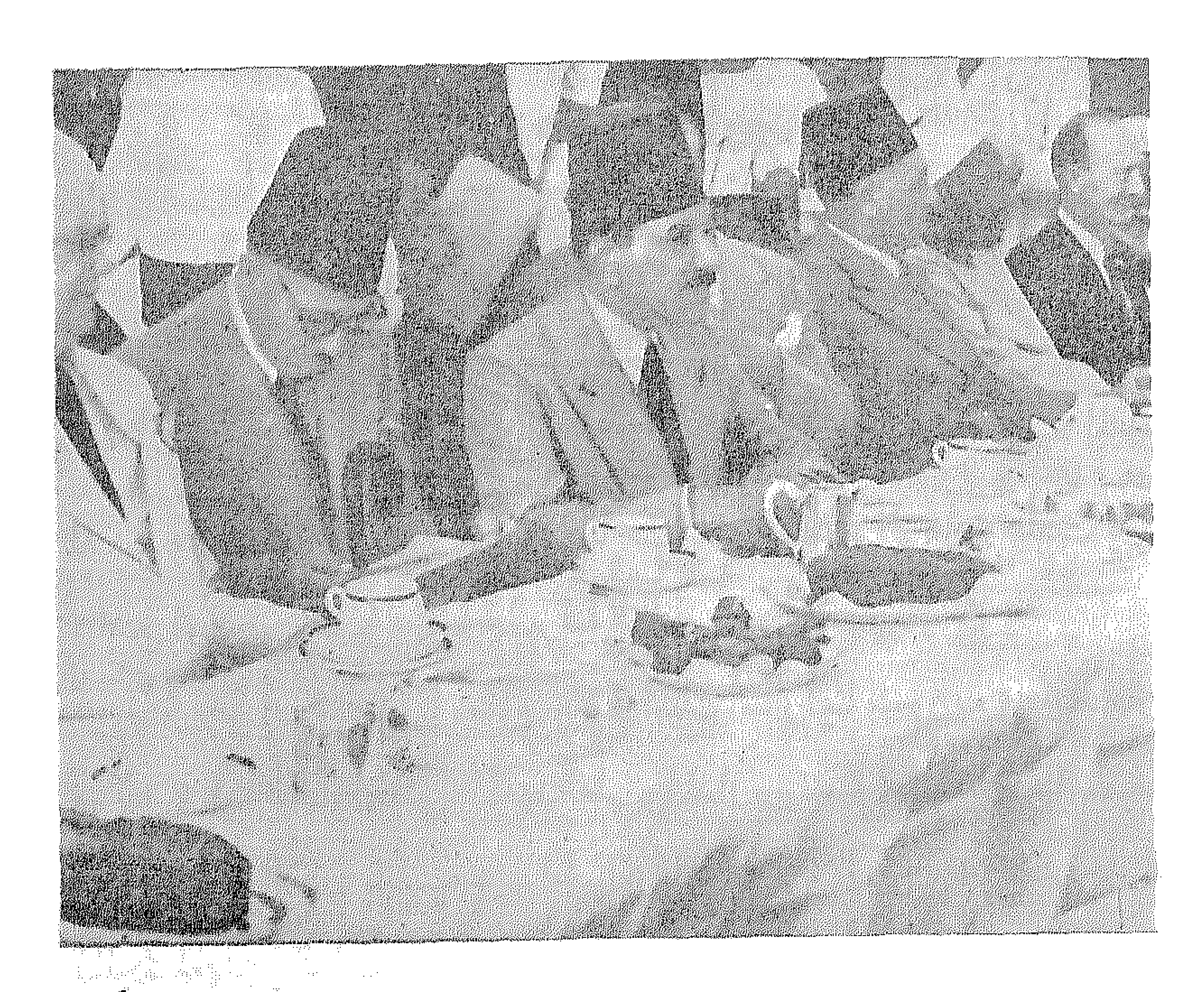
وفى الساعة الواحدة والنصف بدأ توافد حضرات المدعوين لمأدبة الغداء الكبرى التى أقامها رفعة الرئيس (بالجراند أوتيل) وفى مقدمتهم معالى الحاكم وصاحبا السعادة السيدان الكريمان على الميرغنى باشا وعبد الرحمن المهدى باشا ، والمستشارون وكبار الموظفين ، والعلماء والتجار والأعيان ، وكان رفعة الرئيس يستقبلهم بالبشاشة والترحيب ومعه صاحباه الكريمان عبد القوى باشا وحرب باشا ، وكان أعضاء البعثة المرافقة للزعيم يرشدون المدعوين إلى أماكنهم ، ويبادلونهم عواطف

المودة والإخاء ، وقد تجلت فى هذه الحفلة ظواهر الديمقراطية الصحيحة ، فكانت عقيلات المدعوين من الإنجليز وغيرهن من سيدات الجاليات الأجنبية فى السودان يجلسن مجاورات للسودانيين وغيرهم من المدعوين ، كما كانت الأحاديث على المائدة بين الجميع كلها مجاملات صادقة ومودة قلبية ومشاركة جميلة فى عاطفة التقدير لمصر ولرفعة الزعيم العظيم .

وكانت الموسيقى تشنف الأسماع بالألحان الشجية ، وعند مادخل الرئيس القاعة الكبرى ، حيث صفت الموائد مزينة بالورود والرياحين ، استقبله المدعوون وقوفا مصفقين ، ولما استقر بهم المقام جلس الرئيس وإلى جانبيه السير سايمز وكريمته المسز سايمز ، وحولهم المدعوون الكرام ، وكان صاحب السعادة السيد عبدالرحمن المهدى باشا متوعك الصحة فلم يشأ أن يعتذر من عدم الحضور ، وآثر أن يحضر ثم يقدم اعتذاره شخصياً ، فتأثر رفعة الرئيس بهذه المجاملة الرقيقة ، وشكر لسيادته تجشمه مشقة الحضور وودعه بالتحية والإجلال ، وقد استمرت ألحان الموسيقى وأحاديث المدعوين تضفى على المكان وعلى الحفلة مظاهر البهجة والحبور حتى انتهت الحفلة بالسلام الملكى ، فانصرف الحاضرون شاكرين للرئيس دعوته وحفاوته .

زيارة الأحياء الوطنية

وفى المساء طاف رفعة الرئيس ومعه معالى الحاكم العام منفردين بأحياء الخرطوم الوطنية ، وكان معاليه يقود السيارة بنفسه ، وقضيا فى هذه الجولة وقتاً طيباً تحللا فيه من القيود الرسمية ، ثم عادا فى رعاية الله إلى سراى الحاكم العام .



الرئيس فى حفلة الخريجين بأم درمان
وترى فضيلة الشيخ دقنه المفتى السابق وحرب باشا وعبد القوى باشا والوزير المفوض لامريكا بمصر

عند آل أبي العلاء

وكان الوجيه السيد مصطفى أبي العلاء قد وجه دعوته لبعض الرفاق فى الرحلة لتناول طعام العشاء على مائدته فى سرايه بأم درمان فقصدنا إلى هناك واستقبلنا بالترحيب والإكرام ، وقدمت إلينا الأطعمة الشهية ، ومنها "الكسرة والملاح" ومضينا السهرة فى هذا المنزل العامر محوطين بعواطف المودة والإخاء نتذاكر روابط الوحدة بين مصر والسودان ، وسرنا إن سيدة الدار مصرية من صميم العائلات العريقة فى مصر ، وإنها هى التى أعدت لنا الملاح الشهى الذى طعمناه ، وعدنا إلى الخرطوم شاكرين لمضيفنا كرمه ، وبذلك انتهى اليوم .

اليوم السابع

الجوائز الملكية بالسودان

الجمعة ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٠ — أرسل حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا إلى حضرة صاحب السعادة عبد الوهاب طلعت باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة البرقية التالية :

" نرجو أن ترفعوا إلى مقام جلالة الملك أننا رأينا منح ريع ٢١ سند دين موحد فى مسابقات للجيش والمعهد العلمى والمدارس تيمناً بعيد ميلاده السعيد؛

ونرجو الإذن بتسمية هذه الجوائز باسم مولانا الكريم ، وباسم جلالة الملكة لمعهدى البنات .

نقوم حالا إلى ملاكال . العودة يوم الأحد للخرطوم "

على ماهر

فتلقى رفعته الرد التالى :

حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء

أتشرف بإبلاغ مقامكم الرفيع أنى رفعت إلى مقام مولاى صاحب الجلالة ما رأيتم من منح ريع ٢١ سند دين موحد فى مسابقات للجيش والمعهد العلمى والمدارس والتماس الإذن بتسمية هذه الجوائز باسمه الكريم وباسم جلالة الملكة لمعهدى البنات تيمناً بعيد ميلاده السعيد ، فصدر النطق السامى الكريم بالموافقة على ذلك .

وأرجو أن تتفضلوا بقبول أصدق تمنياتى مع فائق التحية والاحترام "

عبد الوهاب طلعت

فى الطريق الى ملكال

بكرنا بالقيام من الخرطوم فى هذا الصباح وقضى الطيارون ومساعدوهم الليل فى الكشف عن الطائرات وإعدادها للرحلة المنتظرة إلى أعالى النيل ، وحوالى الساعة السادسة صباحاً كان مطار الخرطوم حافلا بجمهرة كبيرة من الأعيان وكبار الموظفين المصريين والسودانيين ، ووصلت سيارة رفعة الرئيس ومعه الياور الإنكليزى لمعالى الحاكم العام فاستقبلته فرقة شرف من الجنود أدت له التحية كما انتشر على جانبى الطريق من السراى إلى المطار عدد كبير من الجنود السودانيين مشاة وفرسانا ، وبعد أن اكتمل عقد المسافرين دوت محركات الطائرات استعداداً للقيام ، فركب رفعة الرئيس وصاحباه الطائرة الموفقة وركبنا الطائرات الأخرى ، وبدأ تحليق السرب تباعاً حتى انتظم فى سماء الخرطوم ، مشكلا على صورة مثلثات فى وسطها الطائرة المقلة للرئيس ، وطاف الطيارون حول الخرطوم عدة مرات ثم اتخذوا سمتهم إلى الجنوب فى رشاقة ونظام دقيق ، وكان منظر الشروق ساحراً أخاذاً ، فنعمنا بمشاهدته ، وبرؤية الألوان المختلفة التى تظهر فيها الجبال والوهاد والغابات مابين أحمر وأسود وأبيض وأزرق ، ومررنا فوق خزان جبل أولياء المؤسسة المصرية الخالدة ، فكان منظره فاتناً .

والجنوب من السودان هو الجزء الذى لم تغمره المدنية بنورها حتى اليوم ، إذ لا يباح الانتقال إليه حتى للسودانيين أهل الشمال إلا بتصريح خاص يحدد الغرض من السفر ومدة الإقامة إلى آخر القيود التى توضع فى وجه من ينتقل بين دولة وأخرى .

كان الجو صحواً ، والسفر مريحاً . وافتن الطيارون فى أساليب القيادة تارة يتقاربون بطائراتهم ، حتى يميز الركاب فى كل طائرة رفاقهم فى الطائرات الأخرى ، وتارة يبتعدون فتصبح الطائرات كأنها نسور سابحة فى الفضاء ، وأخرى يهبطون إلى مسافات قريبة من الأرض ، ورابعة يحلقون فى أجواز الفضاء إلى ألوف الأقدام ارتفاعاً ، ونحن فى خلال ذلك نتسامر ونقضى الوقت مابين القراءة أو لعب بالشطرنج ولا شىء يشغل البال بعد الاطمئنان إلى مهارة الطيارين وقوة الطائرات ، واجتزنا سفوح الجبال ووديانها ، ومجرى النيل تبدو لنا من حوله القرى والبلدان كقطع من أحجار الشطرنج على رقعة فسيحة مترامية الأطراف .

النزول فى كوستى

وصلنا إلى مطار كوستى بعد ثلاث ساعات ونصف للتزود بالوقود ، فكان فى استقبالنا عدد من الموظفين الإنكليز والسودانيين والجنود وعمال المطار ، وتقدم مفتش المديرية فصافح رفعة الرئيس وقدم إليه الحاضرين واحداً فواحداً ، وأعرب الزعيم عن رغبته فى الطواف بالمدينة ريثما تحمل الطائرات حاجتها من « البنزين » ولم يكن بالمطار غير سيارة واحدة تصلح لركوب المسافرين ، فاستقلها رفعة الرئيس وصاحباه ومعهم مفتش المديرية وطافوا بأسواق المدينة ، ثم عادوا بعد نصف ساعة ، وكانت هذه المفاجأة السارة مبعثاً لحماسة الأهلين الذين احتشدوا حول الرئيس مرحبين هاتفين ، ثم انطلقوا يلاحقون السيارة متسابقين على الدراجات أو على الأقدام حتى أشرف بعضهم على المطار بعد مسيرة أربع كيلومترات ، ولم يتمكنوا من الوصول إلينا لأن السرب كان قد بدأ

تحليقه فى الجو على مسافة قريبة من الأرض فشاهدنا جموع الأهلين تلوح بأيديها وبشيلان العمائم فكان منظراً مؤثراً .

لمحة عن كوستى

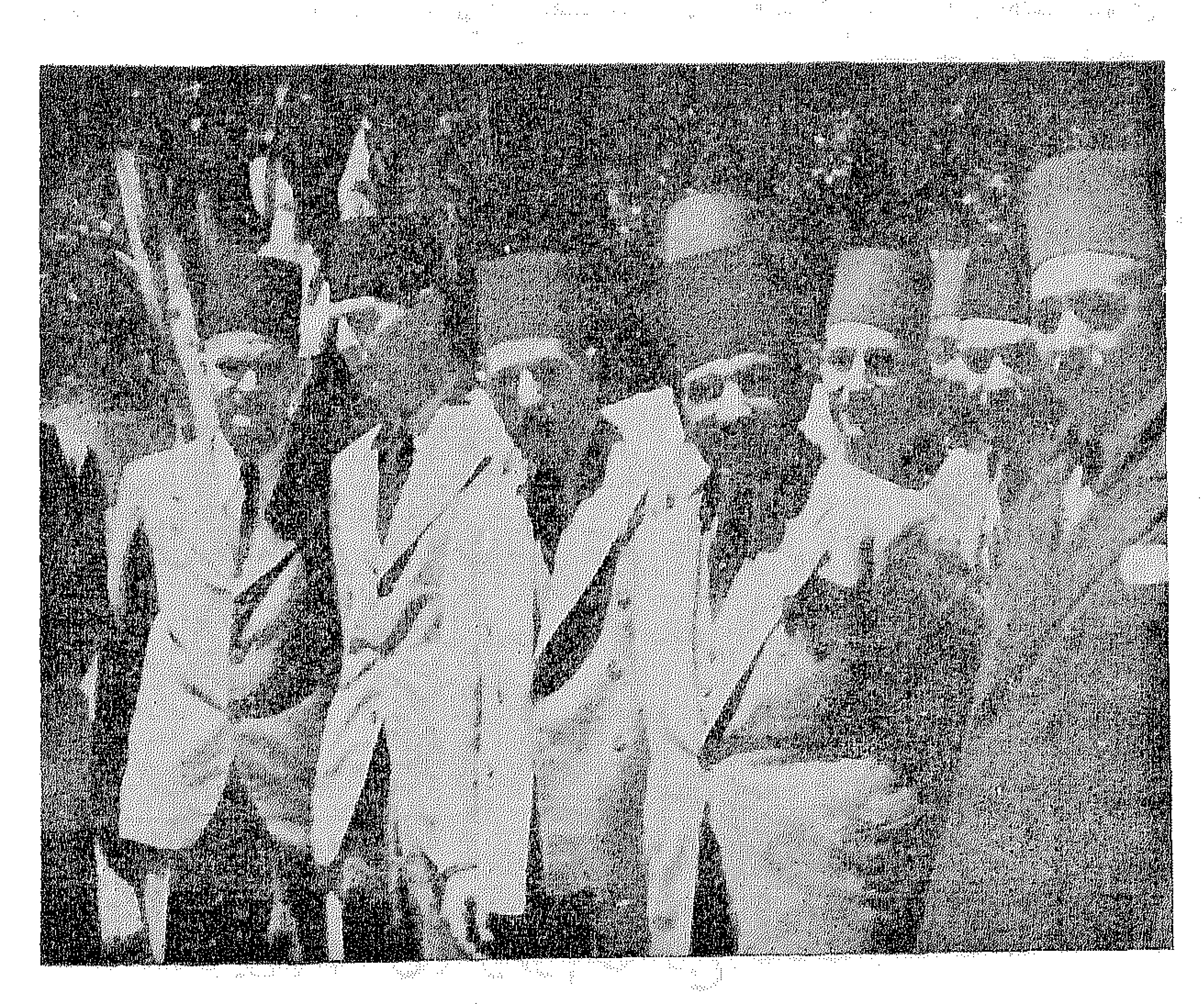
هذه المدينة أسسها تاجر يونانى اسمه "كوستى" فى سنة ١٩٠٤ ، وهى مركز تجارى هام للمحاصيل الزراعية والماشية ، وبها بورصة لتحديد الأسعار ونظامها دقيق ومطمئن للبائعين والمشترين فلا غبن ولا إرهاق ، فإن التجار يحضرون إلى السوق - وهو مكان فسيح مسور فى طرف المدينة - ومعهم بضائعهم فتقيد أسماؤهم وأسماء المشتركين فى البورصة ويعطى لكل تاجر ورقة ونمرة نحاسية ، ويودع بضاعته مكانا معيناً ثم يأخذ ملاحظ السوق فى النداء على البضاعة وكميتها بثمنها الأساسى ، فيتقدم التجار للمزايدة ، فإذا انتهت إلى رقم ما ، عرضه الملاحظ على البائع ، فإن قبله تمت الصفقة وإلا فسخت وأعيد المزاد وهكذا ، وإذا تمت الصفقة أعطى الملاحظ للبائع ورقة رسمية بها اسمه ونوع بضاعته وقيمة الثمن وتاريخ اليوم ، وهذه الورقة بمثابة صك قابل للتحويل يتعامل به التجار كأوراق النقد تماما .

والأسعار فى بورصة كوستى تنقل بالتلغراف إلى المراكز التجارية فى السودان فتكون مقياساً لتحديد الأسعار اليومية فى أغلب المناطق .

الوصول الى ملاكال

نزلت الطائرات فى مدينة ملاكال الساعة الثانية عشرة والنصف فقطعنا الطريق إليها من الخرطوم فى أربع ساعات ونصف تقريباً بعد اختزال الوقت الذى قضيناه بكوستى ، ومدينة ملاكال مركز هام للرى

على النيل وبها تفتيش للرى المصرى فيه عدد كبير من الموظفين المصريين ، وقد تجمعوا فى ساحة البناء الذى يشتغلون فيه انتظاراً لمقدم الرئيس ، وعند النزول بالمطار كان فى استقبال الرئيس جناب مدير المديرية الجنوبية وكبار الموظفين الإنكليز والمصريين ولفيف من كبار التجار بملاكال وناظر المدرسة الإسلامية بها ، وبعد التحية الرسمية استقل القادمون السيارات فى طريقهم إلى بناء المديرية حيث كانت جموع الأهالى على طول الطريق تهتف وتصفق ، وعندما أهل الرئيس على المصريين المقيمين فى ملاكال اشتعلت حماستهم فهرعوا إلى السيارات وأحاطوا بها ودموع الفرح تغلب هتافهم ودعاءهم للمليك المفدى ولمصر والنيل والسودان ،



الرئيس بين موظفى الرى بملاكال

وكانت فورة الحماسة فى التحية تهز المشاعر وتحرك القلوب ؛ وتقدم كبير موظفى الرى بالسودان صاحب العزة محمد على الألفى بك إلى رفعة الرئيس مستأذنا فى تقديم الموظفين إلى رفعته فأذن فى ذلك مغتبطاً وصافحهم فرداً فرداً ، وسألهم عن صحتهم وإقامتهم فأبدوا سرورهم وانشراحهم لأنهم يخدمون الوطن فى هذه الأماكن القاصية ، وأعربوا عما يلاقونه من إخوانهم السودانيين من عواطف المودة والرعاية ، فحمد لهم الرئيس نشاطهم وشعورهم ، وانصرفوا هاتفين بحياة الفاروق المفدى سيد الوادى ومليك النيل وحياة المصلح العظيم "على ماهر باشا".

فى معهد السيرم

استقل الرئيس ورفقته السيارات إلى معهد السيرم الذى يجهز فيه الأطباء الأمصال ، مستقطرة من دماء أبقار خاصة. وكانت بالمعهد ساعة الزيارة أبقار أعدت للنحر فقام بذلك جماعة من زنوج "الشيلوك" العراة وأعملوا خناجرهم فيها ذبحاً وتسليخاً ، وهم يرددون أغانيهم ، ولما رأونا تطلعوا إلينا قليلا ثم انصرفوا إلى عملهم بهمة فائقة ، فصاح بهم أحد الضباط الإنكليز يأمرهم بتحية الزائرين العظام ، فهبوا واقفين وأحنوا رؤوسهم بالتحية ، وكانوا كما ولدتهم أمهاتهم عراة مجردين ... اللهم إلا أقراطاً تحلى آذان الرجال ودمالج حول سواعدهم وعقوداً تتدلى فوق صدورهم ، وقد صففوا شعورهم الطويلة وعقصوها على أظرف طراز تنشده "المودة" فى صالونات التجميل للنساء. وبالغ بعض الشبان منهم فثقب أنفه وأذنيه ووضع فى كل ثقب قطعة من (الغاب) إمعاناً فى الزينة واستجلابا لنظر الفتيات فى القبيلة . وقد يحلى خصره بنطاق من جلد النمر مرقش بالخرز الأحمر يستر من جسده مكانا غير ما يجب أن يستر .!

زيارة معهد السيرم

قضى الرئيس وصحبه فى زيارة معهد السيرم وتفقد نظامه وقتاً غير قصير ، ثم قصد الركب بالسيارات إلى مسافات طويلة نحو الغرب فاجتزنا نحو ست كيلو مترات فوق أرض سوداء خصبة قوية هى أمنية الزراعة وطلبة الزارعين ، وكان العجيب فى هذه القفار الشاسعة أن السيارة تجد طريقها هيناً أينما اتجهت ، فالأرض مبسوطة كأنما هى طريق معبد ، وكان يرافقنا فى سيارتنا ضابط إنجليزى لطيف الحديث يتقن اللغة العربية ويعرف لغة الشيلوك ويخاطبهم بها ، وهو معين فى منصب (قائمقام) على الرغم من صغر سنه لأنه يعرف هذه اللغة ، ودار بينى وبينه حديث شيق استخلصت منه الكثير عن العادات والتقاليد فى قبائل الزنوج التى نحن فى الطريق إلى زيارة إحدى « حِلاّتِها » أى قراها (راجع صحيفة ٥٢) .

مع الزنوج

ووصلت السيارات إلى قرية نائية تقوم المساكن فيها مفرقة وهى أكواخ من الغاب المضفور بالألياف مخروطية الشكل لها فرجة ضيقة يدخلها الإنسان منحنياً ومنها يدخل الرجل وزوجته وأولاده والماعز والهواء ثم تخرج روائح تشمها الأنوف على أبعاد طويلة .

واستقبلنا الأهالى بمظاهرة تقليدية ، فقد تجمعوا وارتدوا جلود النمور حول أوساطهم وتزينوا بأفخر مالديهم من زجاج وخرز وريش وصفائح وحملوا رماحهم المرهفة ودروعهم السميكة المصنوعة من جلود الحيوانات ثم دقت طبول الحرب وانقسمت القبيلة فرقتين ترقص كل منهما على

نغمات الطبل المدوى التى تصم الآذان ، ودبت الحماسة فى الرؤوس وملكتهم نشوة الرقص ، فنسوا كل شيء وتعالت صرخاتهم وحمى وطيس التنافس بينهم ، وهم يهزون الرماح بسواعدهم ، ويمثلون حالة الطعان ، وجرح أحدهم برمح زميله ، فانشق كتفه وخشينا العاقبة ، ولكنه مال على الأرض فاحتفن من ترابها وملأ الجرح الغائر الذى لا يقل عن عشرة سنتيمترات طولا . واستمر فى رقصته كأن لم يكن شيء ..

فكاهة

وكان المنظر رائعاً يستأهل التسجيل السينمائى فنشط المصور لأداء واجبه واقترب بآلة التصوير يلتقط مايراه وإذا به يجد نفسه قريباً من الراقصين .. ويحسبهم مقبلين نحوه يصرخون ويهزون الرماح ويقرعون بها الدروع . فنسى أن الأمر تمثيل وقذف بالآلة وولى هارباً يشاركهم الصراخ بفارق واحد هو أنه كان فزعا . . !

ولم نتمالك نفوسنا ضحكا أمام هذا المنظر ، فمضينا نلاحق صاحبنا حتى ظفرنا به يذوب فزعاً ورعباً وعدنا به نطمئنه حتى اقتنع وعاد للتصوير .

ورأونا ندخن السجائر ونشعل أعواد الثقاب فمضوا يعلنون سرورهم بهذه « اللعبة » وطلبوا منا « السجائر » فأعطيناهم منها وقامت مشكلة الكبريت . . . فداعبناهم بإعطائهم الأعواد وحدها دون العلب التى تقدح عليها ، فكانوا يدهشون إذا رأونا نشعلها ويجاهدون فى ذلك فلا يعرفون ، وكان أحدهم ذكياً فأشار إلينا أن نعطيه العلبة أيضاً ومضى يفعل كما فعلنا بين تهليل القبيلة وسرورها ، وراحوا يدورون به يقولون له كلاما لانعرفه ، ولكنه إعجاب بلا شك !

حمامات باردة

ومن أعجب مارأيناه أكواما من الرماد الأبيض متخلفة عن روث البقر محروقاً يندس فيها الزنوج حتى أعناقهم ويطمرون بها أجسادهم إذا اشتد القيظ فيبتردون بها . وإلى جوار كل كوخ تقوم حظيرة الأبقار التى يملكها صاحب الكوخ . ونظام عيشهم بدائى يقوم على استنبات الدخن أو الأذرة المعروفة بالعويجة ، يصنعون منها لقوتهم اليومى مع ألبان البقر والماعز وأسماك النيل ولحوم الماشية ، ويستخرج أحدهم السمكة من النهر بعد أن يقذفها برمحه فيلتقطها ثم يضعها على النار قليلا ويزدردها شهية ممتعة . هذه المخلوقات التعسة التى تتخذ تلهية للزائرين وتعرض على الأنظار ـ ماذنبها حتى تعيش هكذا ...؟!

لقد كان من أبناء هذه القبائل من أسعده الحظ فاكتسى وأقام بالمدن وتعلم ونبغ وتكشفت كوامن الذكاء الفطرى فيه ، فماذا لو امتدت يد العناية فأخرجتهم من هذه الظلمات التى تفرضها عليهم العزلة المحتومة .!! وألح علينا العجب والأسف وفارقناهم عائدين إلى المدينة .

فى المدرسة الإسلامية

رجع الرئيس وصحبه إلى مدينة الملاكال حيث طافوا بالمدرسة الإسلامية الوحيدة فى هذه البلدة وهى بناء متواضع يضم أبناء العمال والموظفين المقيمين بالملاكال وتلقن فيها مبادىء القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم وعدد طلابها نحو ٧٠ طالباً ، وقد ارتفع هتافهم للمليك المفدى ولمصر وللزائر العظيم ، وطاف الرئيس بصفوفهم متفقداً مسروراً

وألقيت بين يديه كلمات الترحيب وتبرع لهم بمبلغ من المال معاونة وتشجيعاً . وقد دار بيني وبين أحد الطلاب حديثاً قصيراً كشف عن الحب القوى الذى يتملك السودانيين للفاروق المفدى (راجع صفحة ٨٥) .

الغداء

وانتهت الزيارة وعاد الرئيس إلى منزل جناب المدير ليتناول طعام الغداء على مائدته . وأعد لنا الغداء على مائدة أخرى باستراحة المطار . فتناولناه انتظاراً لموعد الرحيل .

فى أسواق الملاكال

وانتهزت الفرصة فمضيت إلى السوق يرافقنى الضابط الإنكليزى الظريف ، وهناك وجدنا المتاجر تقوم فى عدة شوارع فسيحة وبها البضائع من الأقمشة والمأكولات والمصنوعات المحلية القائمة على جلود الحيوانات والأخشاب ، وكان أظرف ما وقع لى أننى دخلت متجراً فوجدت به رجلا مسناً أسمر اللون يرتدى جلباباً فضفاضاً وعمامة كبيرة وينتعل مركوباً فأقرأته السلام فرده بأحسن منه ثم قدم لى نفسه . . . فإذا به الخواجا خريستو . . . من اليونان . . . أقام هذا الرجل بالسودان فى هذه المنطقة يتاجر ويربح وتأملته فلم يعد بينه وبين السودانيين فارق إلا فيما احتفظ به لنفسه من دين . وتنقلنا بين المتاجر وقد تزاحمت حولنا الجموع الحاشدة ترحب وتحيي ونحن نتقبل التحية شاكرين ، واشتريت عدداً من « مباسم التدخين » التى تستعمل فى هذه المناطق وهى قطعة من الغاب طولها ٣٠ سم فى نهايتها أنبوبة من الفخار على شكل رأس الأسد توضع بها كمية من الرماد

وفوقها جمرات النار ثم تحشى بالدخان ويمسك بها المدخن من حبل معقود بطرفيها ؛ وقد رأيت زنوج الشيلوك يحملونها ويدخنون بها فى لذة ونشوة.

وتكثر بالسوق أصناف ريش النعام والعاج وحوافر النمر والأبقار والخرز والعقود والأقراط ؛ والنقد المتداول فى السودان عامة هو النقد المصرى أو الإنكليزى ، وبلغ عدد النقد المتداول فى السودان سنة ١٩٣٩ (١,٨٢٧,٠٨١) جنيهاً بعد أن كان فى سنة ١٩٢٧ (٢,٢١٧,٢٨٩) جنيهاً ، والسبب هو هبوط أسعار الحاصلات.

وعدد سكان مدينة الملاكال نحو ٧ آلاف نسمة أكثرهم من التجار والموظفين والعمال ، ويفد على المدينة الزنوج من قراهم يبتاعون مايحتاجون إليه بثمن مايجلبونه من ماشية أو جلود أو حيوانات يصطادونها من القفار الشاسعة. وعدنا من جولتنا إلى مرسى البواخر النيلية حيث وقفت باخرتان كبيرتان (درافور ومصر) وهما تابعتان للرى المصرى ومكثنا فى انتظار وصول رفعة الزعيم.

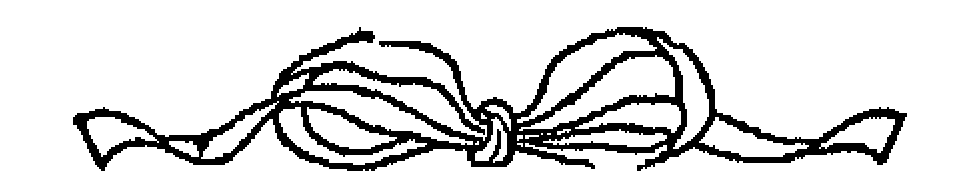
رحلة الى أعالى النيل

تحركت الباخرتان بعد وصول رفعة الرئيس الساعة الثالثة والنصف فى الطريق إلى نهرى السوباط والزراف ، وقد استقل الزعيم الباخرة (درافور) ومعه صاحبا المعالى الوزيران ومحافظ ملاكال والألفى بك ، وركبنا الباخرة (مصر) ومعنا الطياارون المصريون وبعض موظفى الرى المصريين الذين كانوا يشرفون على نظام الرحلة وراحة المسافرين بعناية بالغة.

وودعتنا الجماهير على المرسى خير وداع هاتفة للمليك المحبوب ولمصر

والسودان ولرفعة على ماهر باشا . وانطلقت الباخرتان فى النيل الأبيض فنعمنا بجو جميل منعش بعد أن كابدنا حرارة اليوم بالملاكال ووصلنا نهر السوباط الساعة السادسة مساء واتجهنا فيه إلى جهة تقابل إحدى البعثات الإمريكية المقيمة هناك ، ثم عدنا ثانياً إلى مصب النهر عند بحيرة " نو " ، ثم عدنا إلى النيل الأبيض ، وكان الجو صحواً جميلا والبدر مكتملا مضيئاً ، وكنا نرى على الجانبين قرى الزنوج وهم عراة وقد أوقدوا حول أكواخهم النيران إرهابا للوحوش المنتشرة فى الغابات .

ووصلنا إلى نهر الزراف فى الساعة الثانية صباحا ودخلنا فيه ونحن نيام بعد سهرة ممتعة قضيناها ونحن فى حجرات الباخرة المجهزة بالسلك الدقيق لمنع الناموس ، وكان الدكتور الناقة يتعهدنا بالإشراف كل لحظة ويعطينا أقراص (الكينين) مناعة من ناموس الملاريا . وكنا قد استحضرنا بنطلونات من الجلد السميك تنتهى بحذاء ملتصق بها (تزلك) وقفازات من الجلد أيضاً ، ولكننا لم نجد حاجة لاستعمالها ، فقد قضينا الرحلة وعدنا منها والجميع فى أوفر صحة وأهنأ حال .



اليوم الثامن

الطبيعة الساحرة

السبت ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠ — مضى الليل والباخرتان فى طريقهما ببحر الزراف ، ونحن نيام حتى أشرقت الشمس فأصبحنا على أجمل منظر تراه العيون من بدائع الطبيعة ، فهذه الغابات الفسيحة من أشجار الصمغ ساهمة فى الآفاق على سيقانها الحمراء الجميلة ، وفوقها الطيور الملونة النادرة من (مسز جراى) إلى الببغاوات ، إلى طيور الغابات الاستوائية ذات المناقير الحمراء والمخالب السوداء والريش الملون بكل ما تعرفه ألوان الطيف على أجمل نسق وأروع تناسب ، وهذه القردة والنسانيس تقفز وتصرخ ، والغزلان والتياتل والوعول تجرى وتلعب ، ووحيد القرن يمشى مختالا ، والزراف ينطلق بين الأشجار يتناول طعامه من أعاليها بفمه ، والنعام يتهادى بريشه الأسود والأبيض ، والنمور تنساب بين الأدغال متلصصة عسى أن تظفر بوعل أو غزال فتبطش به ثم تأكله شهياً . والأسود تنطلق فى الأحراش مخيفة مرهوبة ، والأفاعى الضخمة ملتفة على جذوع الشجر ، والتماسيح تسبح فى النهر أو تسكن على شاطئه فاغرة الفم تنتظر الفريسة من طفل يعبث أو رجل ينشد صيد النهر فتقضم ساقه بضربة واحدة من الفكين ، وأصوات كل هذه المخلوقات تتجاوب بها الأصداء وتتردد فى آفاق الغاب ، وبينها تغريدة فتانة من

بلبل طليق يستهويه جمال الروض فيغنى ، كل هذا تراه عيناك وتسمعه أذناك وأنت فى مكانك على سطح الباخرة ، وكان الجو رطباً والشمس صاحية لافحة ، فلم نطق على أجسادنا غير القمصان واتخذنا فوق رؤوسنا لفائف بيضاء تقيها ضربة الشمس ، ومضينا فى نعيم ماحولنا سابحين نقلب الطرف ذات الشمال وذات اليمين فنقع فى كل لفتة على العجيب الساحر .

الرئيس يصيد تمساحاً

ووقفنا بالباخرة أمام إحدى القرى المنتشرة على جانبي النهر ، وبدت المسافة بين الماء والشاطىء قريبة وهمّ بعضنا بالنزول إلى الأرض فصاح به جندى ممن يرافقون الركب يحذره وينهاه ، فقد كانت هذه الأعشاب والنباتات المتراكمة التى ظنناها أرض الشاطىء إنما هى على سطح الماء .

وأخذ النوتية يضربون عليها بالأخشاب الطويلة لطرد ماعساه يكون فيها من وحوش النهر ، وما هى إلا ضربات قلائل حتى انفرجت فى ناحية قريبة عن تمساح هائل يبلغ طوله ثلاثة أمتار ، فتناول الرئيس بندقية وأطلقها عليه مرتين فجندل التمساح وتركه يتلوى وينفث الدم من جراحه ثم تسكن حركته ويغوص فى النهر .

واطمأن الحراس إلى عدم وجود شىء فى الطريق فوضعوا الأخشاب الطويلة (السقالة) حتى استقرت على الأرض اليابسة ونزلنا نمشى على أرض مكسوة بالحشائش الكثيفة واقتربنا من الزنوج العراة نعطيهم الحلوى والسجائر ونداعبهم وهم فرحون مغتبطون .



(الرئيس فى الزورق)

الرئيس يغادر الباخرة

ونزل رفعة الرئيس وصاحب المعالى عبد القوى باشا فى زورق وهما متلفعان « ببشكيرين » للوقاية من الشمس ومضيا إلى إحدى قرى الزنوج ووزع عليهم رفعته الحلوى والسكر وعقود الخرز الأحمر فتقبلوها فرحين مهللين .



الرئيس يوزع الحلوى على أطفال الزنوج

محاضرة ممتعة

وقد أمر الرئيس بدعوة الجميع ليكونوا معه على الباخرة دارفور ، ومضى يغمرنا بعطفه وأحاديثه الممتعة ثم طلب إلينا أن لانضيع الوقت سدى قائلا " لديكم فرصة طيبة تسمعون فيها شيئاً عن النيل وتاريخه والرى ونظامه ، فعليكم بمعالى وزير الأشغال " وتحلقنا حول معاليه وطالبناه بمحاضرة فلبى الرجاء وأمتعنا بحديث طلى عن تاريخ الرى المصرى المنظم ، وعن جهود المصريين فى ضبط وسائله وصيانة نظامه فى هذه القفار الساحقة منذ عهد المغفور له محمد على باشا الكبير وعن إنشاء خزان أسوان

وتعليته ومشروع السدود بأعالى النيل وإنشاء خزانى سنار وجبل أولياء واتفاقية توزيع المياه لمصر والسودان وكميات التبخر فى مياه بحر الجبل الخ. وكيف أن لمصر الحق الأول فى الانتفاع بمياه النيل لأنه مصدر الحياة والوجود لها ، ومضى يتدفق فى بيانه البليغ ويغمرنا بمعارفه الهندسية الغزيرة حتى حان وقت الغداء فشكرنا له فضله ، وحمدنا لرفعة الرئيس حرصه على أن يستغل الشبان كل فرصة ليعرفوا عن بلادهم ونيلهم علماً وعملا كل مايستطيعون.

◎◎◎

الغداء

تناولنا طعام الغداء ونحن فى أوفر صحة وأهنإ حال ، ثم مضى اليوم كله ونحن نمخر عباب النهر بين هذه المناظر الطبعية الساحرة ، ولم يكن فى البرنامج شيء ، فلنقطع الوقت مع القراء الكرام بحديث عن الزنوج ..!

عادات وتقاليد وطرائف !

قلت إن بعض الزنوج فى معهد السيرم استقبلونا عراة مجردين ، وأن الشاب فيهم يأخذ زينته من الزجاج والخرز وأعواد الغاب ، ويصفف شعره على أشكال لطيفة تظل ثابتة أياما طوالا ، وأعود لهذا الحديث.

فالشاب يطلق شعره ويفتنّ فى زينته مالم يتزوج فان أوشك على ذلك أو تزوج فعلا حلق رأسه وقصد فى التجمل وقاراً ورزانة ، وتقاسيم الوجه فى الرجال والنساء قريبة ولكن لايختلط عليك أمرهما فأنت تعرفهما بمجرد النظر ...

والصداق فى الزواج عدد من البقرات لايقل عن واحدة وقد يصل

إلى الخمس بقرات تبعاً لمكانة الزوجة وكثرة الراغبين فيها . . أما هذا الشاب الذى تجده قانعاً بزوجة أو اثنتين أو أربعاً فهو كاسف البال محسور على أنه لا يملك أبقاراً كثيرة . وإلا فهو يستبدل بالبقرات فتيات قدر مايستطيع ..

ولا بأس فى أن تعلن الزوجة عدم رضائها عن الزوج لأن فلاناً فى القبيلة فيه مميزات أخرى .. وعندئذ تطلب إلى القاضى ـ وقد يكون إنجليزيا ـ أن يطلقها . . . وتعقد المحكمة ويتحلق أهل القرية يسمعون وينتظرون ، فاذا أصرت الزوجة على ادعائها وأصر الزوج على نفى الأسباب ، تجرى المحكمة معاينة ! ويقع الأمر بمحضر من الجميع ، ثم يسوى ما بين الزوج والغريم حتما وتكون الترضية بقرة أو أكثر وقد تتضاءل فتصبح عقداً من الخرز يملكه الغريم ويطمع فيه الزوج ، فيأخذه ثمناً لما جناه وينتهى كل شيء .؟!

والزوجة تقوم بشأن الفلاحة ورعاية الماشية وشئون أطفالها وزوجها فاذا كانت حاملا حرم عليها أن تشرب من لبن البقرات لأن ذلك يلوث تقاليد القبيلة ، ويصيب أهلها بالشر الوبيل . ويسبب العقم فى البقرة الولود .

ولقبائل الشيلوك شيوخ وحكام يتولون القضاء ، فيهم بعرف القبائل وعاداتها وهم وثنيون قبل كل شي ، أما جهود المبشرين الدائبة منذ الفتح الأخير فى إدخال المسيحية إلى قلوبهم فهى جهود ضائعة ، لأنها كلما بنت ورسخت وجذبت هذه المخلوقات إلى حظيرة الكنيسة للعبادة والتقديس ، ثم قدمت باخرة من الشمال عليها تجار أو عمال مسلمون فرست على الشاطىء هرع الزنوج إليها متفرجين مستطلعين ، فاذا أقيمت فرائض الصلاة وأداها هؤلاء التجار أو العمال أو أقاموا "حضرة" يذكرون فيها الله جل جلاله ، سرعان ما ينتقض الزنجى على تعاليم الكنيسة ويتمرد ويذهب يعلن رضاءه

عن "دين الجلابة" فى قريته ، ويلاقى المبشرون عناءً شديداً من كل هذا ، و "الجلابة" فى عرف الزنوج هم العرب السودانيين الذين تلازمهم هذه التسمية متصلة بالنخاسة التى قضى عليها .

بين الكنائس المختلفة

وتنقسم البعثات التبشيرية فى الجنوب إلى أقسام عديدة تبعاً لتعدد المذاهب الدينية المسيحية ، وطالما يقع الخلاف بين هذه البعثات لأن إحدى الكنائس استولت على عدد من المصلين كان يؤدى عبادته على مذهب الأخرى ، وتتدخل الجهات الإدارية للفصل فى هذه المنازعات التى تنتهى برد كل شيء إلى أصله فى الغالب .

وتعطى الحكومة السودانية لهذه البعثات النشيطة ـ التى كرست حياتها وأموالها فى سبيل غاياتها ـ كل مايقتضيه الأمر من عناية ورعاية ، ويظهر أنها تحرص على عدم وجود منازعات فى هذه المناطق ، ولذلك لاتبيح هذه العناية للمسلمين حتى لا يقع الخلف أو الشقاق لتضارب الغايات ، وقد يمتد أثر هذا إلى المسلمين فعلا ممن يقيمون فى هذه المناطق فتراهم يحرصون على مزاولة شعائر دينهم داخل دورهم دون أن يفعلوا ذلك فى العراء ، ومن أعز أمانى السودانيين فى الشمال أن تزول هذه الحال ، وأن تطلق الحريات للجميع فى الجنوب ، وهذه أمنية ستكون بلا شك موضع التقدير لدى المسئولين وولاة الأمور .

ثلاثة أسود فى الغابة

وبينما كانت الباخرتان منطلقتان فى طريقهما والمسافرون عليهما

يرقبون الطريق بالمنظارات المكبرة رأينا ثلاثة أسود على مسافة نصف كيلو من الشاطىء فوقف الركب ، ونزل محافظ الملاكال ، ومفتش الرى ، والطيار صدقى ومصور السينما وبعض الجنود للحراسة ومعهم بنادق للصيد ، وقال رفعة الرئيس للمصور : "إياك أن يأكلك الأسد .. إننا نريد رؤية فيلم لصيد الأسود لا لصيدك . ! " ولم يمكن اصطيادها لأنها توغلت فى الغابة واندست بين الأحراش : واكتفى المصور بتسجيل صورة لها على بعد كبير ، ثم عاد يدل علينا بالشجاعة والبطولة بعد أن فقدهما يوم عطبرة ، وفى "حلات" الشيلوك بالملاكال . ! !

عند قرية

ورست الباخرتان عند قرية للشيلوك فى الساعة الرابعة مساء . وكان أهلها مشتغلين بقطع الأخشاب من الغابات وحزمها إعداداً لنقلها وبيعها بأسواق السودان ، فلما رأونا أقبلوا نحونا فرحين صارخين بلغتهم الغريبة تحية وترحيباً ، وكنا قد قطعنا ٥٠ كيلو متراً فى بحر الزراف وأصبحنا على مقربة من خط الاستواء بيننا وبينه ٨,٥ درجة وبيننا وبين القاهرة نحو ١٣٧٠ ميلا ونزل رفعة الرئيس عند هذه القرية ووزع على أهلها الحلوى والأطعمة والنقود ، ثم عاد ونحن معه إلى الباخرة وقفل الركب عائداً إلى الملاكال .

قضاء الليل فى الطريق

وغربت الشمس ونحن فى اتجاه مضاد لها فكان منظرها وهى تنحدر فى الأفق أخاذاً رائعاً ، كأنما تغيب فى الماء ، وأظلم الليل وسكنا إلى غرفاتنا نقطع الوقت بالحديث وفى « الشطرنج » وبعد العشاء آوينا إلى مضاجعنا والباخرة تسير . وكانت رحلة ممتعة .

اليوم التاسع

الأحد ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٠ — قضينا الليل ونحن فى الطريق إلى الملاكال عائدين من الرحلة إلى أعالى النيل ، ورست بنا الباخرتان عند الشاطىء ونحن نيام فى الساعة الرابعة صباحاً ، ومكثنا فى الباخرتين إلى الساعة السادسة حيث أعد لنا طعام الإفطار ونقلت الأمتعة إلى المطار وحضر المستقبلون وتجمع الأهالى وقد استيقظوا مبكرين وودعوا رفعة الرئيس وصحبه أجمل وداع فى طريقهم إلى المطار مجتازين شوارع المدينة .

مغادرة الملاكال

وقامت الطائرات تقل المسافرين عائدة إلى الخرطوم بسلامة الله ، وكان الجو مليئاً بالضباب والرياح العنيفة ، وسبقت السرب طائرة يقودها الضابط صالح وركب معه الزميل محمد حمزة فوصلا إلى مطار كوستى لتموين الطائرة وانتظرا مجىء السرب لهذا الغرض . وعند ماظهرت الطائرات فى الجو أطلق صالح أفندى « صاروخين » على أرض المطار لإرشاد الطائرات إلى مكانه فنزل السرب طائرة بعد أخرى حتى استقر على الأرض وزودت بالبنزين ثم استأنفنا السير إلى الخرطوم .

الوصول الى الخرطوم

وصلت الطائرات جميعها إلى الخرطوم الساعة الثانية والدقيقة الـ ١٥ ظهراً

وتخلفت طائرة يقودها الضابط كمال لانفجار إطار عجلتها من شدة الحرارة بكوستى ، وقد أصلحت وعادت إلى الخرطوم فى المساء . وكان فى استقبال رفعة الرئيس الكابتن ليذر ياور معالى الحاكم العام والعميد محمود فهمى السكرتير الحربى ووكيلا تفتيش الرى وكبار الموظفين والأعيان ، فاستقبلوا الرئيس بالتحية وبالتهنئة على سلامة الوصول .

فى شوارع الخرطوم

واستقل رفعة الرئيس وصحبه السيارات إلى سراى الحاكم العام مخترقين شوارع الخرطوم التى كانت تموج بالأهالى الذين كانوا يهتفون ويصفقون بحماسة منقطعة النظير .

وتناول الرئيس والوزيران الطعام على مائدة معالى الحاكم العام وأكلنا نحن فى استراحة الرى رقم ٦ .

حفلة الغرفة التجارية

وفى المساء أقيمت حفلة شاى كبيرة (بالجراند أوتيل) بدعوة من الغرفة التجارية بالخرطوم لم يستطع شهودها رفعة الرئيس لانحراف طفيف ألمّ بصحته الغالية إثر الجهود المتصلة التى بذلها فى التنقل والزيارات طوال الأيام الماضية ، وقد ناب عنه صاحبا المعالى الوزيران عبد القوى باشا وحرب باشا ، وكانت الحفلة غاية فى النظام والبهجة لم يعكر جمالها سوى غياب رفعة الزعيم المحبوب ، وقد تصعدت الدعوات الصادقات من القلوب لله تعالى أن يمتعه بالصحة والعافية .

وقد ألقى حضرة المستر مكارثى رئيس الغرفة ومدير فرع البنك الأهلى

بالخرطوم كلمة الغرفة باللغة الإنكليزية ، فتولى ترجمتها حضرة المسيو تو تنجى عضو الغرفة ، وقد أبدى فيها أسفه الشديد على انحراف صحة الرئيس ، وشكره لصاحبي المعالى الوزيرين ، ثم قال :

" إن مصر سعيدة لأن على رأسها رجلا كعلى ماهر باشا فهو بصفاته الممتازة كفيل أن يضمن الثقة والاطمئنان فى هذا الظرف العصيب . أما عبد القوى بك فليس غريباً عنا لأنه كان مهندساً مقيما لخزان جبل الأولياء ومديراً للرى المصرى بالسودان ، وقد وجد فيه السودانيون صديقاً مخلصاً وفياً ، وإنا آسفون لغيابه ، ولكن يعزينا أنه سيظل دائم الاتصال والاهتمام بشئون هذا القطر ، وقد عمل صاحب المعالى اللواء صالح حرب باشا على تجديد الجيش المصرى حتى أصبح تام العدة كامل الاستعداد لأى واجب يدعى إليه ، وإنه لمن دواعى الغبطة أن يقيم الجيش المصرى بين ظهرانينا ، مدافعاً عن السودان ، بالاشتراك مع القوات السودانية والإنجليزية ، محافظاً على تقاليده المجيدة المعروفة عنه ، وأن تظل مصر مخلصة للمبادىء الديمقراطية ؛

إننا نقدر قيمة المساعدة التى قدمتها مصر والموظفون المصريون للسودان ونشكر رفعة الرئيس وصاحبي المعالى زميليه لاهتمامهم بهذا القطر ولعملهم على رفاهيته ورفاهية أهله ، وإنا لواثقون أنكم ستواصلون تقديم كل مساعدة ودية يمكن أن تمنحوها للسودان ؛

لقد اشتغلت هذه الغرفة مع الغرفتين التجاريتين بالقاهرة والاسكندرية لتنمية العلاقات التجارية بين مصر والسودان ، وإنا واثقون أن هذه الجهود ستعود بالخير على البلدين ؛

إننا نرجو رفعة الرئيس وصاحبي المعالى زميليه أن يحملوا إلى جلالة الملك "فاروق الأول" أصدق عبارات الولاء والإخلاص وأطيب تمنيات الهيئة التجارية السودانية".

وقد قوبلت الخطبة بالاستحسان والتصفيق .

كلمة السيد مصطفى أبو العلا

وأعقبه الوجيه السيد مصطفى أبو العلا ، التاجر المعروف بالسودان ومصر وعضو الغرفة ، فألقى خطاباً قيما بدأه بالأسف على غياب رفعة الرئيس لانحراف صحته وتمنى له الشفاء العاجل ، وأعرب عن عواطف السودانيين نحو شخصه المحبوب ، ثم شكر لصاحبي المعالى الوزيرين تلبيتهما للدعوة ، وأعرب عن أمنية السودان فى مصر وطموحه إلى عنايتها المتصلة بشأن الزراعة فى السودان ، وبإنشاء مزارع نموذجية وقال : إن السودان سوق طبيعية للمنتجات والمحاصيل المصرية إذا حسنت المواصلات ويسرت أسبابها بين الشطرين ، وإن أيسر سبيل لذلك هو وصل الخط الحديدى مابين حلفا وأسوان ، وأنها نعمة نرجو تحقيقها قريباً . وأبدى سروره بما سمعه عن قرب إنشاء خط تليفونى بين هاتين المنطقتين يصل مابين مصر والسودان ، وختم كلمته بالإعراب عن صادق الولاء والإخلاص لعرش مصر ولمليك النيل المفدى "فاروق الأول" أعزه الله، فهتف الجميع وقوفاً بحياة جلالته فى حماسة مؤثرة .

خطبة معالى وزير الأشغال

ثم وقف حضرة صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال فارتجل خطاباً قيما بليغاً جاء فيه :

حضرة الرئيس ، سادتى :

يؤسفنى أن أبلغكم انحراف صحة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا انحرافا بسيطاً ألمّ بصحته الغالية ، إثر الجهود الشاقة التى بذلها فى هذه الرحلة السعيدة ، ولاشك فى أننى نزولا على رغبتكم الكريمة التى أبداها جناب رئيس الغرفة التجارية نيابة عنكم سأبلغ رفعته تحيتكم وتمنياتكم له بالشفاء العاجل ؛ (تصفيق)

وبعد فأرجو أن تعلموا أن مصر تقدر تمام التقدير تلك الجهود القيمة التى قامت وتقوم بها الغرفة التجارية فى السودان لتنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان (تصفيق) وأن الحكومة المصرية على استعداد تام لمعاونة الغرفة فى مهمتها علماً منها بأن تمكين الروابط الاقتصادية يعود بأجزل الفوائد على البلدين ، وكلنا يعلم أن جهود الغرفة هى موضع التقدير دائماً من الحكومة المصرية ومن الهيئات التجارية بمصر والاسكندرية ، كما أنها على يقين بما تلقاه من عناية حكومة السودان بفضل إرشاد حضرة صاحب المعالى صديقى السير جورج ستيوارت سايمز الحاكم العام ، وإننى رداً على حضرة الخطيب مصطفى أفندى أبو العلا أقول : إنه ليس أحب إلى قلب مصر من أن ترى السودان فى رفاهية وتقدم شاملين لكل نواحى الحياة فيه ليس فى الناحية الاقتصادية بل فى الناحيتين الاجتماعية والزراعية (تصفيق) وإننى سأحمل لرفعة الرئيس تلك الأمانة التى فوضتمونا زميلى صاحب المعالى حرب باشا وأنا بحملها لرفعته ليتشرف بنقلها للمسامع الملكية السامية رافعاً معها عظيم ولائكم وشديد إخلاصكم

لعرشه المفدى وتاجه المصون ، كما حمل رفعته إليكم جميعاً تحية حضرة صاحب الجلالة المليك المحبوب "فاروق الأول" صانه الله ورعاه (تصفيق)

الاستفسار عن صحة الرئيس

وقد سرى نبأ انحراف صحة الرئيس فى الخرطوم سريان الكهرباء فانهالت الوفود والأشخاص من مختلف الهيئات والطبقات على سراى الحاكم العام تسجل أسماءها فى دفتر الزيارة للاستفسار عن صحة الرئيس وتعرب عن تمنياتها القلبية لرفعته بالصحة والعافية ، وعلى الرغم من حاجة الرئيس إلى الراحة التامة ، فانه أصر على تنفيذ البرنامج طبقاً لترتيبه الأصلى وأعلن أنه سيغادر الخرطوم فى منتصف الليل بالقطار الخاص فى الطريق إلى سنار .

زيارتى للصحف السودانية

وانتهزت فرصة فراغ البرنامج فى هذا اليوم فطفت بإدارة صحف "النيل – وملتقى النهرين" لزيارتهما رداً لتحية أصحابهما الأفاضل ، وكانت جريدة "النيل" تصدر يومياً تحمل أنباء الرحلة مفصلة ، وتسجل عواطف السودان نحو مصر ، وعرشها وشعبها ؛ والصحافة اليومية فى السودان حديثة العهد ، ولكنها أدت رسالتها وتؤديها على صورة طيبة ، وتصدر بالسودان إبان الرحلة صحف "النيل" اليومية و"ملتقى النهرين" الأسبوعية باللغة العربية ، وهناك صحيفة تصدر بالإنكليزية وأخرى باليونانية ؛ وسمعنا عن فكرة إنشاء صحف أخرى باللغة العربية ونحن فى الرحلة ، ولعل ذلك قد تحقق فى غضون العام الماضى .

لمحة عن الصحافة فى السودان

يرجع الفضل فى إصدار أول صحيفة عربية فى السودان إلى الأستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الذى أصدر جريدة " السودان " الأسبوعية فى الخرطوم ، ولما لم يكن بالسودان غيرها فقد طلبت إليه الحكومة إذ ذاك أن يصدرها باللغتين العربية والإنجليزية ، واستمر صدورها كذلك حتى عام ١٩٢٠ حين أنشأ المثرى اليونانى مسيو كونتو ميخالوس جريدة "سودان هيرالد" باللغة الإنجليزية يومية ، وظلت جريدة " السودان " العربية تصدر حتى الآن أسبوعية تارة ونصف أسبوعية تارة أخرى .

وفى سنة ١٩٣٠ أصدر داود أفندى منديل بمعاونة الأستاذ الشيخ أحمد عثمان القاضى الصحفى السودانى جريدة " حضارة السودان " أسبوعية ثم نصف أسبوعية ، وظلت تصدر حتى عين الأستاذ أحمد عثمان القاضى مراقباً للصحافة العربية فى إدارة الأمن العام السودانى عام ١٩٣٨ فاحتجبت جريدة " حضارة السودان " وحلت محلها جريدة " ملتقى النهرين " التى يصدرها الآن داود أفندى منديل .

ولكن فى أكتوبر سنة ١٩٣٥ خطت الصحافة السودانية خطوة كبيرة يرجع الفضل فيها لزميلى الأستاذ حسن صبحى الصحفى المصرى الذى نزح إلى السودان من تلقاء نفسه لسد النقص فى عالم الصحافة السودانى ، واستطاع بما اكتسبه بشخصيته من محبة الزعماء وكبار رجال الأعمال فى السودان أن يكوّن شركة مساهمة من سعادة عبدالرحمن المهدى باشا ومسيو

كونتو ميخالوس وبعض التجار هناك وأصدر أول جريدة عربية يومية في السودان وهى " النيل " .

وكانت جريدة " النيل " تضارع الصحف المصرية فى موادها ومظهرها وعرفت الصحافة السودانية لأول مرة فى جريدة " النيل " أخباراً محلية مصورة ، وكان السودانيون يقرأون أخبار مصر يومياً فى البرقيات التى ترد على جريدة " النيل " كل يوم من مراسلها فى مصر .

ولم تفت زميلى الأستاذ حسن صبحى إلى جانب الناحية الإخبارية فى الصحف الناحية الأدبية ، فأصدر مجلة أسبوعية باسم " النيل الأسبوعى " كانت تجمع البحوث الأدبية والدراسات الخفيفة التى ترى الناس خارج السودان ألوان الأدب السودانى الحديث وتقوم فى ذات الوقت بتثقيف القراء السودانيين بما ينشر فيها بأقلام الكتاب من خارج السودان .

وقد كان ظهور جريدة " النيل " اليومية ومجلة " النيل الأسبوعى " من أكبر آثار المعاونة التى قدمتها مصر للسودان فى الناحية الأدبية الاجتماعية الثقافية على يد أحد أبناء مصر .

ولقد سرنى أثناء زيارتى أن سمعت إخواننا السودانيين أنفسهم يعترفون بهذا لزميلى الأستاذ حسن صبحى ويذكرونه بالخير كل ماطلع " النيل " صباح كل يوم ، ومازال يصدر بانتظام ، لكن زميله الأسبوعى احتجب بعد عودة الأستاذ حسن صبحى إلى مصر .

وهناك بضعة مجلات شهرية كانت تصدر بين حين وآخر وتنقطع عن الظهور ، وكانت آخرها مجلة الفجر التى كان يصدرها المرحوم عرفات محمد عبد الله الذى كان من أبطال النهضة السودانية المجاهدين .

هذه خلاصة عن الصحف التى صدرت وتصدر فى السودان ، أما عن سياسة الصحف فإن كل واحدة من الصحف العربية تمثل وجهة نظر فريق ، فجريدة " ملتقى النهرين " تمثل حزب المهدى وجريدة " السودان " تمثل حزب الميرغنى ، وهذه الاختلافات فى وجهة النظر هى دائماً محور النقاش والجدل الصحفى الذى ترتكز عليه الصحف فى رواجها .

مكتب الخبير الاقتصادى

ثم زرت هذا المكتب الذى انشىء حديثا فى الخرطوم لتنظيم العلاقات الاقتصادية بين شطرى النيل ، وعهد فيه إلى حضرة الأستاذ عبد الله أباظة بك الاقتصادى المعروف ، فأدى واجبه الوطنى على خير صورة ممكنة ، ولم يكن حضرته بالسودان إبان الرحلة ، وقد سمعنا الثناء علية فى مختلف الأوساط السودانية والإنكليزية ، وهذا المكتب يقتضى العناية الكاملة من مصر لما له من الأثر الفعال فى مصالحنا الاقتصادية الحيوية بالسودان .

سهرة فى الخرطوم

قضيت بعد هذه الزيارة سهرة فى الخرطوم متنقلا بين أحيائها المختلفة فشاهدت مواكب الطرق الصوفية لأتباع السيدين الجليلين السيد على الميرغنى باشا وعبد الرحمن المهدى باشا وكانوا يسيرون فى الطرقات صفوفا صفوفا ويرتلون الأوراد والراتب المهدى ، بتنغيم لطيف ، ثم ذهب كل فريق إلى منزل كبير لأحد أعيان الخرطوم فأقاموا به " الحضرة " إلى ساعة متأخرة من الليل .

وسمعت فى إحدى المقاهى البلدية مغنياً يردد ألحاناً لطيفة لم أفهمها

أول الأمر، ولكنى تبينتها وطلبت من أحدهم كتابتها، فكانت نوعا من الأدب الرقيق والغزل العف، مؤلفة بلغة عربية، ولكن اللهجة والتنغيم يجعلانها لا تكاد تفهم، وهذا هو الشأن فينا عند ما نسمع أغانى بعض أهالى الصعيد، فالقاهرى لا يكاد يفهم لها معنى بينما يطرب لها سامعوها ومن يألفون هذه اللهجة الصعيدية .

ومن الأغانى السودانية أغنية شهيرة جداً منها :

يا أنة المجـــروح بالروح حيـاتك
(روح الحب)
وفيـك ياليـــل معنى الجمال مشروح
للحب زناد فى الجوف زى الزناد مقدوح

وأخرى منها :

أفـكر فيـه وأتأمل أراه اتجلى واتجمل
هـلالى الهـل واتكمل

●●●

تذكر عهـدنا الأول صحيح الأيام بتدول
قريب يوم داك ماطول مضيت أيام ويا الخليل
بقت أحـلام وتأول

اللغة واللهجة

وبهذه المناسبة لا يفوتنى أن أذكر أن السودانى يتكلم اللغة العربية

كما فى مصر ، وإن اختلفت اللهجة فى النطق . فان ذلك لايغير شيئاً من أصلها ، وهذا الاختلاف نراه فى أقاليم مصر نفسها كالشرقية والصعيد والقاهرة مثلا . فلكل من أهلها لهجات خاصة بل اصطلاحات خاصة أيضاً كذلك فى السودان لهم بعض اصطلاحات خاصة بهم مثل " إيش نو .. " يعنى أى شيء هو .. أو ماذا ؟ " كِيفـنّه ... " يعنى كيف هو " حَصّه .. " يعنى الآن أو هذه الحصة .

" حَبَابك عشرة .. حَبَابَك مِيّه " يقولونها فى الترحيب بالضيف يعنون مرحباً بك عشرة مرات ومائة مرة ، وقد يزيدون فيها للألف . . . " معاك سلامه " وهى تحية التوديع للزائر " يازول .. " يعنى يارجل .

وإذا قابل سودانى آخر على غير تعارف وأراد سؤاله عن طريق ما قال " بالله يامبروك.. كيفنه طريق كذا " والتعبير بمبروك فيه تفاؤل ورقة .

هذا فى المدن ، أما فى الريف فقد تشوب الكلمات لكنة بدوية يتعذر عليك أن تفهمها لأول وهلة ولكن سمعك يألفها سريعاً .

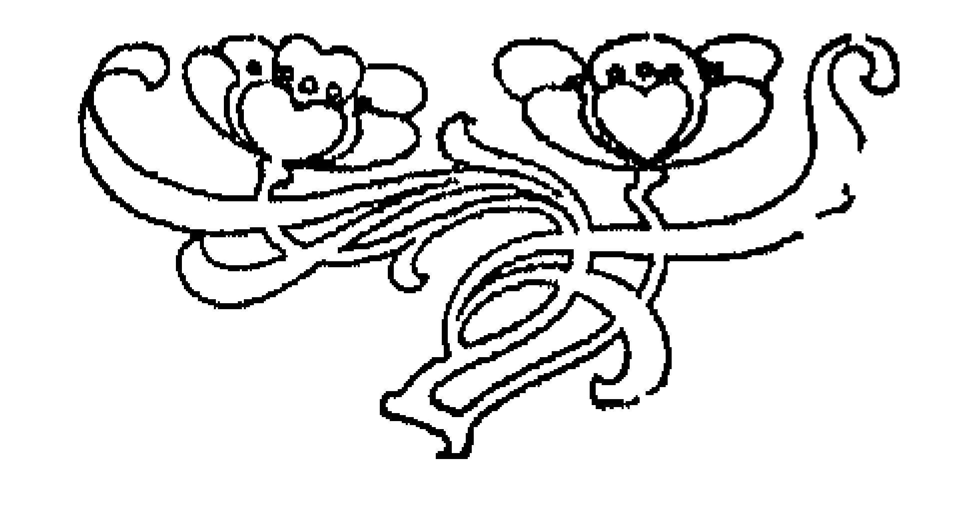
ومن الظواهر الملموسة أن السودانى يتدفق فى الحديث بسرعة شديدة قد تكون سبباً فى إدغام الكلمات والمقاطع فتحتاج معها إلى الاستفسار والتوضيح .

عودة إلى الاستراحة

عدت من طوافى السريع الذى أشركت فيه القارىء الآن إلى الاستراحة حيث أخذنا فى الاستعداد للسفر عند منتصف الليل فى طريقنا إلى سنار بالقطار الخاص بمعالى الحاكم العام الذى وضع تحت إمرة رفعة الزعيم . فى تنقلاته بالسكة الحديدية .

السفر

وفى الساعة الثانية عشرة تقريباً تحرك القطار يقل رفعة الرئيس وصحبه فى طريقهم إلى سنار ، وهو مؤلف من خمس عربات نوم فاخرة وصالونين كبيرين أحدهما لرفعة الرئيس ، والثانى لصاحبي المعالى الوزيرين؛ وبعد أن غادرنا الخرطوم مودعين أجمل توديع ، هجعنا فى مراقدنا نائمين بعد تعب كابدناه فى الانتقالات طوال اليوم .



اليوم العاشر

عطف جلالة الملك
على رفعة الرئيس

لما اتصل بحضرة صاحب الجلالة المليك المفدى نبأ انحراف صحة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا تفضل فأرسل اليه البرقية التالية :

حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا

(رئيس مجلس الوزراء بالخرطوم)

أسفنا لخبر انحراف صحتكم وإنا لنرجو لكم أوفر العافية ودوام التوفيق؟

قصر عابدين فى ٢٦ فبراير　　　　**فاروق**

فأرسل رفعته الرد التالى من واد مدنى إلى حضرة صاحب السعادة عبد الوهاب طلعت باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة :

" تلقيت ببالغ التأثير فى حفلة النادى المصرى بواد مدنى ماتفضل مولاى حفظه الله فأسبغه على من كرم عطفه وسامى عنايته ، وإنى إذ أتشرف برفع أصدق شعائر الإخلاص وآيات الحمد إلى مقام جلالته لأدعو الله جل شأنه أن يديم ذاته الكريمة مبعثاً لما نلمسه فى كل مكان من شعور فياض بالولاء لعرشه "

على ماهر

الإثنين ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٠ — أصبحنا فى هذا اليوم ونحن بالقطار نجتاز الطريق بين القرى والبلدان ، فنلمس التشابه القوى بين الريف المصرى والريف السودانى ، ولا نرى فارقاً بين مظاهر القرى فى جرجا وأسوان والبحيرة وبينها فى مديرية النيل الأزرق أو غيرها من بلاد السودان ، وقد أشرقت الشمس علينا ونحن أمام قرية صغيرة وقف القطار عندها ليحمل كمية من الماء ، فهرع الأهلون إلى الإفريز يحيون ويهتفون ، وقدم لنا بعضهم الهدايا من بيض النعام والغزلان الصغيرة ، وعرضنا على أصحابها نقوداً فلم يقبلوها ، فكنا نعطيها لأطفالهم . وقدم لنا بعضهم صحافا من الخوص الملون ، وكانت مظاهرة ترحيب امتازت بكرم الضيافة العربى الذى يغمرك أينما كنت بالسودان .

الوصول الى سنار

ووصل رفعة الرئيس وصحبه إلى مدينة سنار فى منتصف الساعة السابعة صباحاً فكان فى الاستقبال بالمحطة مستر ميل محافظ المدينة ومستر روبرتسون نائبه والميجر بيز مدير البوليس ومستر جريفر نائب مدير الخزان والأستاذ محمد شكرى المهندس المقيم لمراقبة تصريف المياه من خزان سنار ، ونزل رفعة الرئيس من القطار فصافح المستقبلين شاكراً ، وكانت جموع الأهالى محتشدة خارج المحطة وفى الطريق الذى اجتازه الركب إلى منزل المحافظ ، تهتف بحماسة فائقة للمليك المفدى "فاروق الأول" سيد الوادى ومليك النيل ، وقد تناول رفعة الرئيس وصاحباه طعام الإفطار على مائدة مدير الخزان .

جولة فى سنار

مدينة سنار من المراكز التجارية الهامة فى السودان وبها أكبر محالج للأقطان وقد زادت شهرتها وقيمتها بعد إنشاء خزان سنار فى سنة ١٨٩٩ ومرت به أدوار مختلفة للتعلية والتجديد انتهت إلى شكله الحالى الذى احتفل بافتتاحه رسمياً فى يناير سنة ١٩٢٦ بحضور لورد لويد المندوب السامى بمصر يومذاك ، وكان صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا ممثلا للصحافة المصرية فى الحفلة ، وهذا الخزان هو الذى جعل الرى فى أرض الجزيرة سهلا منظما وساعد على نجاح تجارب زراعة القطن الذى تبلغ مساحة المنزرع منه سنوياً بهذه المنطقة ٣٠٠ ألف فدانا وقد قدرت نفقات إنشائه مبدئياً بثلاثة ملايين من الجنيهات ثم وصلت إلى ستة ملايين ، ويبلغ طوله مع الحوائط الصماء ٣٢٥٠ متراً وتمتد فوق هذه الحوائط خطوط السكة الحديدية . وفتحات الماء السفلى فيه عددها ٨٠ وعرض كل منها ٢ متر وارتفاعها ٨ متراً و ٤٠ سم وعدد الفتحات العليا التى تستعمل لتخفيف الضغط ٧٢ عيناً عرض كل منها ٣ متر وارتفاعها ٢ متراً ، ومنسوب المياه التى تمر من العيون هو ١٥,٠٠٠ متراً مكعباً فى الثانية وهو أكبر تصريف لمياه النيل الأزرق ، ويشرف مهندس مصرى على نسبة المياه المنحدرة من هذا الخزان لضبط المقاييس الهندسية عند خزان أسوان بعد ذلك . وسعة الخزان بعد ملئه ٨٠٠ مليون متر مكعب من الماء .

وأبنية المدينة كلها ذات طابق واحد وتكثر حول المنازل الحدائق الصغيرة وأغلبها فيه شجر الحناء . وهو مصدر ثروة عظيمة للتجار فى هذه المنطقة ، وعدد سكانها نحو ٣٥ ألف نسمة .

وبالمدينة خزان لماء الشرب يرفع بالآلات من النيل الأزرق ثم يضعه الأهالى فى أزيار من الفخار ؛ وسنار مدينة ذات طابع عربى محض بمبانيها وبأخلاق أهلها الذين اشتهروا بالكرم الحاتمى ، ولا يرخص فيها ببيع الخمور مطلقاً ، وتضاء دور الحكومة ومصالحها ومنازل الموظفين بالكهرباء المستمدة من انحدار الماء فى الخزان ، ولكن دور الأهالى خالية من النور الكهربائى . وليس لأحد من أهل المدينة حق الملكية فى الأراضى لأنها مملوكة للحكومة وتعطى لهم «حكراً» لمدة ٩٩ سنة ، وقد يحرمون من الانتفاع بها إذا صدرت بذلك أوامر إدارية .

شاب ناجح

وقد قابلت عند مكتب التلغراف شاباً مصرياً من أهالى الدركان قد حصل على تعويض قدره ٧٠٠ جنيه عند تعلية خزان أسوان ودار بينى وبينه حديث ممتع (راجع صحيفة ٩٤) وهمس الشاب فى أذنى "إنه يريد مقابلة رفعة الرئيس ومصافحته فهل يستطيع ذلك ؟" ودهشت لهذا السؤال فعاد يقول "لقد خشيت أن البرنامج الرسمى لا يجعل لرفعته فسحة من الوقت كى يقابل الأفراد . ! !" وطمأنته على أن رفعة على ماهر باشا لا تقيده البرامج فى لقاء بنى وطنه . وأنه سيسر برؤيته ومجيئه . وذهبت بالشاب فقدمته إلى رفعة الرئيس فشكر له عاطفته وخرج مسروراً .

زيارة الخزان

قصد الركب بعد ذلك إلى الخزان فزاره وطاف بالحدائق الجميلة المنسقة حوله ، وتفقد الرئيس طريقة استمداد الكهرباء من مساقط

المياه فيه ، وكان يتولى الشرح مدير الخزان والمهندسون المرافقون للركب وبعد أن استمتعنا بجمال منظر النيل الأزرق ركبنا السيارات منطلقين إلى غابة القردة .

غابة القردة

قطعنا ١٥ كيلو متراً بالسيارات فى طريقنا إلى هذه الغابة التى تسمى غابة القردة والنسانيس لكثرة مافيها من هذه الحيوانات اللطيفة ، وعند ما أشرفنا عليها شاهدناها تفر هاربة من أصوات السيارات ، وتجرى إلى داخل الغابة وهى تصرخ بأصواتها المعروفة ، وتحمل صغارها وتلوذ بأعالى الشجر ، وأوقفنا السيارات ونزلنا منها نجوس خلال الأدغال ، ولكن القردة الماكرة كانت تختفى مسرعة وترتفع صرخاتها كأنما تحذر رفاقها ، وقضينا وقتاً فى مشاهدة حركاتها وألعابها ثم عدنا إلى سنار .

فى أرض الجزيرة

وغادرنا سنار مودعين أجمل توديع وانطلقت السيارات فى طريقها لمشاهدة مشروعات رى الجزيرة حيث تشرف الشركة الإنكليزية على زراعة أراضيها الخصبة ، ومن القوانين المقررة أن تلزم الشركة أصحاب الأراضى بتسليمها إليها بإيجار قدره عشرة قروش فى السنة للفدان ، وتعطى لصاحب الأرض خمس مايملكه لاستغلاله كيفما يشاء ، وتعطى الشركة للعامل الزراعى أجراً مابين أربعة قروش وثمانية فى اليوم الواحد لقلة اليد العاملة . ويجود الفدان فى هذه الأراضى بأربعة قناطير من القطن إذا «عزقت» الأرض مرة واحدة ولم يوضع بها سماد ، وبستة قناطير إذا

« عزقت » مرتين بدون سماد ، ويعطى الفدان فى بعض الأحايين ١٢ قنطاراً مع العناية الكاملة ، وقد شاهد رفعة الرئيس حقول التجارب التى تقيمها الشركة وتشرف عليها ، وفيها النسب بين المحاصيل وطول « التيلة » وشدتها فأعجب رفعته بما رآه ، وشبكة الرى فى هذه الجزيرة من أروع الإنتاج الهندسى الذى يجعل الرى فى كل منطقة منها سهلا وميسوراً .
وقد شاهدنا بعض القرى وفيها عدد من الفلاحين المصريين الذين أقاموا هناك وتأقلموا ونجحوا ، وألفوا العيش فى هذه المنطقة ، وحادثت بعضهم فاذا به من بعض قرى المنوفية وقد نزح إلى السودان منذ عشر سنوات وأنه لا يفكر فى العودة إلى مصر لما يجده من الراحة واليسر فى السودان .

فى واد مدنى

وصل رفعة الرئيس إلى واد مدنى وهى من أكبر مدن السودان أهمية وعدداً وهى مركز تجارى من الدرجة الأولى ، وعدد سكانها ٥٦ ألف نسمة ، وفيها عدد كبير من التجار المصريين ، وهى مدينة نظيفة جميلة وبها المقاهى والأندية والفنادق والمطاعم ، وقد كان رفعة الرئيس وصحبه مدعوون للغداء على مائدة جناب مدير المديرية . ورأى زملائى الأصدقاء الصحفيون أن نتناول طعامنا فى المدينة فدخلنا مطعما يملكه أحد السودانيين وقد أكلنا فيه أسماكا ولحوماً وخضراوات وحلوى بثمن زهيد ، وكان الطهى جيداً نظيفاً ، وقد سألناه عن فاكهة فقال إنها قليلة فى السودان ، وأن البرتقال والموالح من أهم مايطلبه الأهالى ، وأن تصديره للسودان عمل ناجح يدر الخير على مَن يقوم به .

وخرجنا فطفنا بالمدينة وشوارعها التى كانت تموج بألوف الأهلين

الذين لاحديث لهم سوى الزيارة الميمونة ومليكنا المفدى ومصر وأخبارها ؛ وبعد أن قضينا وقتاً طيباً فى هذه الجولة عدنا إلى القطار الخاص الذى كان فى انتظارنا بالمحطة .

حفلة النادى المصرى

وكان النادى المصرى بالمدينة قد أعد حفلة شاى بداره احتفالا بتشريف رفعة الرئيس حضرها جمهور حافل من الكبراء والأعيان وكبار موظفى الحكومة وشركة أراضى الجزيرة . وقد استقبل رفعة الرئيس بأروع مظاهر التكريم والحماسة وتصعد الهتاف بحياة جلالة المليك المفدى ومصر والسودان ورددته ألوف الجماهير الحاشدة فى الشوارع المحيطة بالنادى .

وألقيت كلمات الترحيب من رئيس النادى وأعضائه ثم وقف صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا فألقى خطاباً قوياً بليغاً شكر فيه الحاضرين نيابة عن رفعة الرئيس .

كلمة عبد القوى باشا

سادتى ، إخوانى :

تفضل حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وصاحب المعالى صالح حرب باشا فأرادا أن أكون لسانهما فى تحيتكم وشكركم ، ومهما قلت فى الشكر فلست ببالغ شيئاً يفيكم الحق والواجب وحسبى أن أبلغكم تحية إخوانكم فى مصر بل فى الخرطوم (تصفيق) سأحمل كرئيس سابق لنادى الخرطوم تحيتكم ، وأبلغهم أن لكم ناديا وإن تواضع فى بنائه فقد

ارتفع فى سمعته (تصفيق) وإنكم حريصون على الالتفاف حول ناديكم وعلى اعتباره داركم العامرة كما عودتمونا دائماً ، وإنكم فى الخرطوم ووادى مدنى وعطبرة اتخذتم لأنديتكم المصرية شعاراً واحداً مقدساً هو " الله والوطن والملك " (تصفيق) .

ثم عزف السلام الملكى وهتف الجميع بحياة الملك " فاروق " وغادر الضيوف الدار مشيعين بالتصفيق الشديد من المدعوين ومن الأهالى الذين احتشدوا خارج النادى وحوله .

فى النادى السودانى

ثم قصد رفعة الرئيس وصاحباه إلى النادى السودانى بالمدينة وكان قد اتخذ زينته جميلة رائعة ، ونشرت فوقه وعلى جوانبه الأعلام المصرية بينها صورة كبيرة لجلالة الملك المفدى ، كما وضعت لوحة عريضة كتب عليها ما يأتى :

قضت السياسة ياعلىّ كما قضى
ذو العرش أنك فى الحقيقة ماهر
فاجعل من القطرين شعباً واحداً
من فوقه علم المودة ظاهر

ooo○○ooo

وبعد أن استقر بالحاضرين المقام وسط حماسة مؤثرة وهتافات مدوية وحفاوة صادقة توالى الخطباء من الشبان والعلماء يتبارون فى النثر والشعر الفصيح البليغ يعربون به عن عواطف المودة والولاء والتقديس والفداء لمصر ولعرشها ولمليكها المفدى .

أغنية السودان الأولى

وفى هذه الحفلة كما فى سابقاتها تجلت معانى الولاء للفاروق المفدى ولعرشه المصون ، بأروع المظاهر وأصدق المجالى ، وقد حمل النادى السودانى فى واد مدنى رفعة الرئيس أمانة الرجاء لصاحب العرش المعظم مليك النيل وسيد الوادى ، أن يتفضل فيتيح لشعبه فيه فرصة اجتلاء طلعته الكريمة وذاته المفداة ، ورجوا رفعة الرئيس فى رفع ملتمسهم هذا إلى المسامع الملكية الكريمة ، مع ولائهم الصادق وحبهم المكين .

فوعدهم رفعته بتلبية رجائهم ورفع هذا الرجاء إلى المقام الملكى العظيم .

وبعد انتهاء الخطب والقصائد وقف صاحب المعالى محمد صالح حرب باشا فارتجل خطاباً حماسياً يتدفق بلاغة وسحراً فقال :

" أمرنى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن أخطبكم اليوم وأنا جندى متى أمرت أطعت (تصفيق حاد) .

أبناء العمومة والخؤولة

أتقدم إليكم باسم رفعة الرئيس فخر القطرين بل فخر العروبة كلها وباسم صديقى الكريم أمير البيان عبد القوى أحمد بك لأقوم بواجب الشكر ، ولكن هيهات فأى شكر يفى بهذه الحفاوة البالغة وهذا التكريم وهذا الشعور الفياض من خطبائكم وشعرائكم ولئن شكرتكم حتى يبلغ الشكر مداه فما أنا موفيكم حقكم من الثناء ، وفى الواقع ليس فى هذا الشعور الذى تبدونه عجباً ، فأنتم منبت الكرم فيكم وشجت أعراقه وارتفعت سيقانه وتهدلت فروعه وكانت سحابة المكرمات فى هذه البلاد مهد البطولة

والرجولة والشمم ، فأحييكم تحية الصديق للصديق بل تحية الشقيق للشقيق ، وأحيي فيكم السودان كله (تصفيق وهتاف) ؛

قال أحد خطبائكم إنى سودانى مصرى ، نعم أنا ابن القطرين وصلة النسبين ؛ أنا ابن مصر والسودان ولا فخر ، حياهما الله تعالى تحية مباركة ماجرى النيل بينهما أباً رحيما وفاض على التربتين كريماً ؛

وبالنيابة عن رفعة على ماهر باشا أتقدم إليكم بالتحية التى يحملها من سيف مصر المجرد وعلمها المفرد سيد من أنجبته مصر الملك "فاروق الأول"؛

وأختم كلمتى بالجملة السامية التى بعث بها مليكنا المحبوب إلى وزيره الأول ، وهى : " إن بيننا وبين السودان صلات لاتنفصم عراها أبداً" ، وكيف ينفصم مابيننا وبينكم وكل الروابط والصلات تقربنا إليكم وتقربكم إلينا " (تصفيق حاد وهتاف حماسى) .

حفلة الجالية الانكليزية

وبعد انتهاء حفلة النادى السودانى ، لبى رفعة الرئيس دعوة النادى الخاص بالجالية الإنكليزية لحفلة استقبال كبرى ، وقد تجلت فى هذه الحفلة رقة الضيافة الإنكليزية وكرمها ، وقضى المدعوون وقتاً طيباً فى أحاديث ودية إلى الساعة السابعة والنصف مساء . ثم خرج رفعة الرئيس مودعاً بالحفاوة البالغة .

العشاء على مائدة المحافظ

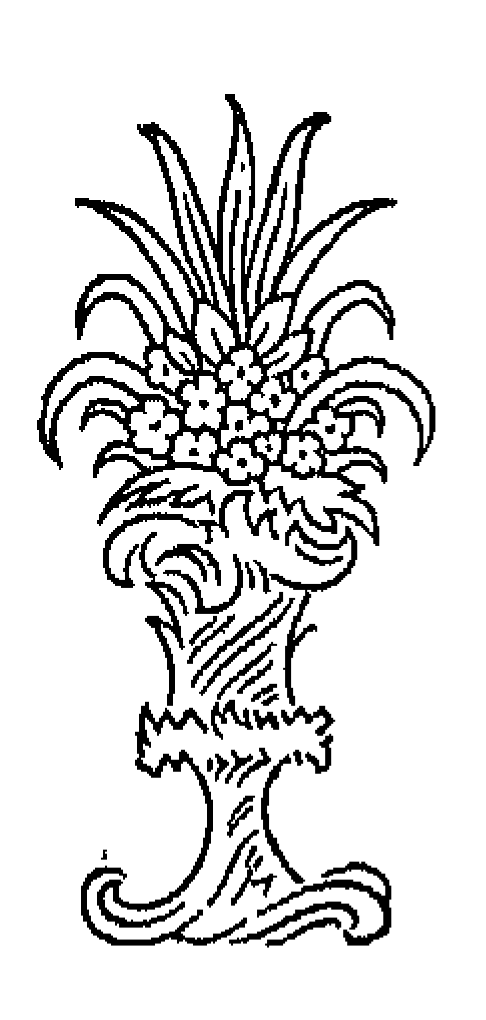
وقد أقام مستر جيل المحافظ حفلة عشاء فاخرة لرفعة الرئيس وأصحابه حضرها كبار الموظفين والأعيان وموظفى شركة الأراضى ، وبعد انتهائها

عاد رفعة الرئيس إلى صالونه بالقطار حيث غادرنا المدينة عائدين إلى الخرطوم فقضينا ليلتنا بالقطار .

اطعام الفقراء وتبرعات الرئيس

وقد تبرع أعيان المدينة بإطعام الفقراء بالمدينة ابتهاجا بالزيارة الميمونة.

وقد أعلنت التبرعات التالية من رفعه الرئيس : ١٠٠ جنيه للنادى المصرى ، ١٠٠ جنيه للنادى السودانى ، ١٠٠ جنيه لفقراء واد مدنى ، ١٠٠ جنيه للمدرسة الأهلية بالمدينة فقوبلت هذه التبرعات بالشكر و التقدير .



اليوم الحادى عشر

أمنية السودانيين أن يحظوا برؤية المليك

أرسل رفعة الرئيس البرقيه التالية لسعادة وكيل الديوان العالى :

"كانت حفلة أمس بالنادى السودانى بواد مدنى مظهراً رائعاً لما بين مصر والسودان من روابط أخوة أحكمت أواصرها صلات التاريخ والدين واللغة ، وطبعها النيل العظيم بطابع من القوة والدوام سيزداد رسوخا كلما زاد المصريون معرفة بإخوانهم فى السودان وتعددت زيارتهم له ، ولقد تمنت جماهير الحاضرين بين الهتاف والحماس البالغ أن تتحقق أمنياتهم العزيزة فى الحظوة برؤية حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الذى شملت عنايته العالية السودان وأهله ، وسيتحقق لهم بإذن الله فى ظله السامى مايرجون من تقدم ورفاهية" .

على ماهر

الثلاثاء ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٠

قضينا الليل الماضى فى القطار عائدين إلى الخرطوم ، فوصلنا إليها الساعة السابعة صباحا ، ومضى القطار إلى ضاحية " شجرة غردون " مباشرة حيث كان الموظفون والعمال المصريون قد احتشدوا هناك لتحية رفعة الرئيس ، وأخذت الضاحية أبهج مجالى الزينة والرواء احتفالا بهذه الزيارة .

فى دار "الترسانة"

ونزل الرئيس من القطار فاستقبلته الجماهير الحاشدة بالتصفيق والهتاف

فى حماسة بالغة واستقل رفعته السيارة إلى دار "الترسانة" وهى قائمة على ضفة النيل الأبيض على مسيرة عشرة كيلو مترات من الخرطوم ، وتضم مصانع "البرشام" . "والبرادة" والنجارة وسبك المعادن لصنع وصيانة الوحدات النيلية الخاصة بالرى المصرى فى أعالى النيل ، ويملك الرى المصرى من هذه الوحدات ماقيمته ٧٢٣ ألف جنيه ويشتغل "بالترسانة" نحو ألف عامل سودانى ومصرى ، وبها محطات لتوليد القوى الكهربائية وهى تولد ٤٠٠ ألف كيلووات فى السنة ، وكذلك بها معامل للثلج ومرشحات للماء ، ويشرف على هذه المصانع موظفون مصريون يقيمون فى ضاحية الشجرة التى تبلغ مساحتها ٤٠٠ فدان بها ٣٩ منزلا للمهندسين والموظفين ورؤساء العمال وستة عنابر وعدة مساكن صغيرة للعمال ، ويبلغ عدد المقيمين بضاحية الشجرة ٦٤٧ شخصاً بينهم ١٩٢ رجلا ، ١٥٦ سيدة ، ٢٩٧ طفلا .

عطف الرئيس

وقد كانت جموع العمال والأهالى قد احتشدت لتحية رفعة الرئيس وألقيت كلمات الترحيب الحماسية ولقب العمال رفعته "بأبى العامل" "ونصير الفلاح" "ورجل الخير والإصلاح" وحدث أن تقدم من بين الصفوف رجل سودانى كان عاملا فى الترسانة ففقد ذراعه فى وقت عمله وبطء الاجراءات فى صرف مكافأته جعله يرفع شكواه لرفعة الرئيس فرق رفعته لحاله وأمر بإعطائه مبلغ عشرين جنيهاً ليستعين بها حتى تسوى حالته فى وزارة المالية ، فتقبل العمال هذه المكرمة بتأثر شديد وتصعدت دعواتهم لله تعالى أن يحفظ الزعيم العطوف .

يوم جبل أولياء

أفرد هذا اليوم لزيارة خزان جبل أولياء والمستعمرة المصرية المنشأة إلى جواره لسكنى المهندسين والموظفين والعمال المصريين فى الرى المصرى ، وقد أعدت الباخرة فيوم لتقل رفعة الرئيس وصحبه إلى الخزان أمام مرسى البواخر بضاحية الشجرة فاستقلها رفعته ومعه رفاقه ، بين مظاهرة نهرية رائعة ، حيث كانت الطبول والموسيقات تعزف فى زوارق استقلها الأهلون ورافقوا بها الباخرة حتى خرجت من حدود الخرطوم ، بين هتافات حماسية ومظاهرات سارة مؤثرة ، وقطعت الباخرة الطريق إلى الخزان وهو ٤٧ كيلومتراً جنوبى الخرطوم بين هذه المظاهر المتلاحقة على الجانبين من طبول وأعلام وهتافات . .

ورست عند رصيف السمك بالخزان وهو الإفريز المخصص لصيد السمك من جانب الخزان .

أدعية صادقة وهتاف طريف

وقبل أن نصل إليه شاهدنا ألوف الخلق قد احتشدت على طول الخزان وعند مرسى الباخرة ومعها الموسيقات والأعلام ، والرايات يحملها أرباب الطرق الصوفية ويدقون على آلات نحاسية ويهللون ويرددون الأدعية فى تنغيم لطيف قائلين " الله . ياقوى . يارحمن يارحيم . إحفظ لنا مليكنا العظيم " " يارب ياسميع ، يامجيب ياقاهر، سدد خطا علىّ ابن ماهر" وظلوا يرددون هذه الأدعية الصادقة فى حماسة وقوة وأصواتهم تدوى إلى مسافات بعيدة . ونزل رفعة الزعيم يحيط به أصحابه من الباخرة

فارتجت الأرض بحماسة المستقبلين الذين هرعوا إلى رفعته مخترقين نطاق البوليس وتهاتفوا على لثم يديه والدعاء له ولم يستطع ركوب السيارة إلا بمشقة عاناها الشبان والجنود .

وانتظم الركب فى سيارات عديدة متلاحقة أخذت طريقها فوق الخزان بين صفوف المستقبلين حتى وصلت إلى قمة الجبل حيث يقوم بناء بيت الرى عند مدخل المستعمرة .

اطعام الفقراء

وكان الرئيس قد أمر باعداد مأدبة على نفقته لإطعام عشرة آلاف فقير فى هذا اليوم ، وقد بذل الألفى بك والأستاذ الشرباصى المهندس جهوداً مضنية لتحقيق هذه الرغبة المشكورة ونحرت عشرات العجول والخراف وطهيت لحومها مع الأرز ووزعت على الصحاف العديدة التى جلبت من كل بيت وجىء بكثير منها من الخرطوم ، وملئت بالثريد واللحم ، وأقيم سرادق فسيح احتشدت فيه ألوف الخلق من أهل القرى القريبة من الخزان ؛ فلما وصل رفعة الرئيس حُمل الطعام إلى هؤلاء الناس فأكلوه هنيئاً والرئيس يطوف بهم يحييهم ويتلطف إليهم وهم يغمرونه بالدعاء الطاهر والله لهم سميع ومجيب .

زيارة المستعمرة

وبعد أن قضى رفعة الرئيس فترة بين جموع الشعب عاد إلى سيارته فطاف بالمستعمرة متفقداً ، وزار ثكنات القوة المصرية القريبة من المستعمرة ، وكان يستقبل على طول الطريق بالتحية البالغة والتكريم

والهتاف لمليك النيل المفدى "فاروق الأول" أعزه الله .

ثم عاد رفعته وصحبه إلى استراحة الرى حيث أعدت مأدبة الغداء على مائدة المهندس المقيم للخزان .

وكانت هذه المأدبة شاملة دعى إليها عدد كبير من عظماء السودان ورجال الجالية الإنكليزية ، والتجار والأجانب وكبار الموظفين المصريين وكان فى مقدمة الجميع صاحب المعالى السيرجورج استيورت سايمز الحاكم العام الذى لبى الدعوة ومعه كريمته الفاضلة ورجال قصره .

مأدبة الغداء

وقد رتبت الموائد على ثلاثة أضلع ورأس الأوسط رفعة ماهر باشا والطرفين صاحبا المعالى عبد القوى باشا وحرب باشا وحولهم المدعوون

وكانت موسيقى الجيش المصرى تعزف خلال تناول الطعام بألحان سودانية ومصرية وانجليزية وبعد انتهاء الغداء خرج رفعة الرئيس ومعالى الحاكم العام إلى شرفة الاستراحة حيث اصطف تلاميذ المدرسة الأولية بجبل أولياء فأنشدوا لحناً رحبوا فيه بزيارة رفعة الرئيس وأعربوا عن عواطفهم الصادقة نحو المليك المفدى سيد الشباب وعاهل النيل وقد تبرع رفعة الرئيس بخمس جنيهات لمعلم المدرسة ولكل طالب بمبلغ من المال .

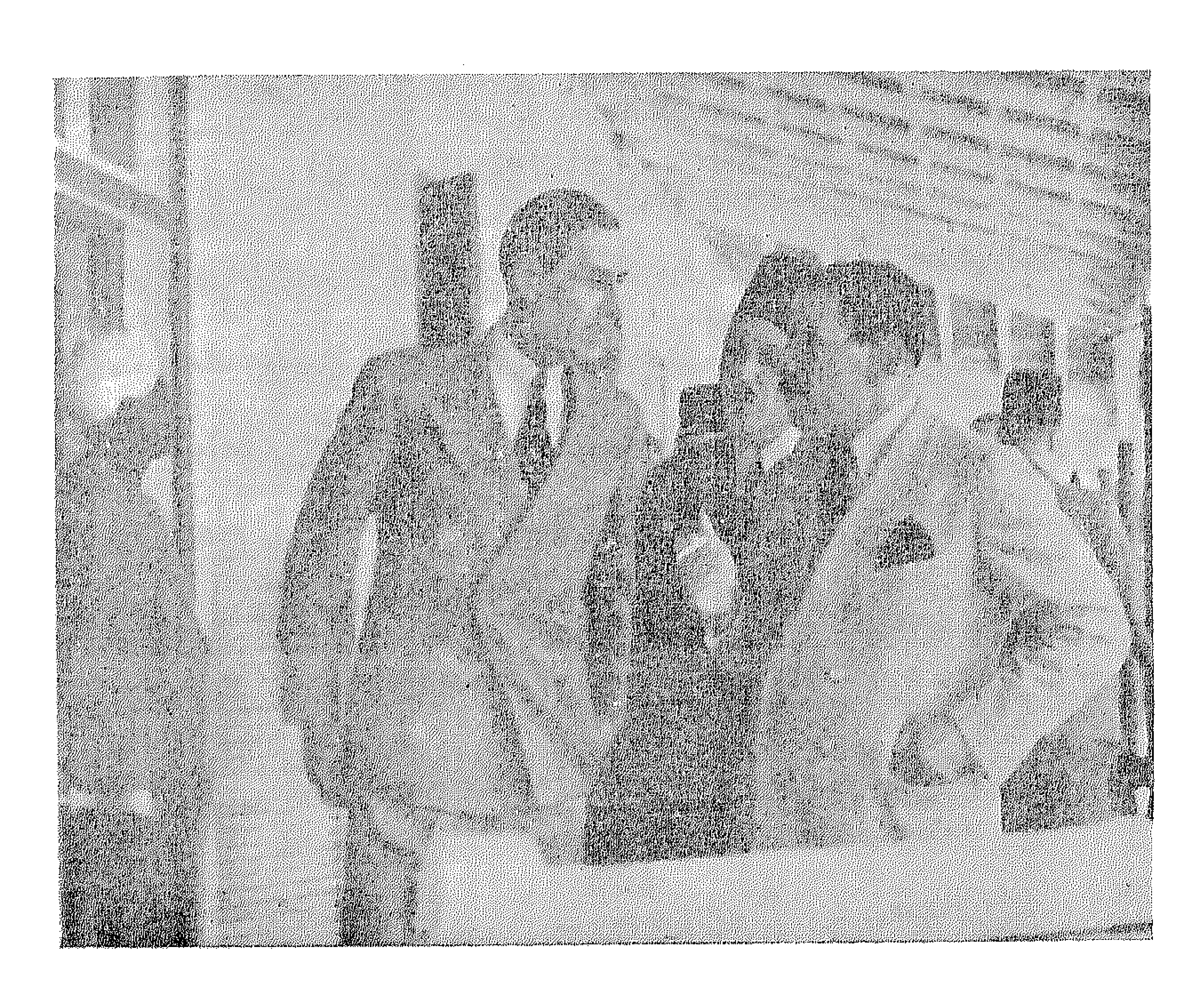
◎◎◎

أكبر فرح

وخرج رفعة الرئيس ومعالى الحاكم العام يطوفان بحدائق الرى ، فقابلهما جمع كبير من التجار والأعيان فى البلاد المجاورة للمستعمرة جاؤا

لتحية الرئيس والإعراب عن عواطفهم فشكر لهم رفعته تجشمهم مشقة الانتقال وحياهم أجمل تحية ، وقد كان معالى الحاكم العام يحادثهم باللغة العربية التى يتقنها فقال لأحدهم مشيراً لزيارة الرئيس «إنها يوم فرح» فقال له الشيخ الذى كان يخاطبه «نعم هو أكبر فرح . بل إنه يوم عيد»

وبعد أن قضى رفعة الرئيس وقتاً غير قصير مع معالى الحاكم وهما يجولان فى حدائق تفتيش الرى منفردين فى حديث كانت تبدو أهميته من انهما كهما فيه ، عادا إلى الاستراحة .



(رفعة الرئيس مع معالى الحاكم فى جبل أولياء)

العودة إلى الخرطوم

وأزف موعد العودة إلى الخرطوم فاستقل الحاضرون السيارات عائدين إلى الباخرة « فيوم » بين مظاهر الحفاوة الحماسية الكريمة . واستقل رفعة الرئيس ومعالى الحاكم العام وصاحبا المعالى الوزيران الباخرة ومعهم جميع أعضاء البعثة وكبار الموظفين وعقيلاتهم وقدم الشاى للجميع على الباخرة مع الفطائر والفواكه .

ثلث ساعة مع معالى الحاكم العام

وقدمنى إلى معالى الحاكم العام حضرة ياوره الإنكليزى المستر ليذر وسعدت بالتحدث إلى معاليه نحو ثلث ساعة ونحن فى الباخرة . والسير جورج سايمز حلو الحديث مشرق البسمة هادىء الحركات ، ظريف الملحة ، حاضر الفكاهة ، وقد رأيته أول مرة فى حفلة الاستقبال الكبرى بالخرطوم ولمست ما يتمتع به من الحب فى قلوب السودانيين والمصريين وموظفى قصره وحراسه الذين يطلقون عليه « السير سايمز الطيب » ومعاليه قضى فى خدمة الحكومتين المصرية والسودانية أكثر من ثلاثين سنة وهو يتقن اللغة العربية ويتخير ألفاظه منها بدقة وبلاغة تلفت النظر .

سألنى معاليه — مارأيك فى الجنوب ؟

قلت : إنه مساحات واسعة تستحق العناية الكاملة . وأهله أيضاً فى حاجة ماسة إلى رعاية شديدة .

فقال : إن هذه القبائل التى تعيش فيه مشتتة على ضفاف النيل ، لا تعدل بالتنقل وحياة البداوة شيئاً آخر .

قلت : وهناك الثروة المعدنية فى هذه المناطق إنها لاتزال بكراً .

فقال : إن علماء الجيولوجيا يقولون ذلك .. ولكنى أظن من الحيطة أن نسمع نصف أقوالهم. ثم استطرد فسألنى: هل هذه أول مرة تزور فيها السودان؟

قلت : نعم ! قال معاليه : يبدو لى أنك تبلغ الثلاثين من عمرك فكيف قضيت هذه السن دون أن تزور السودان ؟

قلت : إننى آسف لذلك حقاً ، ولقد سمعت هذه الملاحظة قبل ذلك توجه إلى كثير من رفاقنا فى الرحلة من إخواننا السودانيين فلم نستطع الإجابة عنها ، ولكنى أعاهد معاليكم ياسيدى أن أعوض مافاتنى .

فضحك معاليه وهو يقول « طيب إن شاء الله »

وكنا نمر فى هذه اللحظة بإحدى القرى على شاطىء النيل . . فأشار معاليه قائلا : « منظر جميل . ! » قلت : « هو كذلك ياصاحب المعالى ، إنه إلى حد كبير يشبه منظر الريف فى مصر .. » فقال : « مع فوارق .... » قلت : « قليلة » فقال : « ربما » واستمر معاليه يتبسط فى حديثه المؤنس العذب فأدهشتنى دقته المتناهية فى تتبع مختلف الشئون والأحوال فى مصر وخبرته العظيمة بالحالة الاجتماعية فيها ، وكان الوقت السعيد الذى قضيته فى حضرة معاليه من أمتع الأوقات وأعمقها أثراً فى نفسى .

المؤسسة المصرية الخـــالدة

خزان جبل أولياء

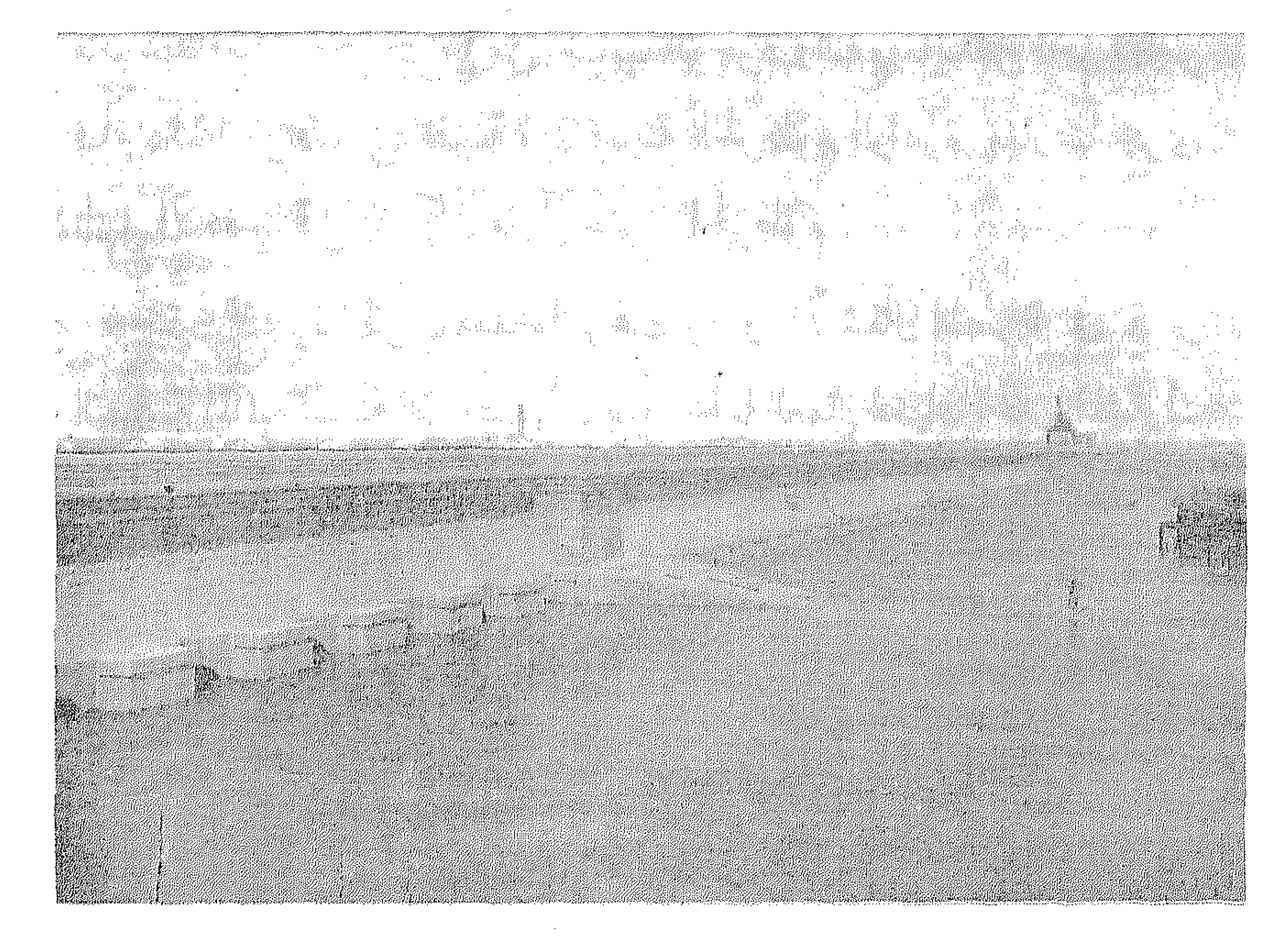
خزان جبل أولياء معجزة فنية يفخر بها المهندس المصرى ويعتز بها المصريون كبرهان جبار على عبقرية أحفاد الفراعنة الذين ورثوا عن

أجدادهم عظمة الفن وجلال العلم مضافاً إلى ماخلفه آباؤنا العرب فى هذا الميدان من تراث خالد مشرف . وهذا الخزان بما يضفيه على نظام الرى المصرى من كمال ودقة وبما أفادت منه حياتنا الاقتصادية يعتبر حجر الزاوية فى هيكل السياسة المائية المصرية التى عنيت بها الحكومة المصرية منذ عهد بعيد ، ودبرت لها من أسباب الوجود والنفع مايكفل آخر الأمر قيام هذا الخزان على مقربة من مدينة الخرطوم الزاهرة معترضاً مجرى النيل الأبيض قبل ٤٧ كيلومتراً جنوبى الخرطوم .

نبتت فكرة الخزان عند ماشرعت وزارة الأشغال المصرية فى تقرير السياسة المائية الثابتة التى يجب أن يسير عليها العمل لضمان الخير المشترك لشطرى النيل . ومرت على الفكرة أدوار وتعاقبتها عهود وطافت بها ألوان عنيفة من البحث والتمحيص فخرجت يوما للناس فى صورة الخير المحض ويوما فى صورة الشر المحض ، وانبعثت على الجانبين عوامل التأييد لكل صورة . واشتد الخلف بين الفريقين ، فلم نعرف مشروعا هاماً تجاذبته البحوث المتناقضة وأصابته المحن القاسية كهذا المشروع ، ومع ذلك بقى زمناً طويلا مرة تغرقه سيول المعارضة فيختفى فى طياتها كأنما قبر ، ومرة يطفو على سطح النهر شامخاً عزيزاً كعملاق جبار ، وهكذا مات وبعث ، وغرق ونجا ، ووئد وولد ، حتى استقرت به النوى فى سنة ١٩٣٢ إلى بدء مراحل التنفيذ ومن ثم تشبث بالحياة وتشبث به الخلود .

ولقد شهدت جلسات البرلمان فى سنة ١٩٣٢ تلك الوقفة الجبارة فى الدفاع عنه من حضرة صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا فخر الهندسة المصرية ، وكان إذ ذاك ـ مفتشا للرى ـ وسمعت البلاد دفاعه المجيد عن

المشروع وثمراته وخيراته الدانية القطوف الجليلة الأثر ، فكان طبيعياً أن يولد هذا الخزان وأن يشب وأن يكتمل وجوداً ونفعاً فى ظل هذا العقل الموهوب الناضج عقل عبد القوى أحمد المهندس المقيم للإشراف على بناء الخزان يعاونه عشرون مهندساً مصريا .



(خزان جبل أولياء)

وفيما يلى إحصائيات طريفة عن هذا الخزان :

يبلغ طوله ٥٠٠٠ متراً مكونة من ١٢٣٦ متراً خزان صامت ٦٠ متراً للهويس و٤٥٤ متراً للفتحات و٣٣٠٧ متراً سد ترابى وطول كل فتحة ثلاثة أمتار وارتفاعها ٤,٥ متراً وعدد الفتحات ٦٠ عينا .

أكبر عمق فى الخزان هو١٣ متراً ومنسوب الحجز فيه ٣٧٧ متراً و٢٠ سنتيمتراً والمساحة فى أثناء الحجز ٣١٤ كيلو متراً أى ٣١٤ ألف فدان .

يبدأ ملء الخزان فى النصف الأول من يوليو ويصرف تدريجياً فى أوائل فبراير من كل عام والمياه المحجوزة فيه تروى حوالى النصف مليون فدان فى مصر . وهى بمجموع ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ملياراً وربع مليار متراً مكعباً من الماء وهى الكمية التى تصل لأسوان من مياه الخزان .

بدأ العمل فيه سنة ١٩٣٢ فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول واستمر إلى سنة ١٩٣٧ فى عهد جلالة الملك فاروق الأول .

وكان يشتغل فى العمل يومياً ٣٥٠٠ عامل بينهم ٢٩٠ بناء مصرى و١٢١٠ عامل صعيدى و٢١٢٠ عامل سودانى ومجموع العمال الذين اشتغلوا فيه عشرة آلاف عامل .

استنفد الخزان من مواد البناء ٨٩٧,٦٧٧ متراً مكعباً أى ثلث مواد البناء فى الهرم الأكبر بالجيزة . وتفصيلها كما يلى :

٢٨٧,٤٤٠ متراً مكعباً من الحجر الدبش

٢٠,٠١١ » » » » المنحوت

١٢٥,٦٧٥ » » » الخراسان و٨ آلاف طن من الستائر الحديدية

١٧٨,٥٥١ » » » حجر البناء (الدبش الجاف) الذى لا مونة فيه

٨٠ ألف طن أسمنت .

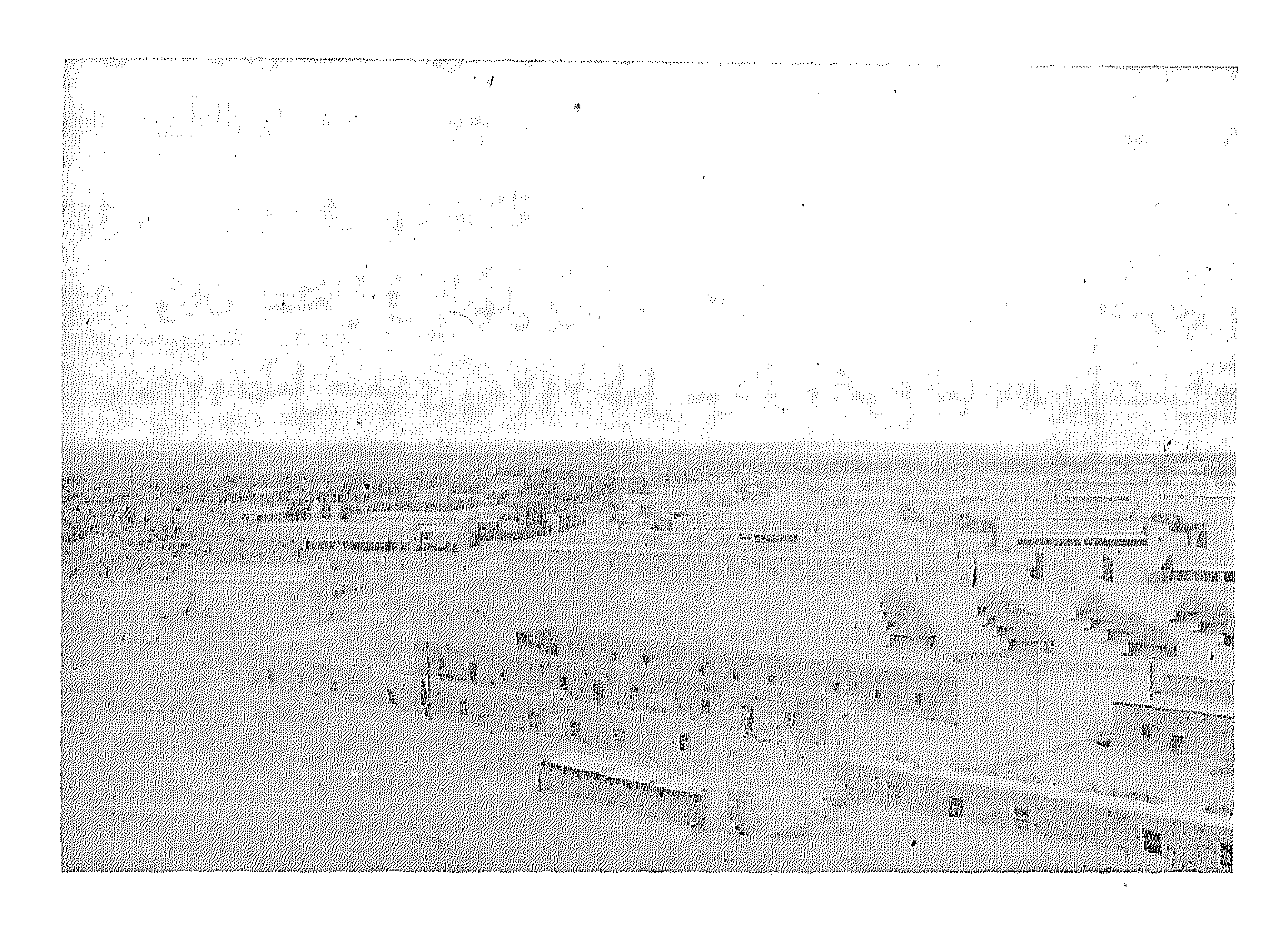
وبلغت نفقاته ٢,٠٤٠,٠٠٠ جنيهاً .

المستعمرة المصرية

وقد انشئت إلى جوار الخزان ضاحية جميلة تعرف باسم المستعمرة المصرية للخزان بها بيوت المهندسين والموظفين ورؤساء العمال ومساكنها مبنية على أحدث طراز من طابق واحد تحيط بها الحدائق الغناء وتضاء

الضاحية بالنور الكهربائى المستمد من محطة التوليد بشجرة غردون .

والإقامة فى هذه المستعمرة من أحب الأشياء إلى قلوب الموظفين الذين يجدون بها كل ما تشتهيه النفس من متع الحياة الطبيعية الصحية .



مستعمرة الخزان

الوصول الى الخرطوم

وصلت الباخرة إلى الخرطوم الساعة السادسة والنصف مساء فاستقبل الرئيس فى ضاحية الشجرة بالحماسة الدافقة وعاد ركبه إلى الخرطوم التى بذلت له الحب قويا، والتقدير سخياً، وقضينا ليلتنا هناك نستعد للرحيل فى الصباح.

العشاء

وتناول رفعة الرئيس وصاحباه طعام العشاء بسراى الحاكم العام ،

وتناوله أعضاء الرحلة على مائدة أنيقة أقامها حضرة العميد محمود فهمى السكرتير الحربى لمعالى الحاكم العام . فى حديقة داره الغناء ، وتجلت فيها سلامة الذوق وأناقة الاختيار وخرجنا بعدها شاكرين له وللسيدة عقيلته مالقيناه من ترحيب واكرام .

عبد القوى احمد باشا

يقترن الحديث عن خزان أولياء وشخصية حضرة صاحب المعالى عبد القوى احمد باشا وزير الأشغال ، بل إن الحديث عن السودان لابد أن يحملك على الكلام عن هذا الرجل العظيم الذى يتمتع بحب السودانيين العميق ، وبتقديرهم لصفاته النبيلة ومزاياه النادرة .

كل من تلقاه فى السودان يحدثك عن «عبد الجوى» وهو منتفخ الأوداج مزهو النفس ، يخيل إليه أنه كلما أضفى عليه الثناء ، فقد رد لشخصه فضل الفخر وفضل الثناء . .

وأنت تلمس فى عبد القوى باشا لأول وهلة وضوح الطوية ، وطهارة النفس . فترتاح إليه وتطمئن ، بهذا ربح معاليه قلوب أصدقائه العديدين فى السودان ، وليس هو صديقاً على هامش الحياة لدى أحبابه . ولكنه فى صميم شئونهم ، ومن صميم دخائلهم ، أخ ووالد وناصح وعطوف ، رأيته فى السودان يستقبل العديدين من مختلف الطبقات فيحدث كلا منهم حديث الخبير المطلع ، يسأل الرجل كيف ولده ؟ وكيف حاله ؟ وماذا فعل فى تجارته ؟ ويسأله عن طفله كيف حبا وكيف درج فى مهده ؟ وهم يجيبونه كما يجيبون الأخ الشقيق بله الصديق العزيز .



حضرة صاحب المعالى عبد القوى احمد باشا

إن السودانيين الأعزاء عند ماأحبوا عبد القوى باشا ، يرغموننا على الإعجاب بهم . لأنهم يحسنون تقدير الرجولة ، ويحسنون تقدير الكرامة ويعتزون بالآباة الأكرمين .

هذه صورة من فضائل الخلق السودانى ، تنعكس أمام الأعين فتتجلى حباً وإعزازاً وتقديراً وتكريماً لرجل من رجالات مصر الأفذاذ كان من توفيق الله أنه هو القائم على شئون الرى فى السودان ، وقت أن كان السودان خالياً عن جيشنا المصرى ، فعوضت مصر عن جيش عدته

السلاح ، برجل عدته المودة والإخاء ، وعن جنود تحمل السيوف والرماح ، بنفس قوية بالخلق القوى وقلب يفيض بالشعور الآبى ، ورجل يعتز أينما كان بكرامة المصرى ، وبعد فسيرة عبد القوى باشا فى السودان مبسوطة لكل ذى عينين ، يجب أن يقرأها المصريون هناك ، ليعملوا بها ويتنافسوا على احتذائها ، فهى مثال للخلق يعرف منه . كيف تكون العلاقات بين الناس على فطرة الدين وفطرة الفضيلة . مثال يحتذيه من يرع الله فى الناس ، ومن يرع المودة فى القلوب ، ومن يحرص على هذا التماسك المقدس بين الأبناء فى أسرة واحدة ، بله الأشقاء فى الوطن الأكبر

لقد ربح معاليه قلوب السودانيين وموداتهم وربح حبهم وإعزازهم ولكنه صرف كل هذا الخير والكسب لمصر فلم يجعله قاصراً على شخصه بل تركه فياضاً يغمر إسم مصر ، وارفا يظل المصريين فى السودان ، فالأجدر أن نحرص على هذا الميراث ، وأن نصون هذا التراث ، وأن نزيد فيه بالصيانة قوة ونماءً .

ناهيك بعبد القوى الأديب الخطيب والمحدث اللبق والراوية الحصيف ، تراه فى عبد القوى المهندس العبقرى فلا تدرى بأيهما تعتز ، وتنشب معركة بين الأدب والفن كل يريد عبد القوى لجانبه ، كما تتجاذبه مصر والسودان ، فهناك يقولون : السودانى المصرى ، وهنا يقولون. المصرى السودانى ، والأدباء يقولون : الأديب المهندس ، والمهندسون يقولون : المهندس الأديب ومثل عبد القوى باشا فى هذا العراك الطريف كدرة الكنز الفريدة يتهافت عليها الجميع فتتسامى وتبقى للجميع .

إنها غاية المجد بلغها هذا الرجل ، والمجد فى الحياة عزيز المنال .

اليوم الثانى عشر

الرئيس يشكر أهل السودان

وجه حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا إلى أهالى السودان الأعزاء الشكر التالى بمناسبة انتهاء زيارة الخرطوم :

" يتشرف على ماهر باشا وزميلاه بتقديم وافر الشكر وأجزله وأطيب الحمد والثناء إلى الشعب السودانى الكريم من مختلف هيئاته وطبقاته على ماأظهروه نحوهم من أكرم الشعور وأصدق الود والإخاء أثناء إقامتهم فى ربوع هذه البلاد الشقيقة العزيزة . وإنه لمن دواعى السرور والاغتباط العظيم أن يتجلى هذا الشعور الفياض أقوى مايكون بهاء وروعة كلما تطلعت قلوب أهل هذا الوادى الأمين إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، وإننا لنبتهل إلى الله العلى القدير أن يحفظ ذاته السامية وأن يحقق فى أيامه السعيدة المباركة مايعمر قلبه الكبير من أطيب الآمال لخير السودان ورفاهة أهله ."

الأربعاء ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٠ — كان اليوم موعد مغادرتنا للخرطوم بعد أيام سعيدة قضيناها فى ربوعها العامرة ، وبين أهلها الأكرمين ، وقد كان التأثر العميق بادياً على الوجوه أينما تنقلت فى شوارع المدينة ، التى غصت بألوف الجماهير التى وفدت عليها من مختلف الجهات ،

للاشتراك فى توديع رفعة الرئيس ، الذى ملك على السودانيين قلوبهم وعاد ممتعاً بحبهم وتقديرهم ، بعد أن لمس ولاءهم الصادق لعرش مصر ، وتعلقهم القلبى بذات المليك المفدى " فاروق الأول " .

وأصبحنا فى هذا اليوم نستشعر الأسف الممض العميق على فراقنا للخرطوم بعد أن انتقشت ذكرياتها الحبيبة على صفحات قلوبنا ، وملأت نفوسنا حباً وإعزازاً .

وبكر أصدقاؤنا فى الحضور إلى أماكن إقامتنا يعربون عن شعورهم وعميق تأثرهم ، وكنا نبادلهم عواطفهم راجين الله تعالى أن يهيء لنا فرصة العودة إلى السودان حتى ننعم برؤية أهله الأوفياء ومدائنه العامرة

وكان كثير من الإخوان يضعون أيديهم فى أيدينا ويطلبون منا أن نقرأ الآية الكريمة ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ للاعتقاد بأن من يقرأ هذه الآية الشريفة مع من يفارقه فانه يعود لرؤيته .

وداعاً مدينة الخرطوم

واحتشدت فى الطريق من سراى الحاكم العام إلى المطار ألوف الخلق تنتظر مرور الركب لتحييه وتودعه ، وخرج رفعة الرئيس وصاحباه فى سياراتهم ومع رفعة الرئيس ياور الحاكم العام والسكرتير الحربى العميد محمود فهمى اللذين ندبهما معاليه لتوديع الزائرين الأجلاء ، وقد اشتعلت حماسة الأهالى على طول الطريق وكنت تسمع بين هتافاتهم "معاك سلامه يارفعة الباشا" وبعض الهاتفين يقول" إن قابلتو «الفاروج» سلموا لنا عليه" وغير ذلك من العبارات المؤثرة التى تصدر عن القلوب

الطاهرة خالصة من شوائب التكلف وتنطلق على سجية النفوس الكريمة تعبر أصدق تعبير عن المعانى التى تجيش بها صدور الهاتفين .

الوصول الى المطار

وكان النظام دقيقاً فى الدخول إلى المطار فاقتصر على الرجال الرسميين ولذلك لم يتمكن من دخوله عدد كبير من الأعيان وكبار التجار لحضروا للتوديع ، وظلوا على باب المطار ، ووصل رفعة الرئيس بعد أن اجتاز الطريق بين الهتافات المؤثرة والدعوات الطاهرات فى حماسة تفوق الوصف وتعجز البيان ، ونداءات قوية بحياة جلالة المليك المفدى "فاروق الأول" سيد الوادى ومليك النيل . واستقبل الرئيس طابور شرف من رجال الجيش فبعد أن تفقده رفعته وحيا العلم المصرى ، تعالت هتافات الواقفين على الأبواب مدوية تشق عنان السماء ، تحمله تحية القلوب للمليك المحبوب ولمصر الشقيقة الكبرى ، وعاد رفعته إلى حيث وقفوا لحياهم شاكراً لهم شعورهم الكريم ، فلما رأوا رفعته تدفقوا متدافعين واخترقوا باب المطار يتنافسون فى تحيته واحتشدت جموعهم على أرض المطار تزلزل أرجاءه بالهتاف الحماسى ، وكانت لحظة من العمر ، خالدة الأثر فى النفوس

فى الطريق الى عطبرة

دوت محركات الطائرات وركبها رفعة الرئيس وصاحباه وأعضاء الرحلة فانطلقت تحلق فى الجو وتدور حول مدينة الخرطوم تلقى عليها تحية الوداع ، وقد تعلقت عيون الجماهير بسرب الطائرات فى حركاته وأخذت تلوح للمسافرين بالأيدى وبالمناديل ، حتى غبنا عن أنظارهم ولم يغيبوا عن قلوبنا .

ستبقى ذكريات السودان وزيارته ماثلة فى أذهاننا باقية فى قلوبنا ، وسيبقى لنا أبداً هذا الأثر البالغ ، الذى مس أفئدتنا ساعة التوديع . لقد غلبنا التأثر وترقرقت فى عيوننا العبرات ونحن نناجى نفوسنا «وداعاً مدينة الخرطوم» وكأنما ينبعث من أعماقنا هاتف يقول : « بل إلى لقاء ! »

الوصول الى عطبرة

هبطت الطائرات على أرض المطار حيث كان فى استقبال رفعة الرئيس الجنرال بلات باشا ، ومستر لاش مدير المديرية الشمالية ، ومستر سيولدنج مدير السكة الحديدية ، ومستر دبل مدير البوليس ومفتش المركز والمأمور وبعض ضباط قوات الدفاع السودانية ورئيس النادى المصرى بعطبرة فصافحهم رفعة الرئيس ثم استقل السيارة ومعه صاحباه الكريمان ثم أعضاء الرحلة وقصد الجميع إلى ورش السكة الحديدية بعطبرة .

مدينة عطبرة

ومدينة عطبرة هى المركز الرئيسى للسكة الحديدية فى السودان وبها المصانع التى تنشأ فيها هياكل القطر الفاخرة التى تستعمل على الخطوط الحديدية هناك لأن مركبات النوم والدرجة الأولى فى السودان غاية فى الجمال والدقة على عكس مركبات الدرجات الأخرى التى تتسلسل إلى الرابعة فتشبه عربات النقل للبضائع فى مصر ويشتغل بهذه المصانع عدد كبير من العمال يصل إلى ٣٠٠٠ عامل بينهم الآن نحو ٧٠٠ من المصريين وهو أكبر عدد للجالية المصرية فى مدن السودان بعد الخرطوم ، ومدينة عطبرة يبلغ عدد سكانها ١٧ ألف نسمة وهى قسمان :

١ — الحى الافرنكى ، وهو مشيد على طراز للمبانى ذات الطابق الواحد وحولها الحدائق المطلة على شوارع فسيحة فى وسطها حدائق غرست فيها الأشجار المظللة للشوارع وبهذا الحى تقع مساكن الإنكليز وكبار الموظفين المصريين ، وبها النوادى الثلاثة بالمدينة الإنكليزى والسودانى والمصرى .

٢ — الحى الوطنى ، وهو المدينة القديمة ومساكنها من الطوب ، وأكثر جدرانها غير مطلية من الخارج وبها مساكن الأهالى والعمال وهى مؤلفة من طابق واحد ، ويخترق المدينة خط حديدى تمر عليه قطارات بخارية مؤلفة من عربتين لنقل الركاب بدلا من الترام ويستعملها الأهالى فى انتقالاتهم بين انحاء المدينة .

فى مصانع السكة الحديدية

بدأ رفعة الرئيس بزيارة هذه المصانع وتفقد نظام العمل فيها ـ وكان العمال فى هذا اليوم من المصريين والسودانين ، فقد تصادف أنه يوم اجازة للعمال اليونانيين والإنكليز الذين يعملون بها ، وقد شاهد رفعة الرئيس أقسام هذه المصانع المختلفة ورأى عملية إنشاء المركبات من بدئها حتى نهايتها واستقبل وودع بأبلغ مظاهر الحفاوة والتكريم .

زيارة النوادى

ثم قصد الركب إلى المدينه التى كانت شوارعها تموج بألوف الخلق يهتفون فى حماسة تفوق الوصف بحياة جلالة المليك المفدى وبتحية رفعة الرئيس وصاحبيه وقصد رفعته إلى النادى المصرى حيث احتشد عدد كبير

من أعضائه وألقيت الخطب والقصائد وسط عواصف الحماسة الرائعة والهتافات المدوية بحياة جلالة المليك حفظه الله ، وبعد انتهاء الزيارة هتف رفعة الرئيس بحياة جلالة المليك فردد الحاضرون هتافة وقوفا فى نشوة من الفرح والابتهاج وأعلن رئيس النادى تبرع رفعة الرئيس بمبلغ ٢٠٠ جنيه لهذا النادى بين التصفيق وعواطف الشكر .

فى النادى السودانى

ثم قصد رفعته بعد ذلك إلى النادى السودانى فكانت مظاهر الحماسة مؤثرة ودوى الهتافات يشق عنان السماء ولما استقر به المقام تقدم كثير من الأعضاء فألقوا خطباً وقصائد تفيض بالولاء للعرش المصرى والمليك المفدى وبالوفاء لمصر وبالتقدير لرفعة الزعيم العظيم . ثم تقدم رئيس النادى بالشكر لرفعة الرئيس على تبرعه للنادى بمبلغ ٢٠٠ جنيه بين دوى الهتاف والتصفيق . وبعد انتهاء الزيارة اتجه الركب إلى بلدة الدامر حيث كان مقرراً أن يتناول رفعة الرئيس وأصحابه الطعام على مائدة جناب المستر لاش مدير المديرية الشمالية .

فى الدامر

وتقع هذه البلدة على مسيرة ١٥ كيلو جنوبى العطبرة وهى مدينة قديمة قليلة السكان يقيم بها جناب المدير وبعض الضباط الإنكليز ، وقد كان فى استقبال رفعة الرئيس وصاحبيه عدد كبير من الضباط الإنكليز مع صاحب الدار ، ثم دعى الحاضرون إلى غرفة المائدة حيث تناولوا الطعام ثم قضوا وقتاً طيباً فى حديث ودى ، وأزف موعد الرحيل إلى بور سودان فغادر رفعة الرئيس وصاحباه الدامر مودعين أجمل توديع .

فى القطار الخاص

وكان القطار الخاص لمعالى الحاكم العام قد أعد من مدينة العطبرة ليقل رفعة الرئيس وصحبه إلى مدينة بور سودان فأرسل هذا القطار إلى بلدة الدامر حيث استقله الرئيس مودعاً بالحفاوة والإجلال . وغادرنا الدامر الساعة الخامسة مساء فى طريقنا إلى بور سودان .

على مائدة الرئيس

تفضل الرئيس فوجه دعوته للزميلين مندوب الأهرام ومندوب البلاغ ولكاتب هذه السطور ليتناولوا طعام العشاء على مائدته ويقضوا السهرة فى صالونه بالقطار . وكان على المائدة صاحبا المعالى عبد القوى باشا وحرب باشا وغمرنا الرئيس فى فيض إيناسه وغزير معارفه . وبهرنا بعبقريته الفذة وتناول الحديث ألواناً شتى من الشئون العامة الاجتماعية والسياسية والتاريخية ، وظللنا فى هذه المتعة حتى منتصف الليل . وانصرفنا إلى غرفنا بالقطار شاكرين لرفعة الرئيس دعوته وكرمه .

اليوم الثالث عشر

الخميس ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٠ — أرسل رفعة الرئيس إلى حضرة صاحب السعادة عبد الوهاب طلعت باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة البرقية التالية :

انتهت رحلتنا فى أعالى النيل ، وفى واد مدنى ، وسنار والجزيرة ، وجبل أولياء على أتم توفيق وقد أحيت هذه الزيارات فى نفوسنا ذكرى الأعمال الجليلة التى قام بها المصريون فى هذه الجهات ، وكانت تعد من مفاخر البيت العلوى الكريم ، واليوم وصلنا إلى بور سودان قادمين من عطبرة بالقطار الخاص وغادرناها فى الساعة الخامسة عائدين إلى عطبرة لنقوم فى الغد إلى حلفا ، وقد شملت التبرعات تيمناً بعيد حضرة صاحب الجلالة الملك أربع جوائز أخرى باسم جوائز "فاروق الأول" ، واحدة لمدرسة العطبرة ، وثلاثة لمدارس بور سودان أدام الله ذاته العلية ذخراً للنيل وأهله .

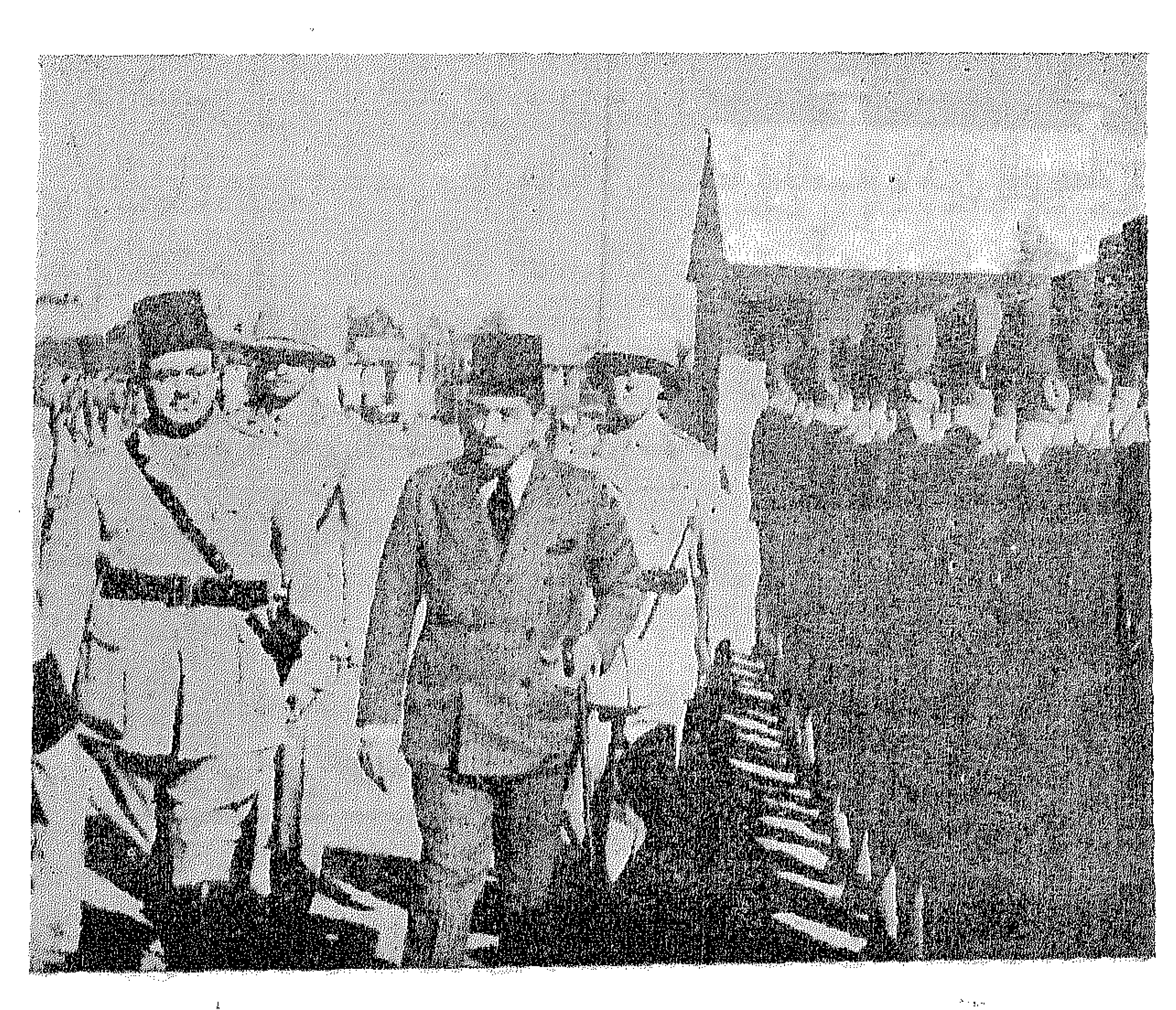
على ماهر

◎◎◎

الوصول الى بورسودان

قضينا الليل كله فى القطار الذى كان يقطع مراحل السفر مجتازاً الصحارى والوديان الشاسعة فى طريقه إلى بور سودان وفى الساعة السابعة صباحا وصلنا إلى بور سودان فقطعنا مرحلة السفر من عطبرة إليها فى

١٣ ساعة ، لأن سرعة القطارات فى السودان محدودة نظراً لرخاوة الأرض ، واستيقظ رفعة الرئيس فى نحو الساعة الرابعة وارتدى ملابسه وبعد أن أشرقت الشمس طاف رفعته بالمسافرين يتفقد حالتهم ويوقظ بعضهم وهو يقول مداعباً « إنى لا أفهم كيف تدعون أنكم شبان . ومع ذلك تتركون الشمس تشرق وأنتم نيام .!؟ » وصحونا من مراقدنا نرتدى ملابسنا سراعاً وبعد قليل كنا على أهبة النزول من القطار عند وصوله إلى المحطة ، فلما أذنت الساعة السادسة وقف القطار أمام بورسودان وكان قد وصل مبكراً عن موعده بنحو ساعة فوجدنا على المحطة فريق من ضباط الجيش المصرى ومعهم طابور شرف يحمل العلم المصرى ،



(الرئيس فى محطة بورسودان)

وخف المستقبلون من الضباط إلى صالون الرئيس فقدموا إليه تحيتهم ، وتهنئتهم بسلامة الوصول ، وحضر كبار الضباط والموظفين الإنكليز فاستقبلوا رفعة الرئيس وصاحبيه بالإجلال والترحيب .

ونزل رفعة الرئيس من القطار ففتش طابور الشرف وحيا العلم المصرى وعزفت الموسيقى السلام الملكى بين مظاهر الإجلال والتعظيم ، ثم هتف ضابط مصرى كبير بحياة جلالة الملك فردد الجميع هتافه بحماسة مؤثرة .

الجماهير خارج المحطة

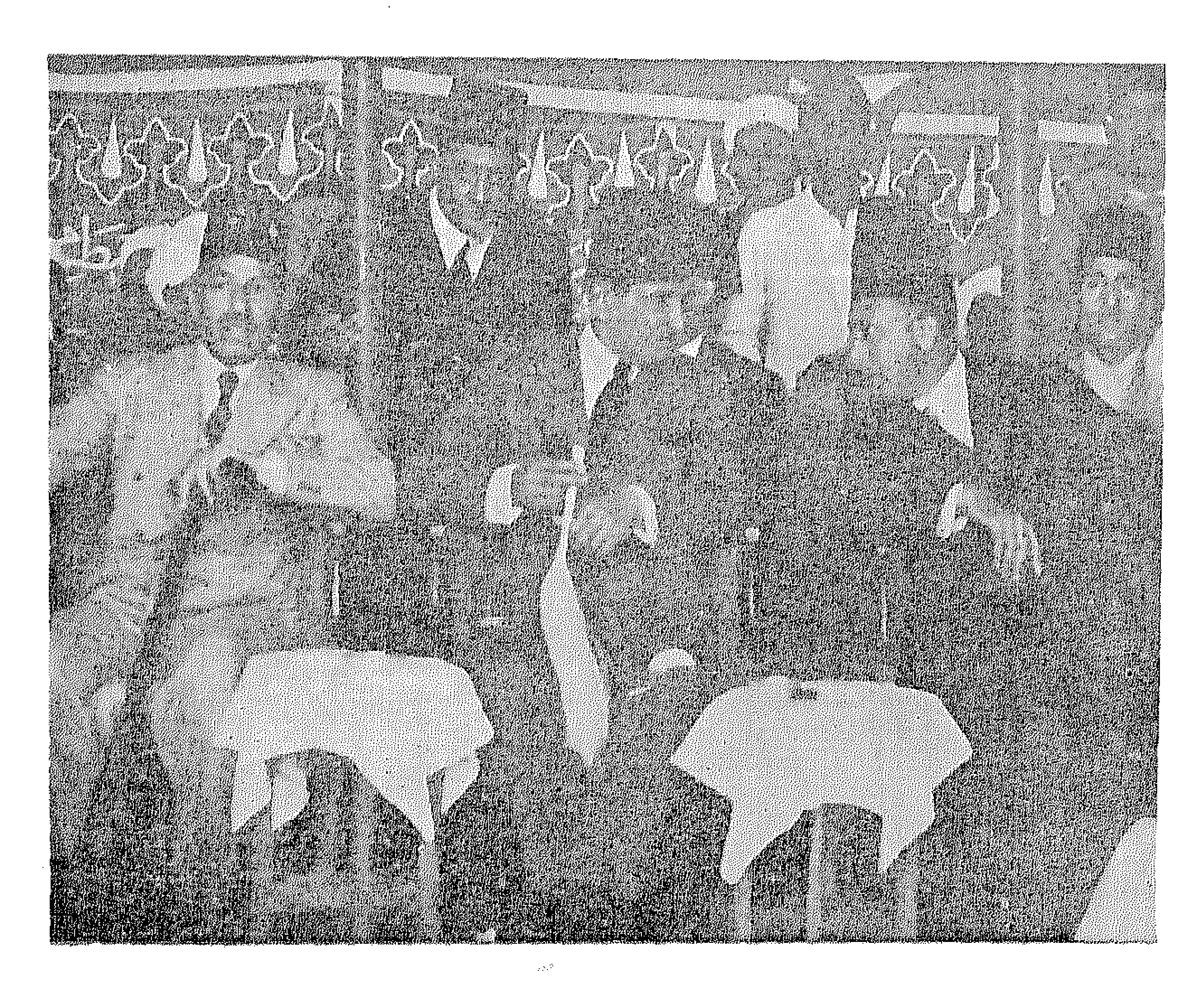
وكانت الجماهير الحاشدة خلف أسوار المحطة الخارجية تتسمع مايدور داخلها ، وتتلهف شوقاً إلى رؤية رفعة الرئيس فلما تصاعد الهتاف بحياة المليك المفدى رددت صداه الجموع الزاخرة التى غصت بها الشوارع ، واشتعلت فى النفوس الحماسة قوية طاغية واهتزت أرجاء المحطة بالهتافات الحارة .

وكانت السيارات معدة عند مدخل المحطة فركبها رفعة الرئيس وصحبه وانطلقت بهم فى شوارع المدينة .

افتتاح مصبغة عامر باشا

وكان المغفور له ابراهيم عامر باشا قد التمس من رفعة الرئيس أن يتفضل بافتتاح مصبغته التى أنشأها بمدينة بورسودان عند زيارته لها ، فقصد رفعته إلى هناك بين الحفاوة الشعبية من الجماهير ، وزغردة النساء من نوافذ الدور . وكان قد أعد سرادق بجوار المصبغة حفل بجمهور كبير من كبار الموظفين والتجار والأعيان والوجهاء وكان بين العمال فى المصبغة ٢٧ عاملا مصرياً ، وعند مادخل رفعة الرئيس إلى السرادق قطع الشريط

الحريرى الأخضر الذى كان فى مدخل المصبغة إيذاناً بافتتاحها وعندئذ أطلق العمال أسراب الحمام الأبيض فراحت تطوف حول رؤوس الجماهير وتحلق فوق السرادق ووقفت حمامة منها إلى جوار الاطار الكبير الذى تزينه صورة المليك المحبوب فى وسط السرادق فكانت فألا طيباً .



(الرئيس وحرب باشا وعبد القوى باشا فى السرادق)

وبعد أن استقر بالقادمين المقام وقف وكيل دائرة عامر باشا فألقى خطاباً رحب فيه برفعة الرئيس نيابة عن عامر باشا وقدم له الشكر على تفضله بهذه الزيارة وافتتاح المصبغة ثم أعلن أن المغفور له عامر باشا تبرع فى هذا اليوم بمرتب يوم للعمال ومنحهم كساوى من الحرير و « البفتة » فوزعت هذه المنحة بحضرة الرئيس بين تهليل الجماهير ودعواتهم .

كما نحرت الذبائح خارج المصبغة ووزعت لحومها مع الخبز على الفقراء وتفقد الرئيس المصبغة ثم خرج مودعاً بأروع مظاهر التقدير والإجلال .

زيارات فى المدينة

وانطلق الركب فى شوارع المدينة بين حفاوة بالغة وحماسة مؤثرة فزار رفعة الرئيس مدارس البنين والبنات . وحياه الطلاب بالأناشيد الجميلة بايقاع موسيقى لطيف . كما ألقيت بين يديه الخطب والقصائد ثم أعلن رفعته تبرعاته لهذه المدارس بالجوائز الملكية فقوبل ذلك بالهتاف المدوى والحماسة الفائقة .

فى ميناء بور سودان

وزار الرئيس ميناء بور سودان فكان فى استقباله محافظ المدينة وكبار الموظفين ورجال الإدارة والقضاء وبعد أن طاف بأقسامها المختلفة وتفقد النظام الذى يجرى عليه العمل ، عاد رفعته وصاحباه مودعين بالحفاوة والإجلال . ثم قصد رفعته ومن معه إلى الحديقة العامة بالمدينة وهى فسيحة الأرجاء جميلة التنسيق يباح دخولها للشعب دون رسم مقرر وبها قسم خاص بالحيوانات المختلفة والوحوش والزراف والنعام وبعد أن قضى رفعته وقت فى هذه الحديقة قصد إلى « فندق البحر الأحمر » بالمدينة حيث استقبل كثيرين من الموظفين والأعيان وكان فيهم حضرة الأستاذ الدرديرى القاضى الجنائى بالمدينة وبعض رجال الجالية الإنكليزية

فى ثكنة الجيش

ثم قصد رفعة الرئيس وصاحبا المعالى الوزيران إلى ثكنات الحامية

المصرية ببور سودان ، فتفقدوا حالة الجنود ونظام معيشتهم وسروا بما رأوه من مظاهر العافية والقوة على الضباط والجنود ، وشاهدوا مناورة المدفعية على الساحل ، وبعد أن قضوا فى الشكنات نحو ساعتين اصطف الجنود فى نظام بديع وفتش رفعته صفوفهم ومعه معالى صالح حرب باشا الذى كان القى فى الضباط والجنود خطبة حماسية مؤثرة وختمها بقوله "ليكن شعوركم يارجال الجيش دائماً ، الله والمليك والنيل ، ثم قال أن ماء النيل هو حياة مصر وطنكم العزيز ، فهو أغلى من دمائكم". فهتف الجنود قائلين "نحن فداء المليك والنيل"

تحية الرئيس للجنود

ثم خاطبهم رفعة الرئيس قائلا « لقد دافع آباؤكم عن النيل دفاع الأبطال الصناديد ، فكونوا خير خلف لخير سلف » فردد الجنود الهتاف باسم المليك المفدى قائد الجيش الأعلى ورمز المجد للوطن .

فى ثكنة الكتيبة الثالثة

وقصد الزائرون بعد ذلك إلى ثكنات الكتيبة الثالثة للجيش المصرى ببور سودان وهى ثكنات فسيحة مبنية على أحدث طراز وتتسع لضعف العدد القائم بها إبان الرحلة .

جزيرة الأسماك

وبعد انتهاء هذه الزيارات قصد رفعة الرئيس وصاحباه ونحن معهم إلى شاطىء البحر الأحمر حيث كان هناك زورق معد للانتقال بهم فى نزهة بحرية إلى جزيرة الأسماك ، فركبوا هذا الزورق وهو خاص بهذه المنطقة



(الرئيس فى ثكنات الجيش المصرى)

وقاعه عدسات مستطيلة تكشف المرئيات فى أعماق البحر الى مسافة ٥٠ متراً وقد مكنشا نرى من خلالها ألوان السمك المختلفة وأنواعه العجيبة وكنا نمر ببعض الأماكن فنرى شعاب المرجان وأنواع الأصداف البحرية كما كنا نرى ألوفا من سمك « المكرونا » عدا مافى البحر من « السلحفاة » و « الترسة » و « الثعابين » وقضينا فى هذه النزهة نحو ساعة داخل البحر الأحمر وعاد الرئيس وصحبه إلى المدينة بعد أن تبرع رفعته لعمال الزورق بمبلغ من المال وغادرنا الميناء ودوى الهتافات يلاحق الركب حتى اتصل صداه بهتافات الجماهير فى الشوارع ...

طعام الغداء

وتناول رفعة الرئيس وصاحباه طعام الغداء فى هذا اليوم على مائدة المحافظ فى منزله ، وبعد انتهائها خرجوا مودعين بالإجلال والتكريم .

حفلة الجيش المصرى

وكان الضباط المصريون فى بورسودان قد أعدوا حفلة شاى تكريماً لرفعة الرئيس فشاركهم فى إقامتها كبار الإنجليز والسودانيون وجعلوها حفلة الجميع لأن الوقت غير متسع لانفراد كل طائفة بحفلة وقد كانت حماسة الجماهير فى طريق الموكب بالغة غاية الروعة . واستقبل رفعة الزعيم من المحتفلين بالتقدير العظيم والحفاوة البالغة ، وبعد تناول الشاى ألقى الأميرالاى أحمد ناشد بك كلمة حيا بها الزائر العظيم وصاحبيه الكريمين ثم هتف بحياة جلالة الملك المعظم وردد الحاضرون الهتاف وقوفا فى عاصفة من الحماسة والتصفيق .

التبرعات للفقراء

وقد تبرع رفعة الرئيس فى هذا اليوم بماية جنيه لفقراء بورسودان ومائة أخرى لفقراء سواكن فقوبلت هذه المنحة بالدعاء والتهليل .

لمحة عن بورسودان

وبور سودان هى الثغر السودانى الذى تدخل منه الواردات على السودان ، وقد أنشأه المصريون فى سنة ١٩٠٥ فى موقع قرية كانت تعرف باسم الشيخ بوغوث ، وقد بلغت نفقات إنشائها ٩١٤,٣٢٠ جنيه ،

وتم إنشاؤها فى أربع سنوات وهى تبعد عن السويس بـ ٧٠٠ ميل بحراً وعن الخرطوم بـ ٤٩٥ ميل براً ، وهى مزدحمة بالأهالى من مختلف الجنسيات يشتغلون بالتجارة ، وأهم مايلفت النظر هو كثرة البضائع اليابانية فى أسواقها ورخص أسعارها وخصوصاً الحرائر والمنسوجات ، وترى فى بور سودان مختلف الأجناس وتسمع اللغات العديدة وإذا مررت بأسواقها خيل إليك أنها "برج بابل" .

السهرة فى القطار

وفى الساعة الخامسة مساء تحرك القطار الخاص يقل رفعة الرئيس وأصحابه عائدين إلى عطبرة مودعين من بور سودان بالمظاهر المؤثرة والحفاوة البالغة ، وقضينا السهرة فى القطار فى حديث ممتع .

وتناولنا العشاء على مائدة الرئيس مع الزميلين عبد الرحمن نصر ومحمد حمزة وبعد انتهاء المائدة جلسنا يشملنا عطف الرئيس ويغمرنا إيناسه ولطفه ، ثم دعا رفعته الطيارين الذين كانوا بالقطار فاستقبلهم وحياهم على ما أظهروه من براعة ونبوغ طوال ساعات السفر فى الرحلة ثم خرجوا منتشين حماسة وسروراً .

وبعد منتصف الليل آوينا إلى مضاجعنا ننتظر وصول القطار إلى عطبرة فى الصباح .

اليوم الرابع عشر

الجمعة ١ مارس سنة ١٩٤٠ — أرسل حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا إلى حضرة صاحب السعادة عبد الوهاب طلعت باشا البرقية التالية :

"غادرنا عطبرة اليوم بطريق الجو إلى حلفا فوصلناها حوالى الساعة الحادية عشرة ، وقد كان بالمطار من كبار الموظفين البريطانيين والسودانيين والمصريين مدير أسوان ونائب الدر وكثير من الموظفين والأهالى قدموا من جهات مختلفة ، وقد كانت عواطف الجميع وحماستهم فى الهتاف لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك مبعث تأثرنا واغتباطنا وقد ذهبنا من المطار إلى الباخرة المعدة لسفرنا واجتمعنا فيها بالأعيان وكبار الموظفين حيث أعلنا ترتيب جائزتين سنويتين باسم فاروق الأول وباسم جلالة الملكة فريدة ، الأولى للمدرسة الثانوية ، والثانية لمدرسة البنات ، وقد قوبل ذلك بما ألهج الألسنة بالدعاء للمليك المعظم حفظه الله وأدامه للخير والبركة

على ماهر

الوصول الى عطبرة

أشرقت الشمس ونحن فى طريقنا من بور سودان إلى عطبرة ، على مناظر الصحراء والفلوات الشاسعة ، وكنا نرى القرى الصغيرة على جانبى

الخط الحديدى وأهلها يلوحون للقطار بأغصان الشجر وبالرايات تحية وتوديعاً ، وفى الساعة الثامنة صباحا وصلنا إلى المطار حيث يمتد الخط الحديدى ، فنزلنا من الصالونات وحملت حقائبنا فوراً إلى الطائرات التى كانت على أهبة الرحيل . وقد ودع الرئيس فى عطبرة حضرات المستر لاش المدير وكبار الضباط والموظفين الإنجليز والسودانيين والمصريين والأعيان ورئيس النادى المصرى وقد اشتركوا فى توديع رفعة الرئيس والإعراب عن أسف السودان على انتهاء أيام الزيارة ، والتمنيات القلبية لرفعة الرئيس وصاحبيه بالسلامة والعافية فى الحل والترحال . وشكر الرئيس وصاحباه للمودعين شعورهم وركب المسافرون الطائرات، فانطلقت فى الجو تدور حول عطبرة بتحية الوداع ، ثم أخذت سمتها إلى الشمال .

الوصول الى حلفا

وصلت الطائرات الى حلفا الساعة الحادية عشرة بعد أن قطعت الطريق من عطبرة فى ساعتين ونصف الساعة وكان فى الاستقبال بالمطار جمهور حاشد من كبار الموظفين والأعيان والتجار وبينهم صاحب العزة اسماعيل بك الدروى مدير أسوان ومعه وفد كبير من أعيان وتجار المديرية ودوى الهتاف يزلزل أرجاء المطار بحياة المليك المفدى " فاروق الأول " أعزه الله ، وبعد الاستقبال قصد رفعة الرئيس والمسافرون إلى مرسى البواخر النيلية وخلفهم نحو الخمسين سيارة تقل جماهير المستقبلين بالمطار فاجتاز رتل السيارات الطريق وطوله ١٦ كيلو مترا وسط حفاوة الأهلين وهتافاتهم وكان الأعيان والتجار قد زينوا واجهات دورهم وحوانيتهم بالرايات والأعلام ورفعوا صوراً مكبرة لجلالة المليك المفدى ، كما

أقيمت فى الشوارع الرئيسية للمدينة أقواس نصر عليها عبارات الترحيب والهتاف والولاء لذات المليك المحبوب وعرشه المصون .

في الباخرة النيلية

وصل رفعة الرئيس وأصحابه إلى الباخرة النيلية التى كانت معدة للسفر الى أسوان ودوى الهتاف يشق أجواز الفضاء . ومظاهر الفرح والابتهاج تبدو على الجماهير التى كانت محتشدة على الشاطىء ومعها الطبول والمزامير تضفى البهجة على المدينة ، وقد استقبل الرئيس فى الباخرة جمهوراً كبيراً من أعيان المدينة وعلمائها وتجارها وموظفيها وقضى معهم وقتا فى أحاديث طلية عن الرحلة الميمونة ، وأثارها العظيمة فى النفوس .

تبرعات

وأعلنت تبرعات رفعة الرئيس لفقراء مدينة حلفا بمبلغ ١٠٠ جنيه وبريع سندين موحد لأنجب طالب وطالبة بمدرستى البنين والبنات بحلفا كجائزتين باسم جلالة الملك فاروق الأول وجلالة الملكة المعظمة فريدة .

شكر رفعة الرئيس

وجه رفعة الرئيس لمعالى الحاكم العام ولزعيمى السودان الشكر التالى :

" أود وزميلاى أن نبعث إلى سعادتكم بخالص الشكر على العناية البالغة والترحيب الودى الذى صادفنا فى مختلف أنحاء السودان ، ويسرنى بعد العودة إلى القاهرة أن أحفظ جميل الذكر لهذه الزيارة التى أتاحت لى الوقوف على أحوال السودان ، والتى أعتقد أنها ستساعد كل المساعدة فى التقاء جهودنا نحو سعادة هذه البلاد ورفاهيتها . "

فتلقى مقامه الرفيع من معالى الحاكم العام ، الرد التالى :

" أنى لعظيم السرور والتقدير للرسالة الكريمة التى تفضلتم رفعتكم فضمنتموها إمتنانكم وشكركم . وقد بعثت الزيارة التاريخية التى قمتم بها مقامكم الرفيع وصاحب المعالى لبلاد السودان عظيم الابتهاج والغبطة بين رجال الحكومة وأفراد الشعب الذين سرهم واسع كرمكم وبالغ اهتمامكم المقرون بمزيد العطف على جميع أسباب تقدم هذه البلاد ورفاهيتها " .



سعادة الحسيب النسيب السيد السير
على الميرغنى باشا الزعيم السودانى



سعادة الحسيب النسيب السيد السير
عبد الرحمن المهدى باشا الزعيم السودانى

ووجه رفعته برقيتين إلى حضرتى صاحبى السعادة السيد على الميرغنى باشا

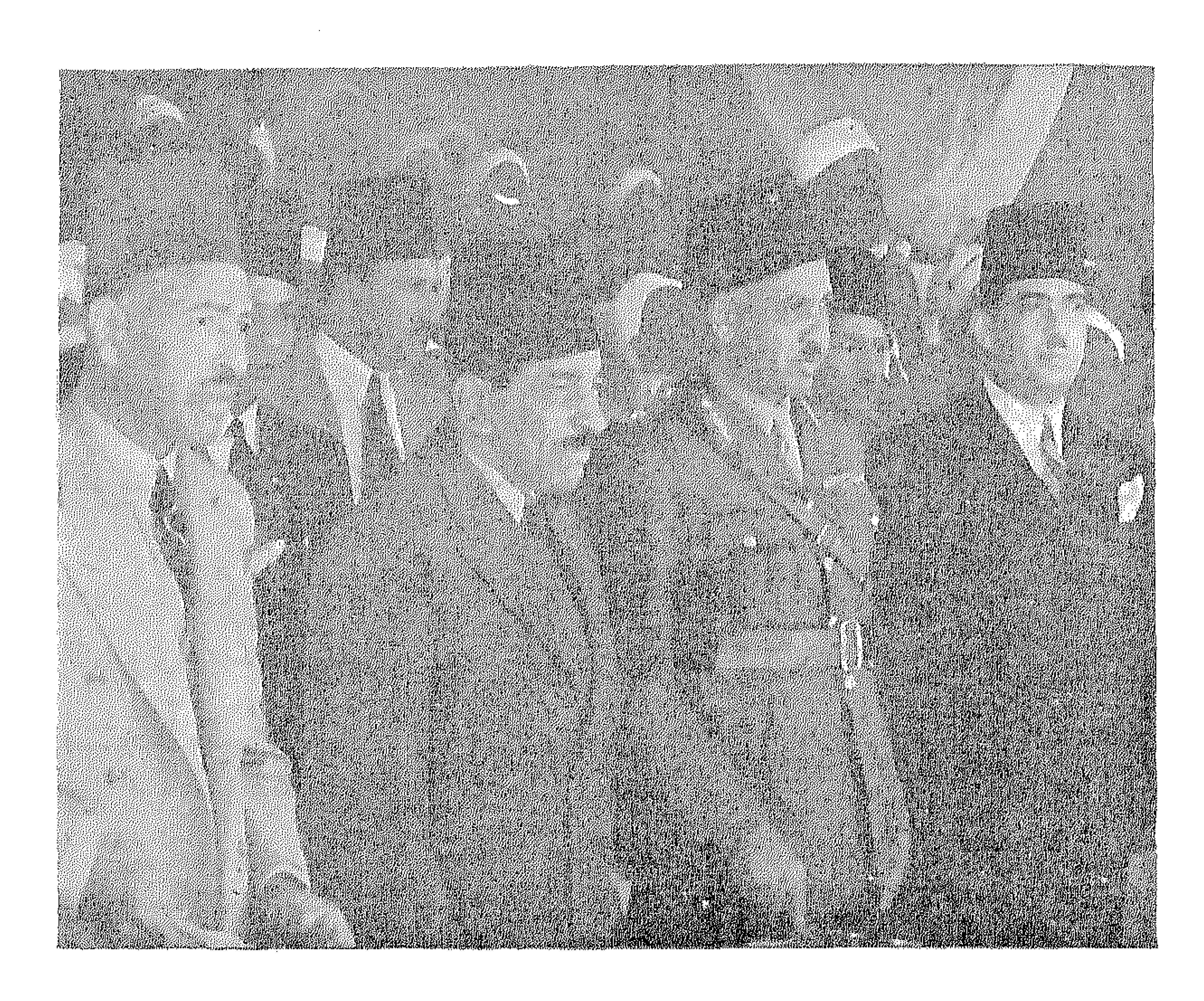
والسيد عبد الرحمن المهدى باشا ، زعيمى السودان الجليلين شكر فيهما لسعادتيهما ماقوبل به من الترحيب والمودة فتلق رفعته الرد منهما .

السودانيون يودعون الرئيس

وقد تلقى رفعة الرئيس سيولا من البرقيات أرسلها الكثيرون من العظماء والكبراء ورجال الحكم والقضاء والأعيان والتجار ورؤساء الأندية المختلفة يعربون فيها عن عواطفهم الصادقة نحو رفعته وتمنياتهم القلبية له بالسلامة فى الحل والترحال .

الى بلاد الدر

وغادرت الباخرة مرساها فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً متجهة إلى بلاد الدر مودعة بالحماسة الشعبية المنقطعة النظير ، وسارت الباخرة تتهادى فى النيل تقل رفعة الرئيس وصاحبي المعالى عبد القوى باشا وحرب باشا ، وصحبهم كما سافر عليها مدير أسوان ونائب الدر الأستاذ محمد شاهين حمزة وفى الساعة الثالثة مساء وقفت الباخرة أمام بلدة "أدندان" على ضفة النيل الغربية حيث كانت جموع الأهالى مصطفة على الشاطىء تحمل الأعلام والبنود وسعف النخل معقوداً به الورد والريحان ، وكان دوى هتافهم يشق عنان السماء وهم يرددونه بحياة جلالة المليك المفدى ومصر والسودان وبتحية رفعة الزعيم وصاحبيه الكريمين ، ولما رست الباخرة على الضفة الشرقية للنيل نزل رفعة الرئيس وأصحابه إلى سرادق أقيم هناك وزين بصورة كبيرة لجلالة المليك المعظم ، وألقيت الخطب والقصائد تفيض بآيات الإخلاص والولاء لعاهل النيل ورمز مجده



رفعة الرئيس وحرب باشا وعبد القوى باشا وإلى جوارهم الدروى بك فى أدندان

" فاروق الأول " ، وبالتحية والتقدير لرفعة الزعيم على ماهر باشا وصاحبيه الجليلين ، وبعد أن قدمت المرطبات والحلوى عاد الرئيس إلى الباخرة شاكراً مغتبطاً ، وأعلن تبرعه بثلاثين جنيهاً لفقراء أدندان ووعدهم بإجابة مطالبهم التى أعربوا عنها فى خطبهم .

ثم أقلعت الباخرة من " أدندان " مشيعة بالهتافات والأناشيد الشعبية وزغردة النساء والطبول وواصلت سيرها إلى بلدة " بلانه " فوصلنا مرساها فى الساعة السادسة مساء ، وكانت الأنوار والمشاعل تضيء الشاطىء المزين بالأعلام وسعف النخيل ، وقد دوى الهتاف بحياة المليك المفدى وحياة على ماهر باشا الزعيم الشعبى ، فكان رفعته يرد التحية

شاكراً فى تأثر بالغ ، وتقدم كبار أهل البلدة وأعيانها بالتحية لرفعة الرئيس ودعوته للنزول فى بلدتهم فلبى دعوتهم بين حماسة الجموع الحاشدة وهتافاتهم وألقيت أمامه الخطب والقصائد وأعربوا عن أمنيتهم فى إنشاء ترعة تمر بالأراضى الزراعية القليلة التى يعيشون من استثمارها فصرح معالى عبد القوى باشا بلسان رفعة الرئيس أن هذه الأمنية ستتحقق فى القريب بإذن الله ؛ فتصاعد الهتاف والدعاء يتردد صداهما على جانبى النيل .

وتبرع الرئيس بمبلغ ثلاثين جنيهاً لفقراء البلدة وما أن أعلن الدروى بك هذا النبأ حتى دوى الهتاف والدعاء يرتفع إلى السماء مستجاباً مقبولا .

زيارة معبد أبى سمبل

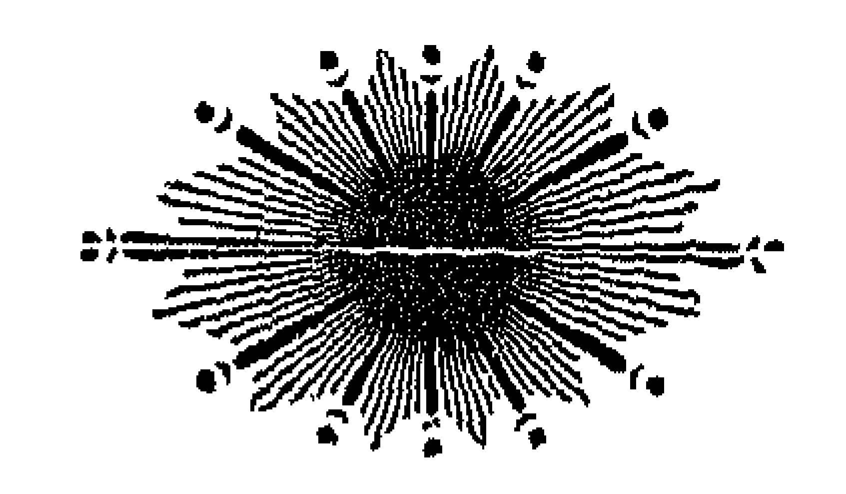
وبعد ساعة ونصف تقريباً وصلت الباخرة إلى بلدة أبى سمبل حيث يقوم المعبد الأثرى الرائع المعروف بمعبد أبى سمبل وهو منحوت فى الصخر وعلى مدخله تمثالان كبيران لرمسيس الثانى ، وبداخله نقوش ملونة بينها صورة تسجل انتصارات رمسيس فى حروبه على أهل الجنوب وأهل الشام وتصوره قابضاً بيديه على شعور الأسرى الخاضعين وحوله الكهان يقدمون القرابين للآلهة إلى غير ذلك من روائع الآثار التاريخية .

وقد احتشد على شاطىء النيل أهل البلدة وتلاميذ مدرستها الأولية فى صفين إلى باب المعبد ومعهم الأعلام يلوحون بها ويهتفون باسم جلالة المليك المعظم سيد النيل ويرتلون الأناشيد الحماسية . وكان الليل قد أظل الأرجاء فمدت الأسلاك الكهربائية تحمل المصابيح وتستمد التيار من محركات الباخرة وسلطت الأنوار على واجهة المعبد من مصابيح قوتها

٢ مليون شمعة فبدت رائعة خلابة وبين حماسة فائقة وهتافات حارة تمت الزيارة للمعبد وتولى الشرح فيها الأستاذ زكريا غنيم مفتش الآثار بأسوان ثم ألقيت كلمات الترحيب والتهنئة لرفعة الزعيم بعودته من ربوع السودان العزيز، وبالولاء القلبي الصادق لجلالة المليك المحبوب "فاروق الأول".

وقد أعرب عمدة البلدة حسن بك كباره عن رغبة الأهالى فى ردم البرك بأبى سمبل فأعلن معالى عبد القوى باشا القرار بتحقيق هذه الأمنية، فقوبل هذا بالدعاء لمولانا الملك المعظم والهتاف لرفعة الرئيس وصاحبيه

ثم وقف اسماعيل بك الدرى فأعلن تبرع رفعة الرئيس بمبلغ ثلاثين جنيهاً لفقراء أبى سمبل. ثم عاد رفعة الرئيس وأصحابه وتناول الجميع العشاء على مائدته بالباخرة وقضوا السهرة فى الأحاديث الممتعة، ثم آوينا إلى مضاجعنا.



اليوم الخامس عشر

السبت ٢ مارس سنة ١٩٤٠ ـ أقلعت الباخرة النيلية من مرساها قبيل الفجر منطلقة إلى بلدة عنيبة العاصمة الرسمية لبلاد الدر وأصبحنا على يوم جميل مشرق الشمس دافىء الجو ، نستمتع بالمناظر الطبيعية البديعة على جانبي النيل فى هذه المنطقة ، وكانت أشعة الشمس الذهبية فى الشروق تنعكس على الشاطىء الصخرى للنيل فيبدو سحره وجماله

فى عنيبة

وصلت الباخرة إلى عنيبة فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً فكانت فى أروع مظاهر الفرح والابتهاج مزينة الشوارع بالأعلام وأقواس النصر تظل الجماهير التى احتشدت على الشاطىء تهتف وترحب ونزل الرئيس وصاحباه أمام المرسى فعزفت الموسيقى السلام الملكى ثم انطلقت الجماهير ترسل هتافاتها الحارة فى حماسة تفوق الوصف .

وآثر رفعة الرئيس أن تتم الزيارات لعنيبة سيراً على الأقدام ومشى رفعته وحوله الجماهير الحاشدة مسيرة ٢ كيلومتراً حتى وصل إلى دار المركز وكانت مظاهر النشاط بادية على رفعته وتجلى حبه لرياضته المفضلة (السير على القدمين) فقد كان الناس لا يستطيعون متابعته فى خطواته السريعة وكنت تراهم يلاحقونه وهم يعدون هاتفين مرحبين والجموع على الجانبين تردد الأناشيد والأدعية وتتابع النغم بدق الأكف فى إيقاع

موسيقى لطيف . وكانت تتخللها طلقات البنادق فى الفضاء ترحيباً وتكريماً .

وبعد زيارة المركز ، وتفقد سير العمل ونظامه قصد رفعته إلى دار المدرسة الابتدائية حيث كانت التلاميذ مصطفة فى نظام جميل تحت إشراف ناظر المدرسة ومدرسيها وبعض رجال المعارف الذين كانوا فى البلدة للتفتيش على المدرسة . وبعد زيارة المدرسة ومتحف الرسم والأشغال اليدوية فيها قصد رفعته إلى سرادق الاستقبال الكبير الذى أقيم بفناء المدرسة واحتشد فيه خلق كثير من الأعيان والتجار وأولياء أمور التلاميذ ثم أنشدت فرق الكشف بالمدرسة ألحاناً حماسية ومر التلاميذ جميعاً فى ملابس الرياضة وقاموا بتشكيلات نظامية وحركات عسكرية ثم ألفوا قلعة من أنفسهم فى ذروتها طالب سودانى يحمل علماً مصرياً هتف بحياة جلالة المليك المفدى فردده الحاضرون وقوفاً فى حماسة بالغة .

نائب الدر

ثم وقف الأستاذ محمد شاهين حمزة نائب الدر فألقى الكلمة الآتية :

هذا هو يومنا ، يوم النوبة ويوم الأمانى . وهو عيد البشائر سعى إلينا الغيث إذ هبط من عل الخير والبركات والأمل الواسع العريض وعن يمينه وشماله النار والماء . هذا يلهب البلاد للفداء وهذا يمد لها أسباب البقاء . وقد أخذنا نصيبنا موفوراً من دعوة الأول فهممنا بأن نستعيد عهداً لنا مضى كان مما حدث فى غضونه أن استعان بنا قديماً احمس ملك مصر وأول ملوك الأسرة الثانية عشرة على طرد الهكسوس فأعناه بجيش عرمرم من النوبة قاتل الهكسوس حتى طردهم من مصر فنالت نصراً حاسماً على يد جيشنا المظفر ونلنا نحن أهل النوبة شرف النصر

ولا يزال يجرى فى عروقنا دفؤه وزهوه ونخاره . ثم شرح مطالب بلاد النوبة من وزير الأشغال . وتلاه الأستاذ يوسف الحمادى المدرس بالمدرسة الابتدائية الأميرية فألقى قصيدة عامرة . وألقيت خطب وقصائد أخرى تفيض ولاءً وإخلاصاً لصاحب العرش وحفاوة بوزيره الأول . ثم ألقى صغار التلاميذ والتلميذات نشيداً لطيفاً وعرضت بعض ألعاب الكشافة وهتفوا فى ختامها ثلاثاً بحياة الملك كشاف مصر الأعظم .

وقد صافح رفعة الرئيس التلاميذ الذين ألقوا النشيد وتبرع لهم بخمس جنيهات لشراء حلوى توزع عليهم .

كلمة وزير الأشغال

ثم وقف صاحب المعالى عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال فألقى كلمة بليغة جاء فيها :

يحمل إليكم رفعة الرئيس من الشمال تحية المليك المفدى وعطفه على النوبة كما يحمل إليكم من الجنوب تحية أشقائكم سكان النيل الأعلى أبناء السوادن الأعزاء ، فإن السودان من الشلال الأول إلى الشلال الثانى هو الحلقة القوية المتينة بين أعلى النيل وأسفله . ولقد ورث جلالة المليك المفدى عن أبيه العظيم المغفور له الملك فؤاد سر العظمة وسر القوة وسر الرخاء الذى تفيضه مديرية أسوان على مصر كلها . ورث جلالة الملك المفدى عن أبيه الخالد الذكر هذه المعانى فكان هذا مصدر الخير لبلادكم.

ومن يمن الطالع أن يكون المغفور له محمد ماهر باشا والد رفعة على ماهر باشا مذكوراً بينكم بحسن الأحدوثة وطيب الذكر بشهادة كباركم وخطبائكم وقد ورث عنه رفعته العناية بكم والعطف على قضيتكم .

فالشبل سر أبيه على عرشه فى بيت الملك المنيف فى عابدين .

والولد سر أبيه فى بيت الشعب بينكم الآن مستمداً من وحى الفاروق وإلهامه . وإذا كان رفعته الوزير الأول لكل الطبقات فإنه يعد نفسه الخادم الأول للفقراء من زراع وعمال .

وختم معاليه كلمته بقوله : إننى كمهندس لفخور بأن أسمع هتافكم هنا وهتاف إخوانكم فى السودان « عاش ملك النيل » .

مبرات الرئيس

وكان الرئيس قد أمر بتوزيع اللحوم والدقيق والكسوة على الفقراء والمعوزين بالبلدة على حسابه الخاص وبعد أن تمت الزيارة لدار المركز



(الرئيس يغادر عنيبة)

والمدرسة والمستشفى والمنشئات الحكومية بعنيبة قصد رفعته إلى دار المركز حيث كانت جموع الفقراء قد احتشدت فى انتظار مايهدى إليها فوقف رفعة الرئيس يشارك فى توزيع المبرات عليهم بيديه ويتقبل دعائهم القلبى الذى يتصعد إلى السماء فيستجيب له رب العرش العظيم . وكانت الهتافات بحياة جلالة المليك المفدى "فاروق الأول" عاهل النيل ، وحياة على ماهر باشا رجل الخير ونصير الضعفاء و« صديق النوبة » تدوى فى الآذان وتردد صداها الجماهير فى البلدة الفرحة السعيدة .

فى بلدة مالكى

وانطلقت الباخرة تقل الزعيم العظيم وصحبه الكرام فى طريقهم إلى بلدة "مالكى" على شاطىء النيل الغربى رست عندها الساعةالخامسة مساء تلبية لدعوة أعيانها وكبرائها لحفلة شاى أعدت بها تكريماً لرفعة الزائر المحبوب ، وكان أهالى البلدة قد احتشدوا على الشاطىء فى انتظار وصول الباخرة فلما أهل عليهم رفعة الرئيس دوت هتافاتهم الحماسية ودعواتهم الحارة تغلب أصوات الطلقات النارية يرسلونها من البنادق فى الهواء فرحا وترحيباً ، ونزل الرئيس وصاحباه إلى السرادق الذى أقيم على ربوة مطلة على النيل بساحة منزل أحد الأعيان ، وقد زين بصورة لجلالة الملك ورفعت على جوانبه الأعلام المصرية الخضراء . وبعد أن استقر بالحاضرين المقام قدم الشاى والحلوى وألقى الأستاذ محمد أبو شنكل من عرب العقيلات من أهل البلدة خطبة قيمة رحب فيها برفعة الرئيس وصاحبيه .

فوقف صاحب المعالى عبد القوى باشا أحمد وشكر لمشايخ العرب

وأهالى المدينة حفاوتهم برفعة الرئيس وتكريمهم له وحماستهم وصادق وطنيتهم ووعدهم بالنظر فى مطالب أهل الدر العادلة .

فتصعد الهتاف الحماسى بحياة المليك المعظم سيد الوادى وعاهل النيل وفى عواصف من الدعاء والتصفيق عاد رفعة الرئيس وصاحباه الى الباخرة التى انطلقت فى النيل منحدرة إلى أسوان .

وقضينا الليل بالباخرة ونحن نرى على جانبى النيل جموع الأهالى تخرج من القرى إلى الشاطىء تحمل المشاعل وتلوح بها تحية للزائر العظيم فيرد التحية لهم ربان الباخرة باطلاق الصفير منها تجاوبه زغردة النساء ودعوات الهاتفين ومضت هذه المظاهر الرائعة تتجدد على جانبى الطريق إلى ساعة متأخرة من الليل ، وهكذا انتهى اليوم .

محمد صالح حرب باشا

وإذا تحدثت عن الدر أو أسوان فانما أنت مستطرد حتما إلى الحديث عن صاحب السعادة محمد صالح حرب باشا . المصرى السودانى .

عرفت البلاد هذا الرجل مجاهداً ، وعرفه الشرق بطلا من أبطال الوغى وسيفاً من سيوف الحق مرهفاً صارما ، فكأنما خلق صالح حرب وفى لقبه صورة خلقه فهو حرب على كل باطل وهو حرب فى كل حق .

يعبد الله تقياً خاشعاً ، ويرضى شعور الايمان من قلبه ، بالوفاء لوطنه ولمليكه .

وهو قبل ذلك سليل قبائل العروبة العريقة فى أسوان والدر ، وهو واسطة العقد بين شطرى النيل وهمزة الوصل بين الطرفين ، بهذا يعتز



(حضرة صاحب السعادة محمد صالح حرب باشا)

صالح حرب باشا كما تعتز أسوان ومصر كلها به .

وأقوى ماتلمسه فى هذا الرجل ولاءه للتاج المصرى ، واعتزازه بالعرش المصرى ووفاءه للمليك المحبوب "فاروق الأول" رعاه الله ، فهو إذ يتحدث عن ذلك ينطلق القول من فؤاده ملتهباً بالايمان ، وتنطق كل خالجة فى جسده بصدق يقينه وقوة إيمانه ويورف ظل هذا الصدق فيشمل من يحبونه ويقدرونه .

وأخيرا ...

اليوم السادس عشر

الأحد ٣ مارس سنة ١٩٤٠ — طلعت الشمس ونحن مستيقظين فنعمنا بشهود الشروق الخلاب ورؤية المناظر الطبيعية فى هذه المنطقة وكنا قد أشرفنا على الوادى الذى غمرته مياه التعلية لخزان أسوان فكنا نميز مواقع المدن القديمة بما نراه طافياً على سطح الماء من أعالى النخيل وأشجار الدوم أغرقها الماء وبقيت ثمارها تتجدد كل عام ثم يحملها النهر فى تياره ، وقد بلغ إتساع النيل فى هذه المنطقة نحو ثلاثة كيلو مترات كانت عامرة بالمدائن والقرى فنزح أهلوها عند تنفيذ مشروع التعلية بعد أن حصلوا على التعويضات التى قدرت لهم ثمناً لأراضيهم وبيوتهم ونخيلهم ومضت الباخرة فى طريقها حتى وصلت مرساها جنوبى خزان أسوان فكانت مظاهر الحفاوة والابتهاج بادية فى الأعلام المرفرفة والزينات الرائعة على طول الشاطىء وحول سرادق الاستقبال الذى أقامته بلدية المدينة فاحتشد فيه عدد كبير من العظماء وكبار الموظفين والأعيان والتجار والشبان بمديرية أسوان .

الغداء بالباخرة

وتناول المسافرون طعام الغداء على مائدة رفعة الرئيس فى الباخرة

قبل الوصول إلى أسوان وكان بينهم الأستاذ الشافعى اللبان مدير إدراة الجنايات بوزارة الداخلية الذى استقل "لانشا" بخارياً من أسوان وقابلناه فى الطريق أمس ثم انضم إلى المستقبلين ورافق الركب فى عودته بالطائرات إلى القاهرة ، وبعد الغداء تأهبنا للنزول فى أسوان بعد أن انتهت الرحلة إلى شطر النيل الجنوبى إلى جزء الوطن المكمل إلى الوطن الغالى إلى السودان العزيز .

الوصول الى اسوان

رست الباخرة أمام سرادق الاستقبال الذى أقيم عند الخزان فنزل رفعة الرئيس فى عاصفة من الحماسة والسرور شملت الجميع وأطلقت الحناجر هتافا والأكف تصفيقاً ، وكان بين القادمين من القاهرة لاستقبال رفعة الرئيس بأسوان حضرة الأستاذ محى الدين فهمى مدير مكتبه لحيا رفعة الرئيس وأخذ المستقبلون يعانقون رفعته ويغمرونه بعواطف التقدير وعبارات التهنئة على النجاح العظيم الذى كسبته البلاد من هذه الرحلة الموفقة ، ويرسلون دعاءهم لله شكراً على التوفيق الشامل الذى لازم رفعته فيها . وهو يرد تحياتهم ببالغ التأثر وعميق الشكر .

مغادرة أسوان

وبعد انتهاء الاستقبال استقل الرئيس والمسافرون السيارات فى طريقهم إلى المطار حيث كانت قد تأهبت للرحيل ، وانتظمت السيارات فى رتل طويل بلغ عدده ١٥٠ سيارة وانطلق فى شوارع أسوان التى كانت تموج بألوف الأهالى يهتفون بحياة جلالة الملك وحياة مصر والسودان وحياة

رفعة الزعيم المصلح على ماهر باشا . حتى وصل الركب إلى المطار فودع رفعة الرئيس وصاحباه أجمل توديع وكان بين المودعين حضرات الشيخ المحترم منصور السلاوى والنائب المحترم منصور مشالى ووكيل المديرية وحكمدارها ومأمور المركز ومدير الخزان ورجال القضاء والنيابة والمحامون والأعيان والتجار والعمال وغيرهم من مختلف الطوائف والطبقات وحلقت الطائرات تقل رفعة الرئيس وصحبه مشيعة بصادق الدعاء وخالص الحب والإعزاز والتقدير .

فى أسيوط

وكان مقرراً أن تتزود الطائرات فى عودتها بالبنزين فى مطار أسيوط ، فلما نزلنا به كان صاحب العزة المدير بيومى بك نصار والشيوخ والنواب وكبار الموظفين والعلماء والأعيان والتجار والطلاب قد احتشدوا فى سرادق كبير أقيم على أرض المطار ، فاستقبلوا رفعة الرئيس بالهتافات والدعوات لجلالة المليك المفدى ولمصر والسودان وللزعيم المصلح على ماهر باشا ، وبعد أن صافح الرئيس كبار المستقبلين دعاه بيومى بك نصار لتناول الشاى الذى أعد لهذه المناسبة فتناوله رفعته وصاحباه ومن معهم من أعضاء الرحلة وكان عدد الطائرات المرافقة لرفعة الرئيس فى هذه الرحلة من أسوان ١٢ طائرة بينها واحدة يقودها صاحب السعادة حسن عبد الوهاب باشا قائد سلاح الطيران الملكى وكانت تسير فى الجو على نظام بديع هو مثلثات متقاربة وكان ارتفاعها عن سطح الأرض نحو خمسة آلاف قدم واتخذ الطيارون طريقهم فوق النيل والمدن فكانت التسلية بهذا المنظر مضاعفة للذة التى يستشعرها راكب الطائرة .

الوصول الى مطار ألماظة

وقد غادرنا أسيوط فى الساعة الرابعة مساء عائدين إلى مطار ألماظة .

وكانت الشمس قد غربت ونحن فى الجو عائدين إلى القاهرة فأضاء الطيارون المصابيح الملونة فى طائراتهم فكان منظرها رائعاً خلابا ومررنا من فوق مدينة حلوان على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم فميزنا معالمها ومبانيها ومضينا على هذا الارتفاع حتى وصلنا إلى مطار ألماظة فرأينا الجموع الحاشدة على أرض المطار ، وقيل لنا بعد وصولنا أن المستقبلين قضوا فى المطار عدة ساعات لاختلاف موعد الوصول الذى كان مقرراً من قبل ؛ وفى الساعة السادسة والربع بدأ هبوط الطائرات على الأرض واحدة أثر أخرى بعد أن تدور حول المطار عدة مرات بالتحية التقليدية .

وفى الساعة السادسة والنصف استقرت " الموفقة " على أرض المطار فهرع إليها المستقبلون فى حماسة طاغية وهتافات تشق عنان السماء ، وكان فى مقدمة المستقبلين حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة :

سعادة الأستاذ محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ ، وأصحاب المعالى الوزراء وكثير من حضرات الشيوخ والنواب ، ووكلاء الوزارات والفريق عزيز على المصرى باشا وكبار ضباط الجيش ، ومراد محسن باشا وعبد الوهاب طلعت باشا وأحمد حسنين باشا وإبراهيم عطا الله باشا وارنست فيروتشى بك وحسين حسنى بك وعبد اللطيف طلعت بك من رجال القصر الملكى ، وأحمد مدحت يكن باشا والأستاذ عبد المقصود أحمد من رجال بنك مصر ، وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ومندوب من غبطة بطريرك الأقباط الارثوذكس ، ومحمد السيد

شاهين بك محافظ القاهرة وكبار ضباط البوليس وغيرهم من الموظفين وممثلي الهيئات الشعبية ، ورئيس وأعضاء النادي السوداني وكبار تجارهم وأعيانهم بالقاهرة .

وكان هتاف المستقبلين يدوى فى أرجاء المطار بحياة جلالة المليك عاهل النيل وسيد الوادى ، وحياة السودان ومصر ، وتعذر على رفعة الرئيس أن يشق طريقه بين الكتل البشرية المتراصة فجىء بسيارته إلى حيث رست الطائرة فاستقلها دون أن يتمكن من مصافحة كبار المستقبلين .

إلى الملاذ العالى ...
الى الحضرة الملكية

غادر رفعة الرئيس مطار الماظة مخترقا شوارع مصر الجديدة والقاهرة التى كانت حافلة بالجماهير فى انتظار عودته ، تهتف وتصفق ، وقصد إلى سراى عابدين العامرة ، وكان يصحبه صاحب السعادة عبد الوهاب طلعت باشا ، وبعد أن قيد اسمه فى سجل التشريفات جلس قليلا فى قاعة الاستقبال مع أصحاب السعادة أحمد حسنين باشا الأمين الأول ـ ورئيس الديوان الملكى الآن ـ وعبد الوهاب طلعت باشا ومحمود السيوفى بك .

عطف المليك

ولما علم حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المفدى بوجود رفعة الرئيس بالقصر تفضل وأرسل فى استدعائه فتشرف رفعته بمقابلة جلالته ومكث فى حضرته الملكية نحو الساعة مغموراً فى عطف المليك وتقديره ، وقد بسط لجلالته تفاصيل رحلته إلى السودان وما لمسه فى كل مكان من

أصدق عواطف الولاء ، وأنبل مشاعر الحب والفداء ، للعرش ولذات المليك العظيم " فاروق الأول " أعزه الله .

وكان صاحبا المعالى عبد القوى أحمد باشا وصالح حرب باشا قد قصدا إلى القصر العامر فقيد اسميهما فى سجل التشريفات مع صادق الولاء والدعاء للمليك المفدى .

◎◎◎

الرئيس يشكر الأمة

وقد وجه رفعة الزعيم إلى الأمة الشكر التالى :

بنى وطنى :

عدنا من السودان بعد زيارة قصيرة المدى ، ولكنها طويلة الذكر عميقة الأثر ، وانطوت على ذكريات ليس أجمل منها ولا أكمل . فقد كتب الله لها التوفيق فى كل مرحلة من مراحلها ، بل كل خطوة من خطواتها ، وتوطدت بها أواصر عزيزة من الصداقة والمحبة بين الشعبين الشقيقين ، فلله الحمد أولا وآخراً على شامل فضله وكامل توفيقه .

عدنا إلى العاصمة ، وإذا بجموعكم الزاخرة تملأ المطار على رحبه وتتدفق وتتدافع فى بشر ظاهر للتحية الكريمة والتقدير الجميل .

فإليكم جميعاً إخوانى ، شيوخاً ونواباً ، موظفين وطلاباً ، ضباطاً وممثلين لجميع الهيئات والطبقات شكراً يجل عن الوصف ، وثناء لا يحده حد . فقد فاضت بالغبطة قلوبنا . واهتزت بلقائكم نفوسنا .

عشتم جميعاً للوطن عماداً قوياً لحاضره وذخيرة صالحة لمستقبله ، وعاش الملك ملاذاً للوطن ومناراً هاديا .

على ماهر

من الأمير عمر طوسن باشا

وتلقى رفعة على ماهر باشا من حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون باشا البرقية التالية :

"إذا استقبلتكم مصر وأهلها من رحلتكم الموفقة بالسودان بالتأهيل والترحيب . فذلك أقل مايجب لمقامكم الرفيع إزاء ماقمتم به هناك من العمل الصالح لخير مصر والسودان . وإذا شكرناكم أجل الشكر على جهودكم الطيبة ورحبنا مع المرحبين بمقدمكم الكريم فانما نعبر عما يجول بخاطر الجميع ونقدر لكم هذا الصنيع الذى نلتم به رضاء الله وإعجاب الناس أجمعين"

عمر طوسن

فرد رفعته على سمو الأمير بالبرقية الآتية :

لقد كان من دواعى إغتباطى العظيم أن تشرفت لدى وصولى بتلقى البرقية الكريمة التى تفضلتم سموكم فوجهتم فيها إلىّ من كريم العاطفة ونبيل الرعاية ما أثر فى نفسى أبلغ التأثير . ولا يسعنى، وأنا أبادر بتقديم الشكر إلى سمو الأمير الجليل على جميل عطفه ، إلا أن أشفع ذلك بعظيم التقدير لعنايته الدائمة بتوثيق أواصر المودة بين مصر والسودان، حفظ الله ذاتكم الكريمة فى صحة ورفاهية .

على ماهر

الختـام

استغرقت الرحلة كلها ١٥ يوما وخمس ساعات منها :

٢٣ ساعة فى الطائرات قطعنا بها ٢٧٠٤ كيلو و٩٤ ساعة بالبواخر النيلية قطعنا بها ٥٥٥ كيلو و٧ ساعات بالسيارات قطعنا بها ٣٧٥ كيلو و٤٦ ساعة بالقطار قطعنا بها ١٢١٧ كيلو .

مجموعها ١٧٠ ساعة فى الانتقالات ، والباقى ١٩٥ ساعة استغرقتها الحفلات والاستقبالات .

هكذا كانت أيام الرحلة السعيدة ، أفراحا متصلة ، وجهداً متلاحقاً يبذله هذا الرجل الموفق الذى عرفته البلاد بطلا جريئاً ، وزعيما صادق الإيمان ، ووزيراً من الطراز الأول ورئيساً للديوان الملكى العالى أميناً وفياً ، ورئيسا للوزارة المصرية مرتين يضرب بأسلوبه فى الحكم والتدبير أروع الأمثال وأحكم الآيات .

ثم عرفه السودان فى هذه الرحلة المباركة فملك على أهله قلوبهم ، وترك فى ربوعه أثراً حميداً وذكراً مجيداً .



المراجع

١ — معجم البلدان لياقوت

٢ — دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى بك

٣ — كتاب المعاهدة المصرية الانكليزية للاستا غنام

٤ — عشرة أيام فى السودان لمعالى هيكل باشا

٥ — كتاب السودان للاستاذ عبد الله حسين

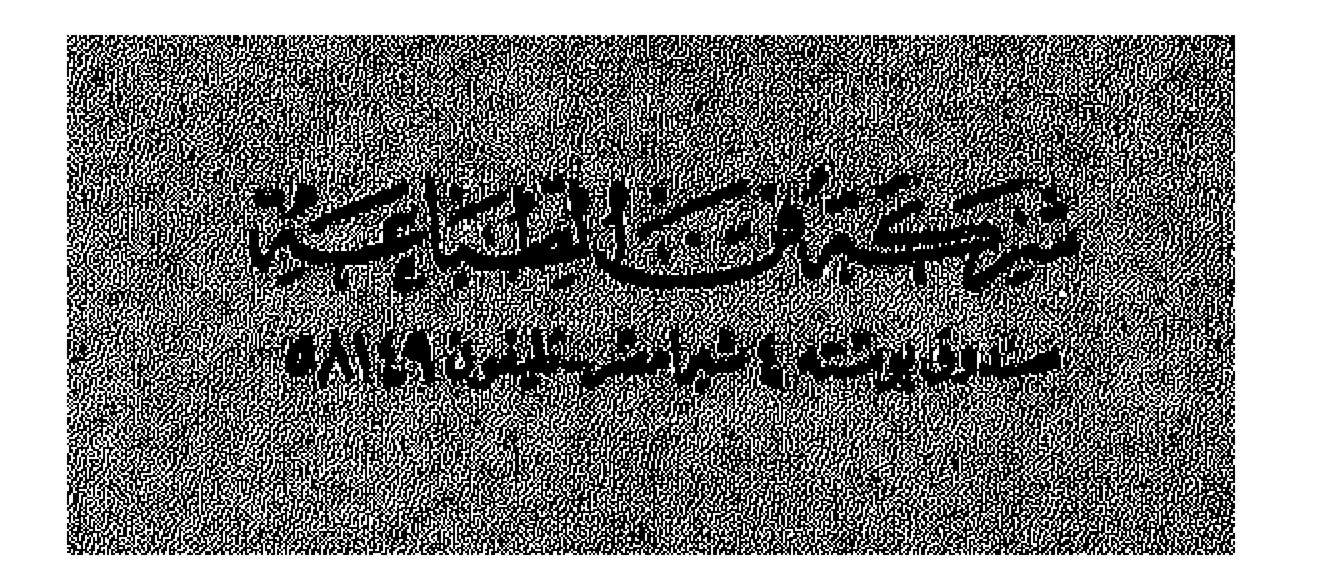
٦ — مجموعة المضابط لمجلس الشيوخ والنواب لسنة ١٩٤٠

٧ — مجموعة الصحف المصرية فى فبراير ومارس يونية سنة ١٩٤١

تم طبع هذا الكتاب بعون الله فى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٤١ بشركة [فن الطباعة] بشبرا مصر، ولا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى لأصحابها الأفاضل وعمالها الأكفاء على مابذلوه من خدمات طيبـــة .

كما أذكر بخالص التقدير صديق الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عبد الرحمن كبيرخطاطى المساحة فقد حليت كتابى بنماذج رائعة من خطه الجميل تفضل بكتابتها مشكوراً .

الفهرس


شركة فن الطباعة

